الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران



كلية العلوم الإنسانية
والحضارة الإسلامية

قسم التاريخ
وعلم الآثار

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في
التاريخ الوسيط الإسلامي

الصناعة والصناع في بلاد الأندلس
في عصري الإمارة والخلافة
(138-422هـ/756-1031م)

إعداد الطالبة :
تواتية بودالية

تحت إشراف:
د. فاطمة بلهواري

أعضاء لجنة المناقشة:

- أ /د عبد القادر بوباية : رئيسا.
- د / فاطمة بلهواري: مقررا.
- د/ غازي مهدي الشمري: مناقشا.
- أ/د محمد بن معمر: مناقشا.
-

السنة الجامعية: 1428-1429هـ/2007-2008 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران



كلية العلوم الإنسانية
والحضارة الإسلامية

قسم التاريخ
وعلم الآثار

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في
التاريخ الوسيط الإسلامي

الصناعة والصناع في بلاد الأندلس في عصري الإمارة والخلافة

(138-422هـ/756-1031م)

من إعداد الطالبة :
تواتية بودالية

تحت إشراف:
د. فاطمة بلهواري

أعضاء لجنة المناقشة:

- أ /د عبد القادر بوباية : رئيسا.
- د / فاطمة بلهواري: مقررا.
- د/ غازي مهدي الشمري: مناقشا.
- أ/د محمد بن معمر: مناقشا.

السنة الجامعية: 1428-1429هـ/2007-2008 م



"وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون"

صدق الله العظيم

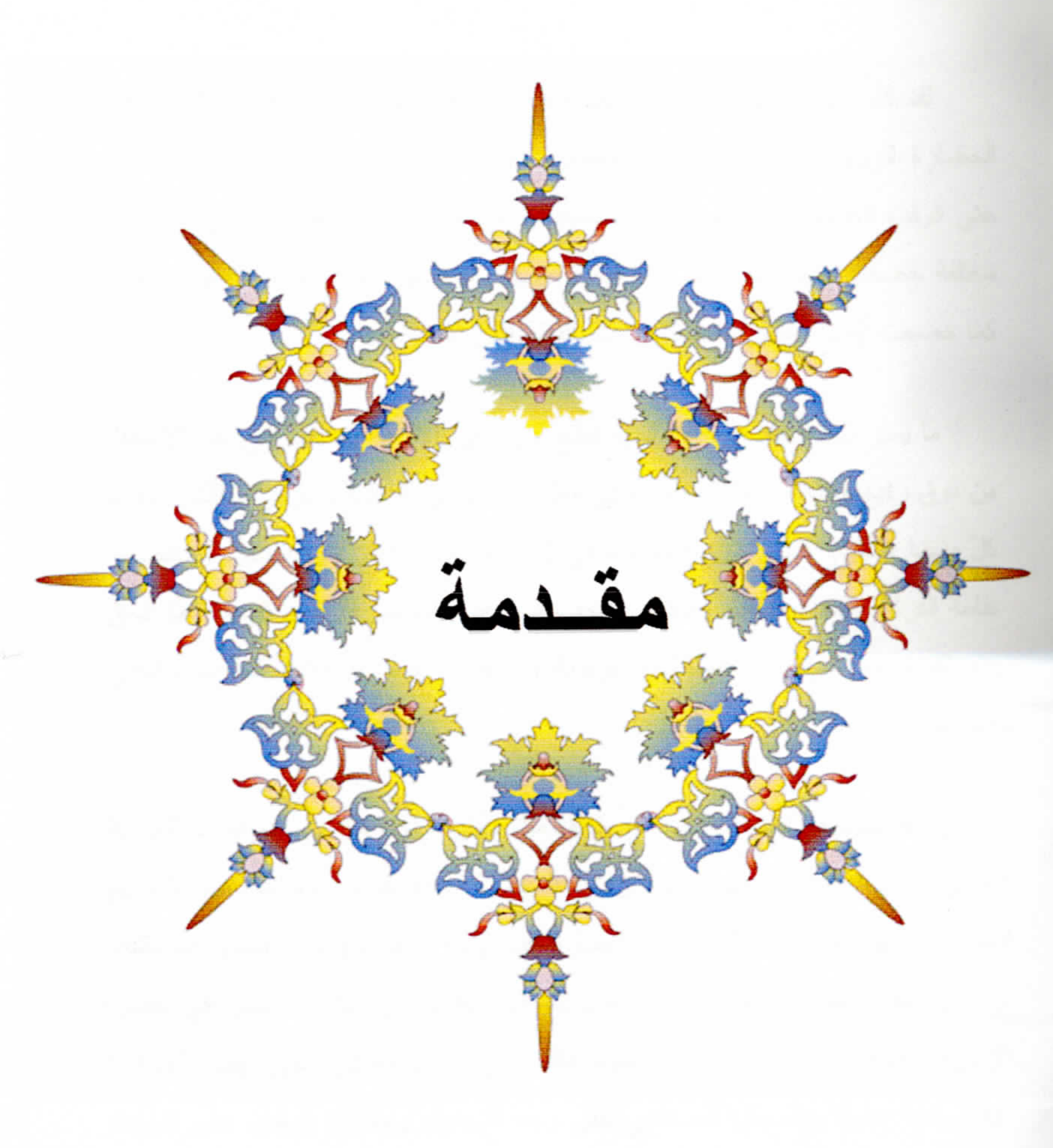
سورة الشعراء ، الآية 129.



بعد مد وجزر وإقبال وتردد تم بعون الله وحفظه ميلاد هذا البحث بعد أن استقامت حروفه ، فوجدت نفسي أحمد الله على جزيل نعماته ، واشكره شكر المعترف بمننه وآلائه، وأعرج على تقديم كلمة شكر وعرفان إلى كل من قدموا لي يد المساعدة وكانوا لي حافزا مشجعا لخروج بهذا العمل إلى النور وهم أهل الفضل ووفاء لشخصي.

وبذلك أتوجه بخالص الشكر وكامل التقدير إلى أستاذتي المشرفة على تواضعها، فكانت لي بمثابة العون والترس لتجاوز الصعاب والعقبات، والوقوف على الأقدام خشية الوقوع في الزلات، والمتفحصة للمجهودات حتى تكون في ميزان الحسنات.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى كل من ساهم في انجاز هذا العمل من قريب أو بعيد وبالأخص الوالدين الكريمين جزاهما الله خير ما يجزى به عباده الصاحين.



مقدمة

المقدمة

لقد كان الفتح الاسلامي لشبه الجزيرة الايبيرية حدثا حضاريا هاما امتزجت فيه الحضارة الرومانية والقوطية مع الحضارة الإسلامية، التي لازالت مظاهرها قائمة حتى الوقت الحاضر. والحضارة الأندلسية لم تنشأ في ظرف وجيز بل مرت بأدوار مختلفة خضعت فيها لمؤثرات مشرقية ربطتها بالوطـــن الأم باعتبارها جزءا منه، كما خضعت أيضا لمؤثرات محلية بحكم البيئة التي نشأت فيها.

ما يميز تلك الحضارة الأندلسية قطع من اللقى الأثرية وصلت إلى حد الإعجاز من ذوق رفيع ودقة صنعة، بخاصة في مقتنيات مدينتي قرطبة والزهراء اللتان حوت كلّ منهما الطابع الغالي من الإسراف في بناء القصور، فكان من اليسير أن نتصور نفاسة الفرش وانتقاء الأثاث واختيار التحف إلى غير ذلك من الترف، فضلا عمّا ألحق بهذه القصـــور من دور الصّناعة بقرطبة والزهراء لصناعة آلات الحرب والحلي والتماثيل وغيرها.

إن إهتمامنا بالاقتصاد الأندلسي يتبثق من معنى واحد هو أن الدراسات العربية اقتصرت في الغالب على التطورات السياسية والعسكرية وجانبا من التاريخ الحضاري لهذه البلاد، وذلك بتناول العمارة على وجه التحديد وإثبات قيمتها الجمالية، في حين تظل البحوث المحصصة حول النشاط الاقتصادي لبلاد الأندلس في عصر الإمارة والخلافة قليلة جدا، وقد يعود ذلك إلى قلة المصادر التي تهتم بالظاهرة الاقتصادية عامة وبالمجال الصناعي على وجه التحديد، وبالتالي يتوجب على الباحث في هذا النوع من الدراسات التنقيب في مصادر التاريخ العام، وفي الكتب ذات التوجه الخاص كالجغرافية والأدبية، إلى جانب كتب التراجم والطبقات والحسبة للخروج بمادة قد تفيد البحث التاريخي الاقتصادي لبلاد الأندلس. والصناعة والصناع في الأندلس موضوع تناثرت أقسامه وأجزاؤه في بطون المصادر والمراجع المتنوعة.

إنّ الملاحظ، عن هذه الدراسات التي تتناول مظاهر الحضارة الأندلسية والنشاط الاقتصادي أنها كانت حكرا على الغرب، حتى نهض لها جماعة من مؤرخي العرب، كان السيد عبد العزيز سالم[1] خير المهيئين لهذه الدارسات بالإضافة إلى مرزوق محمد عبد العزيز[2] وتوفيق إبراهيم والكحلاوي محمد محمد[3] والطاهري أحمد [4]وغيرهم...

يتناول موضوع البحث الصناعة والصناع في بلاد الأندلس عصري الإمارة والخلافة(138-422هـ/756-1031م) اخترته موضوعا لبحثي مدفوعة في ذلك بالدور المهم الذي مثله الصنـــاع في عملية البناء الحضاري الأندلسي، فالصناعة بسماتها وفنونها المبتكرة وصورها المبتدعة والرفيعة وأثارها النفيسة تميزت بأشكالها عــن مثيلاتها بالمشرق. فكم استغرق تعداد فضائل قرطبة وجمالاتها في كتاب نفح الطيب للمقري من صفحات! والحديث نفسه يقال على بقية الحواضر الأندلسية. وكم من تحفة كشف عنها مانويل جوميث مورينو M.Gomez -Morino في كتابه الموسوم "**الفن الإسلامي في اسبانيا**"[5].

إني ما ألبث أن أجد نفسي مدفوعة إلى التسليم بروعة ودقة الصناعة الأندلسية بأنماطها المختلفة، وقدرة صناعها الفريدة على الابتكار والاستنباط المتنـــوع.

فرضت طبيعة الموضوع الاقتصادية امتـــداده على مرحلة زمنية من(138-422هـ/756-1031م) عصري الإمارة والخلافة التركيز على دراسة البنيات الأولى، وتطوراتها لمظاهر الصناعة الأندلسية من مـــرحلة التقليد والتأثر إلى مرحلة الإنشاء وابتداع الطـــــراز الأندلسي.

1- قرطبة حاضرة الخلافة الأموية في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية(1997)،ج2 . التحف العاجية في العصر الاسلامي، عبد الله بن عبد المحسن التركي ، بحوث ندوة الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية(د.ت)- نماذج من التحف الفضية والتماثيل البرونزية من إنتاج دار الصناعة بكل من قرطبة ومدينة الزهراء في عصر الخلافة الأموية بالأندلس، عبد الله بن عبد المحسن التركي، بحوث ندوة الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية(د.ت).

2- الفنـــون الزخرفية في المغرب والأنـــدلس، دار الثقافة، بيروت (د.ت).

3- دراسة توقيعـــات الصناع والفنانين على التحف المعدنية والعاجية، عبد الله بن عبد المحسن التركي، بحوث ندوة الأندلس، دار المعرفة الجامعية، القاهرة (1994م).

4- عامة قرطبة، منشورات عكاظ، الرباط (1989م).

5- ترجمة السيد عبد العزيز سالم وعبد البديع لطفي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة (1977م).

تجدر الإشارة إلى أن الدارس يجد في هذا البحث الاعتماد شبه الكلي على ذخائر قرطبة والزهراء دون المدن الأخرى، ويعود سبب ذلك إلى أن قرطبة كسبت في القرن (4هـ/10م) شهرة لا تقل عن شهرة بغداد؛ إذ برزت أهميتها باعتبارها منطقة صناعية كبرى واستقطبت غالبية الأيدي العاملة، وتألقت في المجال الحضاري في عصر الخلافة الأموية بالأندلس حتى سنة(403هـ/1012م)، وهو ما يتوافق مع مرحلة البحث. ومتحف هذه المدينة يحتفظ حاليا بمختلف اللقى الأثرية الخاصة بحقبة التواجد الإسلامي بإسبانيا، وهي شاهدة على مدى روعة الصناعة الأندلسية.

سأحاول في هذه الدراسة إشراك المجال الصناعي في ذلك التفاعل الحضاري الذي يختص بالانفراد والتنوع من دون سواه. وتطرقت من القضية إلى لبّها في مختلف الأنواع، وعرّفت بالخصائص والمؤثرات، وتعرضت للتفاعل بين الشرق والغرب. والهدف منه إبراز الفن الصناعي، وتقديم ملامح عامة عن حياة هذه الفئة من الحرفيين التي أغفلتها معظم الدراسات، ودورهم في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

تتمحور إشكالية الموضوع في المرحلة المدروسة على جملة من الطروحات التاريخية، هي كالآتي: ما هي حدود مشاركة محتلف الأجناس التي دخلت الأندلس في الصناعة خلال الفترة المدروسة ؟ وما هي العوامل المؤثرة في بروز هذه الأنواع المختلفة من الصناعات ؟ هل كان للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية دور في إحداث تغيير في النشاط الصناعي؟ كيف تم تنظيم أمور الصناعة والصناع ؟ إنّ مساهمة الصناع في الحضارة الأندلسية أهم وأوسع بكثير مما تظهره المصادر التاريخية، لكن إبراز هذه الأهمية لن يتأتى إلا بنماذج من الصناعة مع توضيح تقنية صنعها وتحديد مادتها في كل نوع من أنواعها. فما هي هذه الأنواع ؟ وهذا ما سأحاول الإجابة عنه ضمن هذا البحث.

لقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة. وذيلت البحث بملاحق. فضمت المقدمة طرحا لإشكالية الموضوع مع ذكر أهميته ودوافع اختياره مع عرض لأهم المصادر والدراسات الحديثة التي اعتمدتها.

وكان من الضروري تخصيص تمهيد يطوي في صفحاته مفاهيم تتعلق بمصطلح الصناعة باعتبارها مفهوما ولفظا متداولا في المصادر العامة، والأندلسية على وجه الخصوص.

وعنيت في الفصل الأول برصد التركيبة الاجتمـاعية الأندلسية، التي ضمت أجناسا مختلفة ذوي عقائد متنوعة وعـادات مختلفة من عرب وبربر وصقـالبة ويهود ومسيحـييّن. ولم أستثـن الهجرة التي شهـدتها بـلاد الأندلس خلال مرحلة (138-422هـ/756-1031م)، محـاولة إعطاء إحصاءات نسبية للتعداد السكاني الأندلسي، والذي أبرز قوة الطاقة البشرية من اليد العاملة آنذاك. وبينت ضمن هذا الفصل تنوع مواطـن استـقرار هذه الأجنـاس، وأوضحت أنواع المهن التي احترفوها.

وخصصت نصيبا من هذا الفصل للحديث عن العـوامل المؤثرة في الصناعة، وأرفقت ذلك بخريطة طبيعية لأهم المواد الأوليـة من إنتاج زراعي وثروة غابية وحيوانية ومعدنية. فأرصدت المحاصيل التحويلية والثروة الغابية والنباتات الطبية والعطرية، فتتبعت مناطق الإنتاج الحيواني من مواش ودواجن وتربية النحل وصيد الأسماك، كما رصدت أهم المعادن ومناطق توزيعها. ومن دون أدنى شك فإنّ لهذه العوامل أثرا كبيرا في تنويع الصناعات وتطورها؛ إذ كان للحكام دور في دعمها وتشجيعها. لذلك عقدت للسلطة الزمنية مكانا في هذا الفصل حاولت أن أقدم فيه نماذج على أسس موضوعية لصفوة حكام الأندلس المرموقين بانجازاتهـم العمرانية والحضارية آنذاك، والإجراءات والمشاريع التي اتخذت للنهوض بالصنّاعة. وفي هذا السياق لا ينبغي أن ينصرف الظن إلى أن الصنّاعة عرفت نهوضا مستمرا في تلك المرحلة، ولكن ما لبثت أن انحسر نشاطها بسبب الأزمات والاضطرابات والكوارث الطبيعية التي أسرفت في تحطيم مواردها، وكانت النتيجة الانصراف عن الصناعات

وتعطلها، وهذه الآثار يستحق الالتفات إليها في مختلف مراحل التطور الصناعي على أساس المكان من خلال الزمان المحدد لهذه الدراسة.

وضمنت الفصل الثاني أهم النظم الصناعية في الأندلس ووقفت عند ظاهرة التنظيم الحرفي وتتبعت أحوال هؤلاء الحرفيين متناولة رؤية المجتمع والسلطة إلى الطبقة الفقيرة، منهم المولدون الذين اشتركوا في الفتن، وأسهموا في تضييق حلقة دورهم الحرفي في المصادر التاريخية، وكانت طبيعة الكتابة التاريخية آنذاك تحقيرا لهذه الفئة الاجتماعية، ومن تم أثبت أن هذه السمات ليست على جميع الفئات الحرفية من خلال الدراسات الأثرية الحديثة، التي كان لهـــا الأثر في تعميق وجود صناع محترفين تركوا تراثا يستحق ذكره. ثم انتقلت بعدها إلى مختلف النظم الصناعية التي تحددت معالمها في الفضاء الصناعي والحسبة والأسعار والأجور. ووقفت عند ظاهرة التخصص.

وقد خصصت فصلا أخيـــرا للتفصيل في أنواع الصناعات وخصائصها مع عرض نماذج لها. وقسمتها إلى نمطين: الأول استهلاكي يتعلق بالصناعة الغذائية والنسيجية والورقية والجلدية. والثاني يرتبط بالمواد المعدنية من برونزية نحاسية وذهبية. وتدرجت إلى الصناعة العاجية والرخامية والخزفية والخشبية وغيرها من الصناعات التي كشفت عنها الدراسات الأثرية التي أجريت في بعض المواقع من بلاد الأندلس، كما استعرضت تقنيات التصنيع وتحويل المواد الأولية إلى منتوج صناعي، وربطتها بنماذج وصور لإثبات قيمتها. وإن كانت الظاهرة الجديرة بالتسجيل هي أن عددا من التحف الصناعية لم تختلف عن نظيرها بالمشرق ثوبا وجوهرا، رغم اختلاف البيئة فضربت الأمثال هنا وهناك لملاحقة أثارها على الصناعة الأندلسية متتبعة الأنواع، لأن السمات واحدة والبنية متماثلة.

وختمت البحث بمجموعة من الاستنتاجات قد لا تكون قطعية ولكن تفتح الأفاق للبحث في هذا المجال، وذلك هو جهد المقل المرهون بدراسات مستقبلية.

نظرا لطبيعة الموضوع اعتمدت على بعض المناهج، فهذه الدراسة تهتم بتحديد المؤثرات والتفاعل الحضاري بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي في الصناعة

الأندلسية، مما دفعني إلى الاعتماد على المنهج المقارن من خلال استقصاء الأدلة الواردة في النصوص التاريخية المكتوبة مدعمة ذلك باللقى الأثرية. هذا إلى جانب توظيفي المنهج الوصفي لتحديد ما مدى غنى الأندلس بالمواد المعدنية والزراعية والحيوانية من جهة ولوصف تلك اللقى الأثرية من خلال الفن الصناعي من جهة أخرى. كما لم استغـــن عن المنهج التحليلي في التطرق إلى حيـــاة فئة الحـــرفيين وأوضـــاعهم وعلاقتهم بالتغيرات السياسية والاقتصادية في بلاد الأندلس.

تطلب الأمر لدراسة هذا الموضوع الاطلاع الواسع على أنواع مختلفة من المصادر والدراسات الحديثة؛ إذ اعتمدت على مجموعة من كتب الجغرافيا والتاريخ والأدب، وأخرى في التراجم والسير بالإضافة إلى الدراسات الحديثة. وتم ترتيبها حسب أهميتها.

أولا:المصـــــادر الجغرافيـــــة

لقد تنوعت المصادر الجغرافية في هذا البحث إذ اتصف بعضها بالفارق الزمني بين مرحلة هذه الدراسة والمرحلة التي كتبت فيها، غير أن الظواهر الاقتصادية لا تنشأ ولا تتغير بفترة زمنية قصيرة وإنما هي مستمرة وتغيرها بطيء جدا. كما تتميز هذه المؤلفات المتأخرة بالنقول عما سبقها من أثار المؤلفين المتقدمين، والتي قد أهملها الكثير في نقل المعلومات الاقتصادية ونذكر منها حسب ترتيبها الزمني:

1- "La Description de L'Espagne"[1]، ذكرته المصادر باسم" مسالك الأندلس ومراسيها وأمهات مدنها وأجنادها الستة وخواص كل بلد فيها وما فيه مما ليس في غيره"[2] للمؤرخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي (ت344هـ/955م) ترجم نصه إلي البرتغالية وضاع أصله العربي والمترجم، وقد عثر ليفي بروفنسال على جزء من هذا المؤلف ترجمه إلى اللغة الفرنسية. وهو من أهم المصادر الجغرافية التي اتسمت بالوضوح والدقة لمعاصرة المؤلف للخلافة الأموية، وكان شاهد عيان مدقق ومهتم بكل التفاصيل الاقتصادية عن المناجم والمحاصيل الزراعية في بلاد الأندلس.

1- Provencal ,Al-Andaus ,Vol -12.1953.

2- ابن حزم، رسالة فضل الأندلس وذكر رجالاتها، من كتاب المقري، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت(2004)-(1968م) ، ج3، ص 160.

2-"**كتاب صورة الأرض**" لابن حوقل، أبي القاسم محمد بن علي (ت380هـ/990م)[1] قد زار هذا الجغرافي الأندلس سنة (337هـ/948 م)، وإن لهذا الكتاب الأثر الطيب في الكشف عن الصناعة المنتجة ببلاد الأندلس واهتم بمستوى معيشة الأندلسيين وبمظاهر الترف عندهم.

3- " **ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك**"،لأحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلائي(478هـ/1085م)[2] مصدر هام عن جغرافية الأندلس وتاريخها، وتم الاعتماد على نصوصه في المادة في ذكر الإنتاج الزراعي التحويلي وتحديد بعض المراكز الصناعية الأندلسية.

4- "**المسالك والممالك**" لأبي عبيد الله بن عبد العزيز البكري (ت487هـ/1094م)[3] أخباره منتقاة من كتاب العذري لذلك تضمنت نصوصه إشارات إلى وفرة المواد الأولية المتنوعة من زراعية وحيوانية ومعدنية، هذا إلى جانب ذكره لمختلف الحرف التي تميزت بها بلاد الأندلس.

5 - "**نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**" لأبي عبد الله محمد بن محمد الإدريسي، (558هـ/1162م)[4] يعتبر هذا الكتاب مصدرا جغرافيا هاما، خاصة القسم الخاص بالأندلس، والكتاب غني بمادة جغرافية وبالملاحظات الاجتماعية والاقتصادية التي سجلها المؤلف وكانت ثمرة لرحلاته ومشاهداته عبر مدن الأندلس، وفيها ذكر شهرة كل موضع في الإنتاج الزراعي والصناعي وحتى العمراني.

6-"**قطعة من فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها**" لإبن غالب الغرناطي، محمد بن أيوب (ق6هـ/12م)[5] يعتبر من أهم الكتب الجغرافية التي تجمع بين الأخبار الجغرافية والعمرانية، وتم الاعتماد عليه في كثير من المواضع خاصة في وصف المدن، وأهمها قرطبة وما جادت به من منتجات زراعية وحيوانية ومعدنية، وأمور تتعلق بالأجور.

1- منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (د.ت).
2- تحقيق الأهواني عبد العزيز، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد(1965م).
3- تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(2003م)، م2.
4 - تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر(1983م).
5- تحقيق عبد البديع لطفي، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة (1956م)، م1، ج1

7- "**معجم البلدان**" لياقوت شهاب الدين أبو عبد الله الحموي (ت626هـ/1228م)[1] تعتمد منهجيته على دراسة المدن دراسة مختصرة ومرتبة ترتيبا أبجديا، أبرز منابع الثروة الزراعية والمعدنية لكل مدينة أندلسية، ولذا استفدت منه في مواضع مختلفة ضمن هذه الرسالة.

8- "**الروض المعطار في خبر الأقطار**" لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ت 726هـ/1326م)[2] بالرغم من أن هذا الجغرافي يعود إلى القرن (10هـ/15م) إلا أن مصنفه يعتبر ركيزة هامة للباحثين في تاريخ الأندلس وحضارتها في العصر الإسلامي فهو معجم جغرافي لمدن الأندلس، جمع معلوماته الجغرافية عن العذري والإدريسي وابن سعيد، وقد اعتمدت عليه عند تعرضي لمختلف العوامل المؤثرة في الصناعة.

ثانيا: مصادر التاريخ العام

وتجدر الإشارة إلى أن كتب التاريخ العام الأندلسية تضمنت نصوصها مختلف جوانب الحياة، إلا أن معظمها لم يول الاهتمام بمجال الصناعة والصناع، وجاء حديثها عنها عرضيا ضمن السياق العام، باستثناء البعض منها:

1- **كتاب "تاريخ افتتاح الأندلس"** لأبي بكر محمد عمر المعروف بابن القوطية (ت367هـ/977م)[3]، تطرق إلى الأحداث السياسية للأندلس من الفتح حتى وفاة الأمير عبد الله بن محمد سنة (300هـ/912م)، وعلى الرغم من قلة المعلومات عن الجوانب الاقتصادية غير أنني استفدت من بعض الإشارات التي وردت ضمن نصوصه تتعلق ببعض الحرف.

2- **كتاب "المقتبس في أخبار بلد الأندلس" لابن حيان القرطبي**، حيان بن خلف (ت469هـ/1076م): يعتبر من أهم المصادر التاريخية المعول عليه نظرا لقربه من

1- دار صادر، بيروت (د.ت).

2- نشره ليفي بروفنسال، القاهرة (1937م).

3- تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر(1989م).

زمن موضوع هذه الدراسة، وقد امتازت رواياته بالدقة والتفصيل والتحليل في تحديد النواحي الحضارية لبلاد الأندلس بصورة عامة والاقتصادية والاجتماعية على وجه الخصوص. وتم الاعتماد على القطع الخمسة من بداية البحث حتى نهايته، وأورد صاحبه سياسة الحكام واهتماماتهم الحضارية التي جعلت من الصناعة نشاط حقيقي في بلاد الأندلس وتحت رقابة السلطة. ويظهر ذلك في عملية إنشاء المدن كقرطبة والزهراء وإلحاقها بدور الصناعة في القصور. كما نوه المؤرخ بالفئات الحرفية مقدما نظرته على فئة الموالي من الحرفيين، وقدم أسماء لأهم الشخصيات الحرفية في ذلك العصر حسب تنظيم الأصناف من أمناء وعرفاء ومحتسبين. وبما أنه عايش هذه المرحلة التاريخية فإنه أعطى تفاصيل عن مختلف الأنشطة الصناعية خاصة الصناعة النسيجية وما يتعلق بها من أمور الطراز والتنظيم، ولا نستثني اهتمامه بتأريخ الظواهر السياسية والطبيعية المؤثرة في الصناعة. وهذا ما اعتمدته من القطع التالية:

أ- **القطعة الأولى:** قسم خاص بإمارة الحكم بن هشام (180-206هـ/796-821م)، وإمارة عبد الرحمن بن الحكم (206-232هـ/821-846م)[1].

ب- **القطعة الثانية:** تتناول الجزء الأخير من عصر الأمير عبد الرحمن بن الحكم (232-267هـ/846-880م) ومعظم عصر ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن[2].

ج- **القطعة الثالثة:** وتشمل عهد الأمير عبد الله بن محمد(275-300هـ/888-912م) [3].

د- **القطعة الرابعة:** وتضم 31 سنة من عهد الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد (300-331هـ/912-943م) [4].

و- **القطعة الخامسة:** تضم خمس سنوات من عهد الحكم المستنصر بالله (360-364هـ/971-975م) [5].

1- المقتبس، تحقيق محمود علي المكي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية(د.ت)، السفر الثاني.
2- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت (1973م).
3- المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق الأب ملشورم أنطونية، بولس كنتر الكتبي، باريس (1937م).
4- المقتبس، تحقيق بيدرو شالميتا، المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط (1979 م)،ج5.
5- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت(1983م).

3- كتاب "**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**" لابن عذاري، أبي عبد الله أحمد بن محمد (كان على قيد الحياة سنة 712هـ/1312م)[1]، يعتبر من أهم مصادر تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، منذ الفتح حتى بعد منتصف القرن السابع الهجري وذلك قبل نهاية دولة الموحدين. وقد اعتمدت في بحثي هذا على الجزء الثاني، الذي أفادني في تحليل مجموعة من الأحداث السياسية التي أثرت على النشاط الصناعي، إلى جانب الاستعانة بجوانب منه لتحديد الظواهر الطبيعية والتعرف على أسواق قرطبة.

4- **كتاب "المقدمة"** لعبد الرحمن بن خلدون(732-808هـ/1332-1406م)[2] من أهم الكتب النظرية في تحليل مفاهيم على الصناعة قد أغفلها معظم المؤرخين، واستفدت منه في تتبع مراحل نشاط الحركة الصناعية عامة في بلاد الأندلس بشكل خاص لتحليل مفهوم الصناعة وخصائصها من المنظور الخلدوني، اعتمدت عليه أيضا في تحديد مفهوم دور الطراز ببلاد الأندلس.

5- "**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بت الخطيب**" للمقري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت1041هـ/1631م) يتضمن الكتاب دراسة شاملة عن الحياة السياسية والحضارية والاجتماعية والثقافية لبلاد الأندلس؛ فقد استفدت من الأجزاء الأول والثاني والثالث في استخلاص معلومات هامة عن الحياة الاقتصادية في الفترة المدروسة ؛ إذ تناول صاحبه وفرة المواد المعدنية والزراعية والحيوانية كما أشار إلى شهرة المدن الأندلسية بمختلف الصناعات وحياة التقليد الأندلسي لبلاد المشرق والإبداع الخلافي في البناء والتعمير.

6- **كتاب "أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق ذلك من كلام**" لابن الخطيب، أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي (ت776هـ/1374م)[3]، اختص في تاريخ المغرب والأندلس ،

1- تحقيق ليفي بروفنسال وج. كولان، دار الثقافة، بيروت(د.ت)،ج 2 .
2- دار الفكر، بيروت، ط1(2003م).
3- تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)، ج2.

ويغلب عليه السرد العام دون تفاصيل، وقد اعتمدت على القسم الأندلسي، إذ وردت إشارات كثيرة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الأندلس، وقدم تفاصيل تتعلق ببعض الشخصيات عاشت في عصر الإمارة والخلافة، تناول أنواعــا من الصــناعات مثل صناعة الأسلحة والأنسجة وأمور تتعلق بدار الطراز.

ثالثــا: كتب الحسبــة

لقد احتجت بدرجة كبيرة إلى المصادر الفقهية، خاصة كتب الحسبة التي تعتبر مصدرا هاما في دراسة التاريخ الاجتمــاعي والاقتصادي، فهي تؤرخ للمجتمع الذي يعيش فيــه المحتسب، وتختلــف مناهجها من رسالة لأخرى في إصدار الأحكام الشرعية، وقد استوعبت غالبيتها التأريخ لمجــموعة من المهن والحرف التي كانــوا يمارسونها وكان لها قوانين وأمناء ومحتسبون.

لقد كان لهذا النوع من المصادر دور أساسي في فك الكثير من الغموض في بعض الجوانب التي اعترت البحث ومنها:

1- " أحكام السوق" ليحي بن عمر الأندلسي[1]، من أقدم المؤلفات التي تعود إلى منتصف القرن (3هـ/ 9م). وتنحصر قيمة هذا المؤلف، في كونه مجموعة من الآراء والفتاوى لفقيه من أكبر فقهاء عصره، فهو يطلعنا على دقائق الحياة الاقتصادية ببلاد الأندلس. وقد كان مصدرا أندلسيا أساسيا، فأمكنني من رصد جانب تقييمي لواقع الصناعة الأندلسية، ليس من الوجهة التنظيرية فحسب، بل تعدى ذلك إلى إعطاء صورة حية عن النشاط الصناعي والحرفي للمجتمع الأندلسي في زمن جد متقدم، وهو بذلك خدم زمن موضوع الرسالة عن قرب، فعولت عليه في التمهيد بتقديم صورة المجتمع الأندلسي للصناعة والصناع. هذا إلى جانب الاستفادة منه في مواضع عديدة من فصول هذا العمل.

1- تحقيق محمود علي المكي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد (1956م)، م4، العدد 1-2.

2- رسـالة"آدب الحسبـة والمحتسـب" لابـن عبد الـرؤوف أحمـد بـن عبد الله القرطبي(424هـ/1033م)[1] حافلة بالنقول عن الفقهاء السابقين لعصره، معتمدا في ذلك على "**واضحة** " عبد الملك بن حبيب (ت 238هـ/852م)* كما عبر عن القضايا والأحكـام الشرعية بطريقة فقهية موجهـة نحو إيراد أصلها من نصوص بعض الفقهاء. وهي الطريقة التي تجاوزها ابن عبدون.

3- ثلاث رسائل في الحسبة:رسـالـة "في القضـاء والحسـبة" لابن عبـدون، محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي(ق5هـ/11م)[2] : أصول مصادره الفقهية وأحكـامه مقننة موجـزة بعيدة عن التفصيل الفقهي وحصر موضوع رسالته في السوق وشؤونه، وبعض الأمور المتعلقة بحماية المشتري من المحرمات، والنظر في المكاييل والأوزان والمعاملات التجارية. وما يهم في هذه الرسالة ما ورد عن ابن عبدون في الصنائع والأحكام التي صدرت في حقها.

رابعا- كتب التـراجم والأنساب

تعد كتب التراجم من المصـادر التي تطلعنا على أمور الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الأندلس عصري الإمارة والخلافة، وهذا من خلال تعرضها لسير الأعلام من مختلف الشرائح الاجتماعية:

1- كتاب "جـذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس" لأبي عبـد الله محمـد بـن أبـي نصر فتوح الحميـدي(ت488هـ/1095م)، سـاعدني هـذا الكتـاب كثيـرا بمـا احتواه من معلومات قيمة عن دور العلماء الحرفـي. وأفـادني فـي ترجمـة العديـد من الشخصيات من حكام الدولة الأموية بالأندلس بدايـة بمؤسـس الإمـارة الأمويـة وانتهاء بولاية محمد بن هشام المهدي.

1- تحقيق الإدريسي فاطمة، دار ابن حزم، بيروت، ط1 (2005م).

* عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون، أبو مروان السلمي، فقيه مشهور متصرف في فنون الآداب وسائر المعاني، كثير الحديث والمشايخ، وله في الفقه الكتاب الكبير المسمى "**الواضحة** " في الحديث والمسائل على أبواب الفقه. الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1(2004 م)، ص 274 .

2- تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة (1995 م).

2- "**الحلة السيراء**" لابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله(ت658هـ/1260م)[1]، يتضمن أدب وشعر وتاريخ، وأخبار المغرب والأنــدلس منذ الفتح الإســـلامي إلى منتصف القرن (7هـ/14م)، وهو مقســم على قرون مستقلة تبدأ بالقرن الأول إلى السابع الهجري، وقد استفــدت منه ممّا أورده من روايات عن بعض الأمراء والخلفاء في الفترة المدروسة من البحث.

ومن كتب الأنساب "**جمهرة أنساب العرب**" لابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد ابن سعيد بن حزم (456هـ/1063م)[2]. تكمن أهميته في رصد القبائل العربية النازحة إلى الأندلس، وتبيان أصولها التي انحدرت منها، ولم يغفل مع ذلك ذكر أسماء مواطنها، كما أشار إلى العناصر التي اتصلت بالعرب في تلك المرحلة من تــاريخهم مثل البربر والمولدين واليهود.

خامسا: الدراســات الحديثــة

لقــد غطت الدراسات الحديثة، عربية كانت أو مترجمة وأجنبية معظم النقائص التي شحت بطون المصــادر عن ذكر تفاصيلها وبخاصة في الجانب الصناعي، واختلفــت حسب اختلاف موضوعاتها. وقد ركزت على الدراسات الأثرية التي لها الفضل في كشف بيان لا يرقى إليه الشّك في تعداد آثار الأندلس التي أحسن الصناع تشييدها حتى أضحت تحفة تفسر وجود الأثر الصناعي في حضن تلك الحضارة . وجاءت دراساتهم عبارة عن أبحاث تهتم بعرض تحاليل تمتاز بدقة متناهية في توضيح القيمة الحقيقية للمظاهر الصناعية، وما يرافقها من تقنيات تصنيع المادة بأدق التفاصيل وطريقة زخرفتها حسب النوع. وانصب عملهم على إبراز كل أثر مشرقي أو غربي، فحددوا بذلك هوية الصناعة الأندلسية، وخير دليل استعنت به كان "**الفن الإسلامي في اسبانيا**" لمانويل جوميث مورينوM . Gomez -Morino .

1- تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2 (1975م)، ج1،ج2.
2- تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4 (2007 م).

قدم هذا الباحث دراسة شاملة ووافية للآثار المتبقية من الحضارة الأندلسية. وقسم موضـوعه إلى تطـور العمارة والفنون من العصر الخلافي إلى عصر المرابطين وخصص فصلا لفنون المستعربين. كما نـاقش قضية الامتزاج الحضاري بين الشرق والغرب وظاهرة التأثير والتأثر في الفنون والعمارة الأندلسـية. وتضمن الكتاب تفاصيل دقيقة عن الصناعات المختلفة عن طريق دراسة نماذج للقى الأثرية سواء ما كان في المتاحف العالمية أو كان ضمن ملكية خاصة. وكان لدراسته فائدة كبيرة خاصة في فصل أنواع الصناعات وخصائصها من بدايته إلى نهايته.

أمّا **كتاب "قرطبة حاضرة الخلافة الأموية في الأندلس"** للسيد عبد العزيز سالم فلم يكن أقل أهمية من سابقه فهو يقع في جزأين، يتناول أولهما مدينة قرطبة في العصر الإسلامي حتى سقوطها في أيدي القشتاليين، وثانهما يتناول تخطيط وعمران مدينة قرطبة مع دراسة جوانب الحضارة القرطبية المختلفة، ويعتبر الكتاب من أهم المصنفات العربية في دراسة تاريخ مدينة قرطبة، مما أتاح لنا الاستفادة من مادته الغزيرة في العديد من جوانب البحث خاصة وأنه خصص دراسته على المجال الزمني لفترة هذا البحث.

ولقد كان كتابه "**التحف العاجية في العصر الإسلامي**" ذا فائدة في مجال الصناعة العاجية التي صنفها حسب مرحلتها الزمنية، ثم يعود لدراستها من حيث الزخرفة وتقنية التصنيع. استعنت به في تحليل مصدر العلب العاجية وتطور صناعتها.

أمّا كتاب " **الفنـون الزخرفية في المغرب والأنـدلس** " لمرزوق محمد عـبد العزيز[3]، فجمع بين التحف المغربية والأندلسية، وهو من أهـم الدراسات عن الحياة الاقتصادية والعمرانية للغرب الإسلامي، والتي تعتمد على تحليل مختلف التحف الصناعية، خاصة التي تتعلق بالعصر الأندلسي، وأثر فن هذه البلاد في الفن المغربي. واستفدت منه في كل نوع من أنواع الصناعات الأندلسية.

ولم أغفل دراسات الطاهري أحمد، خاصة كتاب "**عامة قرطبة**"، المتخصص في تاريخ الأندلس الاجتماعي والاقتصادي، وأفرد فيه المؤلف فصلا عن دور عامة

قرطبة الاقتصادي في عصر الخلافة، فأنارت معلوماته المتعلقة بالصناعة مختلف جوانب البحث.

وكان للدراسات الأثرية الإسبانية التي أجريت ما بين سنوات (1989-1995م) أثر كبير في هذا البحث مثل أطروحة سوزان جوميث مرتيناز Susana . Gomez Martinez , La Ceramica De mértola[1] التي كشفت عن الخزف من خلال البحث الميداني عن بعض اللقى الأثرية، وتعد هذه الدراسة من أهم الدراسات عن الصناعة الخزفية؛ إذ حللت طريقة التصنيع والزخرفة والتلوين، وكيف تطورت الأدوات الفخارية والخزفية عبر العصور. وشمل موضوعها إحصائيات ومقاربات وخرائط لتوزيع كل نوع من أنواع الخزف والفخار. وقد اعتمدت هذه الدراسة في قسم الصناعة الخزفية والفخارية في تحليل أنواع الخزف من حيث طريقة التصنيع.

لقد اختلفت المراجع الحديثة حسب موضوعها فمنها ما تعلق بالجانب الحضاري مثلما ذكرت آنفا، ومنها ما تعلق بالنشاط الاقتصادي مثل التجارة والتجار لكونستبل أولفيا ريمي، ومنها ما جمع بين السياسة والحضارة مثل تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس للسيد عبد العزيز سالم، وتاريخ البحرية الإسلامية وغيرها من الدراسات الأندلسية التي أثرت موضوع البحث، وسيرد ذكرها في قائمة المصادر والمراجع.

ونظرا لأهمية البحث تم الاطلاع على عدد من المقالات المتنوعة المنشورة، وما تجود به من أبحاث علمية ميدانية جديدة للآثار، ومن الدراسات المثمنة مقال للكحلاوي محمد محمد بعنوان "**دراسة توقيعات الصناع والفنانين على التحف المعدنية والعاجية**" الذي أفادني كثيرا في تحليل أحوال الحرفيين نظرا لما يتضمنه البحث من معلومات قيمة ينفرد بها عن غيره في مجال الدراسات الأثرية؛ إذ ألقى المؤلف الضوء على كل ما أنتجته أيدي فنانين أندلسيين من تحف ظلت تحتفظ

1- Juan zozay stabel hansen ,departamenode historia medeval ,Universitad complutense de Madrid .2003-2004

بأسمائهم. وكـــان يصبو من خلال دراستـــه إلى تحديد الأســـاليب الفنية لكل صانع وتخصصه المهني في مجال صنعته، وتمييز كل صانع عن غيره.

وكان لمقال السيد عبد العزيز سالم "**تماذج من التحف الفضية والتماثيل البرونزية من إنتاج دار الصناعة بكل من قرطبة ومدينة الزهراء في عصر الخلافة الأموية بالأندلس**" دور في مساعدتي على تحديد هوية الحرفيين خلال مرحلة موضوع هذا البحث.

كما كان للمؤلف نفسه مقال عن" **صور من المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة الأموية وعصر ملوك الطوائف من خلال النقوش المحفورة في علب العاج**" [1] وهو دراسة مرئية للتحف من خلال نقوشها وزخارفها التي تعرف بالحياة الاجتماعية في بلاد الأندلـــس، استعنت به في دارسة التوقيعات وطريقة الزخرفة.

ولم يكتف البحث بالاعتماد على ما هـــو ورقي ولكن تعدى إلى الاستعانة بما هو إلكتروني والبحث عن الجديد في الدراسات الأكاديمية الحديثة التي تنمي موضوع البحث. و بذلك تم الدخول إلى مواقع الدراسات الأندلسية. ومن مقالات التي اطلعت عليها:

مقال بعنوان "**الصناعة الغذائية في الأندلس**" للنعسان محمد هشام*، في شبكة الإنترنيت نشر بموقع "**أرض الحضارة-www.landcivi.com** -": أورد في مقاله معلومات هامة استمدها من مؤلفات الكتاب السابقين، وكلها مصادر نادرة ولم تتوفر على الرغم من الجهود المبذولة، وهي عبارة عن مخطوطات في الفلاحة وعلم النبات. تطرقت في مجملها إلى أدوات وطرائق استغلال مختلف المحاصيل الزراعية في مجال الصناعة الغذائية. والتي تعود إلى القرن (5هـ/11م) .وتمثلت في كتـــاب

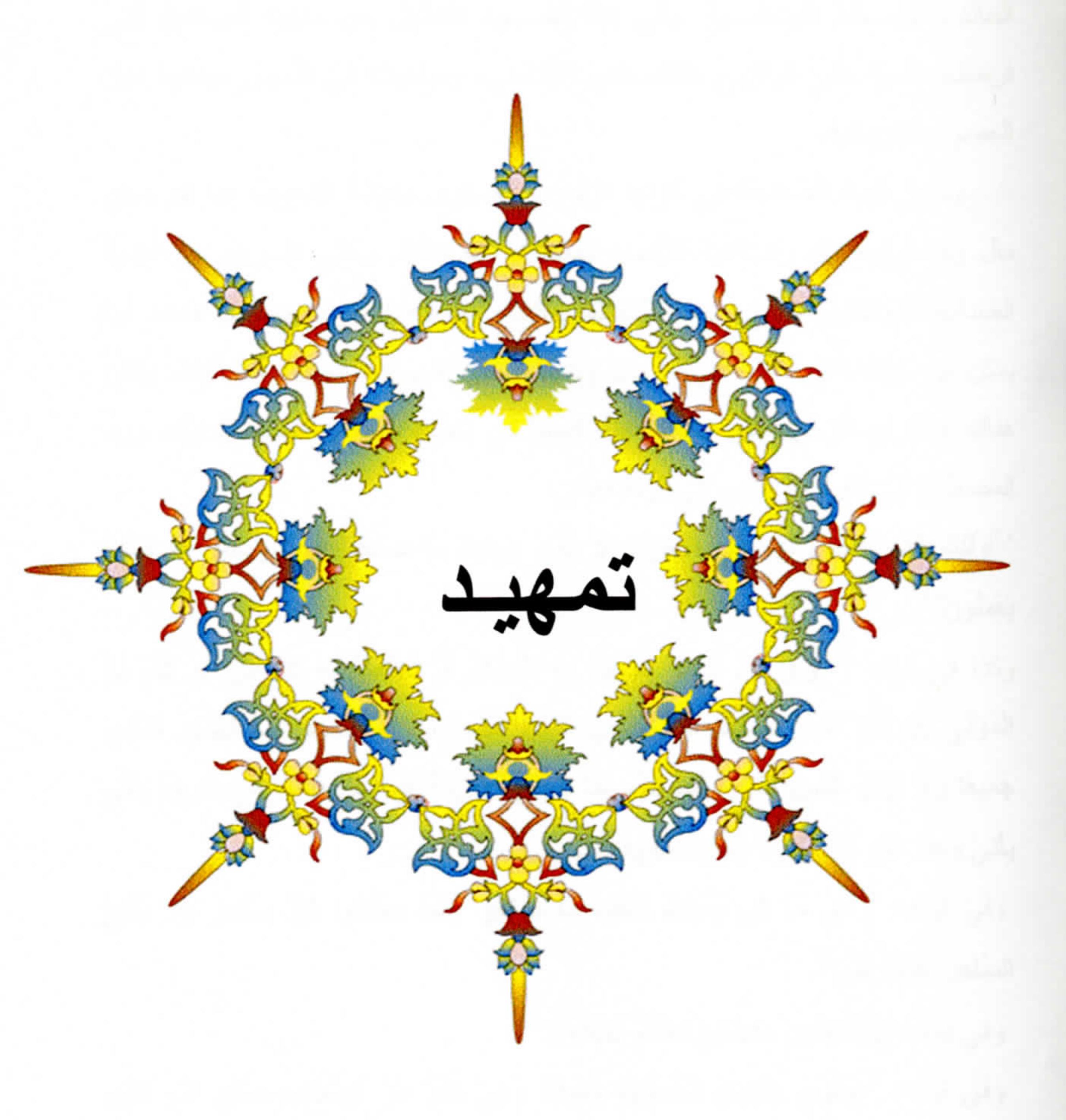
1- مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد (1976م -1978 م)، م 19.

* نال الدكتور النعسان محمد هشام درجة الدكتوراه في التراث العلمي العربي في جامعة حلب، وهو الآن رئيس قسم تاريخ العلوم التطبيقية والآثار في معهد التراث العلمي العربي ووكيله للشؤون العلمية سابقا، والأمين العام المساعد في اتحاد الجمعيات العربية لتاريخ العلوم، ورئيس مكتب الثقافة والإعلام في جامعة حلب وأستاذ الدراسات العليا في معهد التراث العلمي العربي، وهو عضو في العديد من الجمعيات واللجان كجمعية الآثاريين العرب، والجمعية العالمية للتراث الإسلامي، وقد أشرف على عدة رسائل ماجستير ودكتوراه وشارك في تحكيم الكثير منها، وهو مؤسس أول دورة لتحقيق المخطوطات في سورية. وله مشاركات في أكثر من -48- مؤتمر عربي ودولي، ومشاركات في بعض البرامج التلفزيونية، وطبع له -18- كتاب ما بين تحقيق وتأليف.- موقع ارض الحضارة-

"**المقنع في الفلاحة**" لابن حجاج الاشبيلي، "**وزهرة البستان ونزهة الأذهان**" لمحمد بن مـالك الطغنـري الغرناطي و**الفلاحة الأندلسية** لابن العوام الاشبيلي. وقد تمت الاستعانة بنصوصها في قسم الصناعة الغذائية في الأندلس لإثراء البحث.

وقد اطلعت على مواقع "**المتاحف الاسبانية**"، التي وجدت فيها مجموعة من الصور، خاصة موقع **متحف قرطـبة** " **www.rawicordoba.com" ومتحف الزهراء** "**. www.rawicordoba.com/azahara2** ". هذه اللقى الأثـرية نادرة، إذ لم تتناولها تلك الدراسات الحديثة. وبدت باهتة الصورة عند من اهتم بها، وغالبا ما تكون باللونين الأسود والأبيض . لذلك كان من الواجب تقديم نمـاذج لتحف أندلسية بصورة لائقة تعطي للدراسة قيمة فنية ونظرة واسعة على الصناعة الأندلسية. كما تم الاستعانة بتقنيات الإعلام الآلي الحديثة لتوضيح بعض الصور والخرائط. وذلك سعيا وراء تقديم الصورة الفضلى شكلا ومضمونا، وهي محاولة للحفاظ والاعتناء بالتراث الأندلسي على وجه الخصوص.

ولابد من الإشارة إلى ناحية مهمة، أني اقتصرت في بحثي ذكر المدن دون تحديد مواقعها، الغـرض من ذلك تخفيف الضغط على الهامش. وبالتـالي أضفت ملحقا لخريطة بلاد الأندلس، التي أجلت الغموض وجعلتها دعامة لبحثي.



تمهيد

لقد تنوع النشاط الاقتصادي في بلاد الأندلس بين زراعة وتعدين وتجارة، غير أن المشكلة التي تظل تواجه الباحثين عند تناول أشكـــاله، تكمن في البحث عن النمط السائد والأنمـــاط الهامشـــية. وفي هذا التمـــهيد نتساءل عن ماهية الصناعة التي فرضت نفسها على الواقـــع الاقتصادي الأندلسي، وساهمت في تأسيس ميدانها عبر العصور التاريخية.

وتبرز قيمة الصناعة في كونها ترفع من مستوى معيشة الشعوب بما تدره من مال وما توفره من رفـــاهية للإنسان بمقتنياتها المختلفة. وعلى الـــرغم من أهمية الصناعات وانتشارها في العالم الإسلامي كافة، إلاّ انه لا يوجد تعريف محدد لها يمكن من خلاله الاستدلال على هويتها وتمييزها بين الحرفة والعمل والصناعة. ولكن هناك استقرار الرأي على اتخاذ العلم كمبدأ في تحديد مفهوم الصناعة. ولقد ورد المصطلح في القرآن الكريم، في قوله تعالى:

" أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ"[1].

وكذا في قوله :" **وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاء اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ"**[2].

وفي قوله: **"وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى"**[3].

وفي قوله: **"وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ"**[4].

وفي قوله: **" وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ"**[5].

1- القرآن الكريم، سورة هود، الآية 16 .
2- سورة الرعد، الآية 31.
3- سورة طه، الآية 96.
4- سورة الشعراء ، الآية 129.
5- سورة النمل ، الآية 88.

هناك ارتباط بين مفهوم الصناعة والدلالة الفقهية، ودلالة اللفظ حسب تفسير ابن كثير[1] تجمع بين حقيقة الإتقان المهاري والإنجاز المعرفي والواقعي في خـدمة الإنسان، ومن أهم أدوات العمل على عمارة الأرض والاستفادة من خيراتها وقوانينها في الحياة. وشرح الفقه لهذا اللفظ يدل على طاعة أو نهي أو معصية، أو ينظم سلوكا ويعالج أزمة، أو يحفز على مصلحـة دنيوية وبالتالي يبقى خامدا لا يحمل جذوة التغيير الذي وضعه الله في الحياة .

ومما سبق ذكره، يتبين أن استعمال مفهوم الصناعة وروده في القرآن والفقه، يفتح لنا أبوابا من المعارف التي تعيد للصناعة دورها الحيوي في خدمة الإنسان والرقي بمجتمعه. وهذا يحتاج إلى معاجم تحوي في نصوصها المحدودة في ألفاظها دلالات لغوية تعتمد على الاستنباط العقلي، ويكفي أن نذكر تعريفا موحدا، وبصورة عامة هي حرفة الرجل الذي يعمل بيده[2].

وبالإضافة إلى هذا المفهوم اعتبرت الصناعة وجهة للكسب[3]، ومنهم من عدّ الصناعة مصطلحا مرادفا للعلم:" الصناعة أي العلم المتعلق بكيفية العمل. من أنها إما عملية أي يتوقف حصولها على ممارسة العمل أو نظرية لا يتوقف حصـولها عليها، فالفقه والنحو والمنطق أو الحكمة العملية والطب العلمي خارجة عن العملية. إذ لا حاجة في حصولها إلى مزاولة الأعمـال بخـلاف علم الخياطة والحياكة لتوقفها على

1- ابن كثيـر، تفسير القرآن الكريم، صحـح بإشـراف الشيخ خليل الميس مدير أزهر لبنان، دار القلم، بيروت(د.ت)، ج 2، ص 379، 445 /ج3، ص128، 294 ، 324.

2- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت(د.ت)،ج9، ص44 / محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت(1995م)، ص55، 155 / أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت(د.ت)، ص304 / محمد بن عبد الرؤوف المناوي، التوفيق على مهمات التعاريف، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت (1990م)ج1، ص 721 / محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي أبو عبد الله، المطلع على أبواب المقنع، تحقيق محمد بشير الأدلبي (1981م)، المكتب الإسلامي، بيروت(1981م)،ج1، ص135 / فكري أحمد، موسوعة المصطلحات جامع العلوم، تحقيق رفيق العجم، عبد الله ألخالدي، علي دحرج، محمد العجم، مكتبة لبنان، بيروت، ط1(1997م)، ص 538 / أبو الفتح ناصر الدين عبد السيد بن على بن المطرز، المغرب في ترتيب المعرب، تحقيق محمد فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط1(1979م)، ج1، ص 484.

3- ابن منظور، المصدر السابق، ج9، ص43،44 / محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي، المصدر السابق،ج1، ص 354 / أبو الفتح ناصر، المصدر السابق، ج1، ص 197.

الممارسة والمزاولة"[1]. وبنفس النظرة عـــرفها حجي خليفة في قوله:" الصناعة ملكة نفسانية تصدر عنها الأفعال الاختيارية منه غير روية، وقيل العلم المتعلق بكيفية العمل، الصنع إجادة الفعل وكل صنع فعل ولا عكس"[2].

نلاحظ من خلال هذه المعاني المترابطة في المفهوم النظري والعملي للصناعة، أنها تتخذ من الكسب والعمل حرفة الصانع الذي يجتهد ويبذل مجهودا في إنجاز أعماله مهما كانت قيمته اليدوية دون المعرفية. ولإبلاغ هذا المفهوم نتخذ من دراسة المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون عبد الرحمن نموذجا. فقد كان ممن وجهوا عناية خاصة إلى العمل وإلى الصناع في مقدمة تاريخه فأفرد فصولا بيّن فيها تفاصيل قد غفل عنها الباقون من المؤرخين والمفكرين، وقد تتبع مراحلها من مرحلة التعلم إلى قمة ما توصلت إليه الأمم من التفنن في الصنائع وتنويعها وتعميمها.

كما أولى هذا المفكر اهتماما بالصناعات وتعلمها باعتبارها نهضة حضارية تزدهر بها المجتمعات المتقدمة، وتنحط وتكون بدائية في المجتمعات التي لا تستوفي فيها شروط الترف والثروة ومقدار العمران خاصة، في قوله: "إن الصناعة بمهنها المختلفة رمز للحضارة، ولا توجد إلاّ في أهل الحضر ولا تكمل إلاّ بكمال العمران الحضري وكثرته"[3].

وتوسع ابن خلدون في تأصيل مفاهيم الصناعة وذكر مجالاتها، وأكد أن الصناعة " هي ملكة في أمر عمليّ فكريّ، وبكونـــه عملياً هو جسماني محسوس. والأحوال الجسمانيّة المحسوسة، نقلها بالمباشرة أوعب لها وأكمل، لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة، والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكـــرره مـــرة بعد أخرى، حتى ترســـخ صـــورته، وعلى نسبة الأصل تكون الملكة. ونقل المعاينة أوعب وأتم من نقل الخبر والعلم، فالملكة الحاصلة عنه أكمل وأرسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر، وعلى قدر (وجود) جـــودة التعليم وملكة

1- صديق بن حسن الفتوحي، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت(1978م)،ج1، ص60 / فكري أحمد، المصدر السابق، ص 538.

2- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت (1992م)،ج 1، ص 11.

3- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، ص 380،381 / شريط عبد الله، نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون في الاجتماع والسياسة والثقافة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر(1984م ، ص 100.

المعلم يكون حذق المتعلم في الصّناعة وحصول ملكته"[1]. والملاحظ أنه يمرر قوانين الصناعة على الفكر، فهو إذن يربط بين العمل اليدوي والفكري، مستخلصا بذلك أنه بحسب المدخلات الجيدة والصحيحة يكون المخرج كذلك. وهو ما اصطلح عليه بالتقنية[2].

كما يرى المؤلف نفسه أن الكسب يمثل قيمة العمل الإنساني، والكسب يزداد تبعا للعمل والجهد المبذول فيه. فيجتهد النّاس في المدينة لتعلم الصناعة إن كانت مطلوبة. والصنائع في نظره نوعان" منها البسيط ومنها المركب. والبسيط هو الذي يختص بالضروريات، والمركّب هو الذي يكون للكماليّات. والمتقدم منها في التعليم هو البسيط، لبساطته أوّلا، ولأنه مختصّ بالضروريّ الذي تتوفّر الدواعي على نقله، فيكون سابقا في التعليم ويكون تعليمه لذلك ناقصا. ولا يزال الفكر يخرج أصنافها ومركّباتها من القوّة إلى الفعل، بالاستنباط شيئا فشيئا على التدريج، حتى تكمل. ولا يحصل ذلك دفعة واحدة وإنما يحصل في أزمان وأجيال، إذ خروج الأشياء من القوة إلى الفعل لا يكون دفعة واحدة، لاسيما في الأمور الصناعية. فلا بدّ له إذن من زمان. ولهذا تجد الصنائع في الأمصار الصغيرة ناقصة، ولا يوجد منها إلا البسيط، فإذا تزايدت حضارتها ودعت أمور الترف فيها إلى استعمال الصنائع، خرجت من القوة إلى الفعل"[3].

تظهر من خلال هذا النص أقسام الصناعة التي جعلها المؤلف أكثر ملائمة لحاجات الناس ومتطلباتهم منها:

أ- الصناعـــات البسيطة

هـــي عبارة عن صناعات لا تتغير كثيرا عن صورة المادة الخام، وأهم ما تتميز به أنها تعتمد على المواد الخام المحلية، ومنها صناعة الحفارين والفخارين.

---

1 - المصدر نفسه، ص 381.

2- بلهواري فاطمة، النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن (4هـ/10م)، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، وهران (2004/2005م)، رسالة دكتوراه دولة غير منشورة، ص161.

3- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 381.

ب- الصناعـــات المركبة

هي الصناعات التي تعتمد على الإمكانيات، من حيث رؤوس الأموال والأيدي العاملة، ومواد الخام والخبرة الفنية. ومنها صناعة الحدادين والنجارين والكتانيين والدباغين وغيرها.

الصناعات بمعناها الواسع هي تغيير شكل المواد الخام لزيادة قيمتها، وجعلها أكثر ملائمة لحاجات النّاس ومتطلباتهم. ونوه المؤلف نفسه بالشعوب التي تفوقت في هذا المجال. كما لم يمانع بالتصريح أن العرب أبعد النّاس عـــن الصناعات وأوطانهم قليلة الصنائع لرسوخهم في البداوة منذ سنين طويلة، وذلك كما فسره في قوله :" أنهم أعرق في البداوة، وأبعد عن العمران الحضري، وما يدعو إليه من الصناعات وغيرها"[1]. ومن الثابت تاريخيا أن العرب من أهل المشرق اقتبسوا الصنائع من أصول وأساليب حضارة القبط والفرس واليونان والرومان وغيرهم من الحضارات التي سبقتهم، والتي عاصروها وتأثروا بها.

لم يكتف ابن خلدون بالحديث عن الصنائع في جانبها النظري بل دعمها بشواهد من وحي الواقع الذي عاصره في مختلف الأقطار الإسلامية في قوله :"أن رسوخ الصناعات في الأمصار، إنما هو برسوخ وطول أمدها، فمتى اتصلت الأيام وتعاقبت تلك الصناعات، حـــذق أولئك الصناع في صناعتهـــم، ومهروا في معرفتها"[2]. وقد ضرب مثالا عن ذلك بالحديث عن صناعة بلاد الأندلس في زمنه أي القرن (8هـــ /14م) في قوله: "وكذا الحال في الأندلس لهذا العهد: فإنا نجد فيها رسوخ الصنائع قائمة، وأحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعوا إليه عوائد أمصارها، كالمباني والطبخ، وأصناف الغناء واللّهو من الآلات والأوتار والرقص وتنضيد الفرش في القصور، وحسن الترتيب والأوضاع في البناء، وصوغ الآنية من المعادن والخزف وجميع المواعين، وإقامة الولائم والأعراس : وسائر الصنائع التي يدعـــو إليها الترف

1- المصدر نفسه، ص 384.
2- نفسه، ص 350، 351.

وعوائده، فنجدهم أقــوم عليها وأبصر بهــا، ونجد صنائعها مستحكمة لديهم فهم على حصة موفورة من ذلك وحظ متميز بين جميع الأمصار، وإن كان عمرانها قد تناقص. والكثير من بلاد العدوة وما ذاك إلا لما قدمناه من رسوخ الحضارة فيهم برسوخ الدولة الأموية وما قبلها من دولة القوط، وما بعدها من دولة الطوائف. وهلم جرا فبلغت الحضارة فيها مبلغا لم تبلغه في قطر" [1] .

وفي هذا السياق يقارن ابن خلــدون ما بين ما بلغتــه الأندلس من الرقي الصناعي في مختلف الميادين من المباني والملابس والمآكل والأثاث والأواني، وما بلغته بلاد العدوة المغربية من ناحية أخرى، وأرجــع ذلك إلى تناقص عمرانها وبداوة السكان وعدم اختلاطهم بالأمم الأخرى مثلما استفاد العرب والبربر في الأندلس من أنماط معروفة في ظل الحضارات التي كانت قائمة من قبل الإسلام. وللعرب وغيرهم قدرة على التدرب عليها وحذقها. وهذا لا يقلل من شيء في الصناعة الأندلسية ذات الجذور القديمة التي تعرضت لتجديدات وإضافات لم تكن موجودة من قبل وتبلورت لتصاغ في طابع مستحدث ومبتدع، بحيث أصبح من العسير لدى الخبراء تمييز مصادر تفاصيلها، بعد أن تحرروا من المؤثرات الشرقية كانت أو غربية.

تلك إذن الصورة النسبية لوضعية الصناعة المبنية على الرؤية الخلدونية. ورصد التفصيلات يقود إلى أن هذا النشاط ارتكز على طاقة بدائية لا تتجاوز مستوى الضروريات وسرعان ما تحولت إلى الرقي المحقق من مكاسب الحضارة وبخاصة نشأة المدن الجديدة والاتجاه إلى الحرف الأكثر تعقيدا، والتي لا توجد إلاّ ضمن الأطر الحضرية المكتملة[2].

وتجدر الإشارة إلى أن كتب التاريخ العام الأندلسية تضمنت نصوصها مختلف جوانب الحياة، إلاّ أن معظمها لم يول الاهتمام بمجال الصناعة والصناع، وجاء حديثها عنها عرضيا ضمن السياق العام. في حين أن كتب الحسبة الأندلسية وردت بها مادة فقهيــة تخص صنــاعة هذه البلاد ليس من الــزاوية التنظــرية بل تعــداها

1- نفسه، ص 382،383 .

2- بلهواري فاطمة، النشاط الاقتصادي في القرن (4هـ/10م)، ص 160 ،161.

إلى تصوير واقعها ضمن فضائها، وذلك بورود بعض الأحكام الشرعية لتنظيم فضاء المدينة بهدف الحرص على النظام العام، غير أن هذه المادة قد تساعد الباحث عن كشف النقاب عن بعض الفنون الصناعية الأندلسية من خلال تشديد أصحابها في تطبيق العقوبات عن مرتكبي الغش والحيـل من الصناع. وعلى سبيل الذكر: كتاب " **أحكام السوق**" "ليحي بن عمر الأندلسي".

حيث أشار في كتابه هذا إلى ما كان معروفا في أيامه، ولم يترك أهل حرفة دون أن يتكلم عنهم فوضح حالة الحرفيين والعلاقة بينهم وبين صاحب العمل، وضرب المثل بالطحانين[1]. كما نبه على الفقهاء في مراقبة وتعقب العمل المتداول في المدن الأندلسية، معتبرا أنهم المسؤولون الأوائل، كمنع ظاهرة خلط الزيت الرديء بالجديد[2]، ورفـع قدور النحاس التي لا تصلح لغير النبيذ[3].

وكذلك الأمر، بالنسبة لتزييف السكة من الدراهم والدنانير وخلطها بالنحاس، فإذا ظفر بصاحبها أمر أن يطاف به في الأسواق لينكله ويشرد به من خلفه لعلهم يتقون[4]. وشدد في عقوبة الطرد من السوق لصاحب الفرن الذي يخلط القمح الدنيء بالطيب، ولا يطحن القمح الذي يعمل منه الخبز حتى يغربله وينقيه من الحجارة والعشب[5].

وبالمثل، وردت إشارات عند مؤلفي كتب الحسبة عن بلاد الأندلس وهي تخص المرحلة اللاحقة من هذه الدراسة، غير أنها تختص بالصناعات والقضايا المتعلقة بها في كل زمان ومكان، ومن جملتها ما ورد في رسالة "ابن عبد الرؤوف" من اجتهادات فقهية تخص أصحاب المهن والصناعات مع تحديد واجباتهم نحو صنعتهم. وذلك فيما أورده في فصل "النـظر في الصناعـات "[6]، و"منع الحصارون من عمل الحلفة القصيرة في كل ما يعمل منها"[7].

1- يحي بن عمر الأندلسي، أحكام السوق ، ص 139.
2- المصدر نفسه، ص 116.
3- نفسه، ص 123.
4- نفسه، ص 104.
5- نفسه، ص 112.
6- ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة والمحتسب، ص 65.
7- المصدر نفسه، ص 93.

كما حصر "ابن عبدون" رسالته في السوق وشؤونه، وما يهم ما ورد عنه في الصنائع من أحـكام صـدرت في حقـها وعلى سبيل المثال: "يمنع الزجاجون أن يصنعوا أنية مشاكلة للخمر، وكذلك الفخار"[1].

وبهذا اختلفت نظرة المجتمع المسلم إلى الصناعات والحرف حسب طبيعتها ومردودها ومحيطها الاجتماعي، وبلغت الفنون الصناعية درجة كبيرة من التقدم بفضل رعاية أمراء وخلفاء بني أمية لها في أغراض الإنشاء والتعمير والفخامة والأبهة. وكانت مدينة الزهراء بقصورها الفاخرة المزينة بالذهب والمرمـر والبلور والعاج والخشب والجواهر النادرة أكبر أثر لبروز الصناعات وتفوقها، وهذا ما نبه إليه ابن خلدون في تحليله لهذا المجال" أن الصنائع كثيرة لكثرة الأعمال المتداولة في العمران"[2]. وبالتالي فإن لنمو وتوسع هذا الأخير في مرحلة الدراسة أثرا في تنويع الصنائع وازدهارها.

ولم يغفل الشعراء عن وصف القصور والبرك التي أسرت أنظارهم، وإذا كان الشعر في الأندلس ظاهرة أساسية من ظواهر البيئة، وتدخل في شؤون الحياة ووصفها، فإن هناك علاقة أخذ وعطاء بين الأدب الأندلسي والبيئة، وصورة الوصف في الأدب الأندلسي عامة والشعر خاصة كانت مصدرا من مصادر إبراز روعة ودقة الصناعات، إذ تخلل القصائد الشعـرية نوع من الإثـراء الفني، ذو الإبداع التقني في المجال الصناعي، والتي كثيرا ما تباهى بها الشعراء إلى الأمراء والخلفاء.

وقد وصف "عباس بن فرناس"* ما رأى من فخامة قصور الأميـر عبد الرحمن

1- ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص 43.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 385.

* عباس بن فرناس بن مرداس، عالم في الكيمياء والفلك وعلم العروض، ومن أهل الذكاء والتحكم في المعاني الدقيقة والصنـاعة، ويحسن علم الموسيقى. أبو بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ، ط2(1973م)، ص268 ،269.

ابن الحكم* مصورا ما فيها من ترف وفرط زينة فقال[1]:

حنايا كأمـــثال الأهلّة ركّــــبت على عمد تعتد في جوهر البـــدر

كـــأنّ من الياقوت قيست رءوسها على كلّ مسنون مقيض من السّدر

ترى الباسقات الناشرات فروعها مـــوائس فيها من مداولة الوقـــر

كأنّ صناعا صاغ يبن غصونـــه من الذهب البادي عراجين من تمر

بالغ الشعراء في وصف روائع قصور ومساجد مدينة قرطبة والزهراء، وما احتوت عليه مظاهر الترف والثراء مما لا يمكن أن يصدقه العقل، ولا يستسيغه المنطق، غير أن ما أسفرت عنه هذه الدراسة من نماذج اللقى الأثرية أثبت بصورة قاطعة صدق ذلك الوصف. ونترك ذلك إلى حين عرض أنواع الصناعات في بلاد الأندلس.

---

* عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (206-238هـ/822-852م) ذكره المؤرخون باسم الأمير عبد الرحمن الأوسط رابع خلفاء بني أمية في الأندلس، كان له حظ في الأدب والفقه وحفظ القرآن وشاعر. وشيد القصور وضرب السكة باسمه، وله غزوات كثيرة. ينظر ترجمته في كل من : ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص 121 / ابن الخطيب، أعمال الأعلام،ج2، ص 19 ،20.

1- أبو عبد الله محمد بن الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت (د.ت)، ص70 /الشكعة مصطفى، الأدب الأندلسي، دار العلم الملايين، بيروت، ط4(1979م)، ص 29 / يوسف عيد، الفنون الأندلسية وأثرها في أوربا القروسطية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1(1993م)، ص 34.



العوامل المؤثرة في النشاط الصناعي

أولا: المجتمع والوفرة الصناعية

1- الأجناس الأندلسية ومهنها.

أ- الوافدون.

ب- المحليون.

2- الديموغرافيا وإشكالية إحصاء اليد العاملة.

ثانيا: وفرة المواد الأولية:

1- الثروة النباتية.

2- الثرة الحيوانية .

3- الثروة المعدنية.

ثالثا: السلطة الزمنية وسياسة التشجيع والدعم.

رابعا: آثار الاضطرابات والأزمات والكوارث الطبيعية.

أولا: مجتمع الوفرة الصناعية

لما استقر قدم المسلمين في بلاد الأندلس، نزح إليها العرب والبربر من كل قبيلة، وهاجر إليها كثير من أهل المدن الإسلامية قاطبة، واتصل هؤلاء بسكان البلاد الأصليين من قوط وغيرهم وتجاوروا وتعايشوا وتزاوجوا، وأسلم كثير من المسيحيين واليهود، واندمج بعضهم في بعض بالمصاهرة وغيرها، وكونوا مجتمعا أندلسيا، وتشاركوا في كثير من الأعمال السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ونشأ بذلك جيل جديد له شتى الخصائص الحضارية.

إن مساهمة هؤلاء جميعا في صنع حضارة هذه البلاد مسألة في غاية الأهمية، ويتجلى هذا بوضوح في تلك الفئات الاجتماعية المتنوعة، التي استقرت بمختلف المناطق الأندلسية واحترفت مهنا متباينة. وفي هذا لنا أن نتساءل عن ظروف استيطان العناصر الوافدة على بلاد الأندلس؟ وهل لهذا التمركز الاجتماعي وتنوع مناطق الاستقرار دور في تنوع الأنشطة الصناعية ؟

1- الأجناس الأندلسية ومهنها:

ا- الوافدون:

شكل المجتمع الأندلسي فسيفساء من مجموعات مختلفة استمرت طيلة وجود المسلمين بهذه البلاد، وأسهمت في تطوير النشاط الاقتصادي؛ إذ عدّ العرب من الوافدين الأوائل والعنصر المتفوق الذي ظهر على شكل تجمعات عرقية متمايزة بعضها عن البعض في مختلف أنحاء الأندلس، وكانت موزعة بين القبائل القيسية واليمنية.

لقد قدمت الطلائع الأولى مع طارق بن زياد* وموسى بن نصير** وطليعة أخرى بقيادة الحر بن عبد الرحمن الثقفي*** في عام (97هـ/ 716م). وأطلق عليهم اسم **البلديين**[1] ومن رافقهم من الموالي يطلق عليهم **بالموالي البلديين**[2] ويرجع أصلهم إلى العدوة المغربية حيث كان بعضهم من الأفارقة والبعض الآخر من البربر الذين اعتنقوا الإسلام ورافقوا العرب في فتح الأندلس. أما الداخلون مع بلج بن بشر القشيري**** عرفوا **بالشاميين**[3] لأنهم كانوا من القبائل العربية الساكنة في بلاد الشام.

أقام هؤلاء الشاميين وفق نظام الأجناد، نزل أهل دمشق بإلبيرة، وأهل الأردن برية، وأهل فلسطين بشدونة، وأهل حمص بإشبيلية، وأهل قنسرين بجيان، وأهل مصر بباجة وقسما منهم بتدمير[4]، وهؤلاء هم الذين يسميهم "ابن حزم" الأجناد الستة في قوله في رسالة فضل الأندلس عن مآثر" أحمد بن محمد الرازي" ومنها كتاب ذكر فيه مسالك الأندلس ومراسيها، وأمهات مدنها وأجنادها الستة "[5].

---

* طارق بن زياد الليثي بالولاء(50 – 105هـ/ 670-723م) أصله من البربر، غزا الأندلس بأمر من موسى بن نصير، وفتح طليطلة، واتجه شمال وادي الحجارة ودخل مدينة سالم، ووصل نهر تاجة. وقد استدعاه الوليد بن عبد الملك مع موسى بن نصير إلى دمشق في سنة (96هـ/715م). المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق العريان سعيد، أصدره محمد توفيق عويضة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة التراث الإسلامي، القاهرة(1963م) ص34، 35 / ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص23.

** موسى بن نصير بن عبد الرحمان اللخمي (19 -97هـ/640-716م) فاتح الأندلس بعد طارق بن زياد، نشأ في دمشق وخدم بني مروان وتولى عددا من المناصب، واستعمل مولاه طارق بن زياد على طنجة وما والها، وأمره بغزو الشواطئ الأوربية، ثم لحق به لإكمال فتح الأندلس . الحميدي، جذوة المقتبس، ص 330.

*** في سنة (138 هـ/756 م) قدم الحر بن عبد الرحمن الثقفي أميرا على الأندلس لمدة ستة أشهر، ولي بعد مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير، بصفته عاملا لوالي إفريقيا. الحميدي، المصدر السابق، ص200 / الضبي، أحمد بن يحي بن احمد بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت (1997 م) ص287 / ابن القوطية، المصدر السابق، ص25 / ابن عذاري، البيان المغرب،ج2، ص 3 / مجهول، فتح الأندلس في عهد موسى بن نصير، تحقيق حساني مختار، مطبعة دحلب،الجزائر (د.ت)، ص32.

1- المصدر نفسه، ص 40 / ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص41، ص 108.

2- ابن حيان، المقتبس، تحقيق محمود علي المكي، ج3، ص 196،197.

**** بلج بن بشر القشيري من دمشق سيره عبد الملك بن هشام في مقدمة جيش كبير مع عمه كلثوم لقمع ثورة البربر ونزلا بالقيروان، وبعد مقتل كلثوم، حاصر البربر بلج فانجده أمير الأندلس بمراكب فسار فيها، واستضافه الأمير عبد الملك بن قطن ولما تمكن من نفسه ثار عليه وقتله، وكان يقيم بقرطبة ومات في أحد المعارك سنة (124 هـ /742م).المقري، نفح الطيب،ج3، ص19،22 / ابن القوطية، المصدر السابق، ص28/ الضبي، المصدر السابق،ص233.

3- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص 196،197.

4- ابن القوطية،المصدر السابق، ص32.

5- ابن حزم، رسالة فضل الأندلس وذكر رجالاتها، من كتاب المقري، المصدر السابق، ج3، ص 160 / عباس إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ص 364.

وإذا استثنيت المستقرين الاوائل من عنصر البلديين، والقادمين من الشام فإن العرب توزعوا في جميع أنحاء الجزيرة الأيبيرية، ويمكن تصور توزيع القبائل العربية في الأندلس لصلتها بالحياة الاجتماعية وذلك من خلال ما ورد عند كل من "ابن حزم" و"المقري" في الجدول التالي:

القبائل	الجهات	المصدر
بنو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان	إلبيرة ولهم بإشبيلية بيت واحد	ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 245.
بنو منذر بن الحارث من ثقيف	باجة	المصدر نفسه، ص 267.
بنو نمير	البراجلة	نفسه، ص280.
بنو قشير	جيان وعدد منهم بإلبيرة	نفسه، ص290.
بنو عقيل	جيان – وادي آش	نفسه، ص 292 .
بنو النّمر بن قاسط	حصن وضاح من عمل رية	نفسه، ص302 .
بنو عك بن عدنان	في الجوف شمالي قرطبة	نفسه، ص228.
بنو دوس	تدمير	نفسه، ص383.
بنو بجيلة	أربونة	نفسه، ص390.
بنو خثعم	شدونة وقوم بإلبيرة	نفسه، ص393.
همذان	إلبيرة	نفسه، ص397.
بنو الأشعر	رية	نفسه، ص398 .
يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة	بلنسية وجيان ومنهم العامريون بقرطبة	المصدر نفسه، ص295 / ابن حزم، المصدر السابق،ص419 .
بنو جذام	شذونة والجزيرة وتدمير وإشبيلية	ابن حزم، المصدر نفسه، ص 421/المقري، المصدر السابق، ص296.

القبائل	الجهات	المصدر
خولان	قرطبة وإلبيرة	نفسه، ص418 / المقري، المصدر السابق، ج1، ص295.
بنو لخم	شذونة والجزيرة وإشبيلية	ابن حزم، المصدر نفسه، ص 296.
ذو رعين	بالفحص المنسوب إليهم برية	المصدر نفسه، ص 434 / المقري، المصدر السابق،ج1، ص296.
بنو هوزان	بالقريتين المذكورتين بهما بإشبيلية	ابن حزم، المصدر نفسه، ص434 .
بلي	شمال قرطبة	المصدر نفسه، ص 443.
بنو عذرة	دلاية وجيان ولهم عدد بسرقسطة	نفسه، ص 450.
بنو قين	برية عدد عظيم منهم	نفسه، ص454.
بنو خشين	جيان وأعمال إلبيرة وعدد منهم بلبلة	نفسه، ص455.

ما يمكن ملاحظته من هذا الجدول أن تجمع العرب واستقرارهم كان على شكل قبلي متنوع، خاصة في المناطق الجنوبية لكن بأعداد قليلة مقارنة مع البربر. ويعود ذلك إلى الصراع المستمر بين القيسية واليمنية، وبين العرب من جهة وبين المولدين والمستعربين من جهة ثانية، وقد استغرق هذا النزاع سنوات طويلة في عصر الإمارة، وهي السمة الغالبة على هذا العصر[1]. وعلى الرغم من قلتهم إلاّ أن أحوالهم الاقتصادية كانت جيدة، إذ احتفظوا لأنفسهم بالأراضي الخصبة، واعتبروا ما فتحوه من أرض الأندلس غنيمة لهم، وهذا ما يدل عليه نص فريد للمؤرخ "ابن حزم" في "رسالة التلخيص لوجوه التخليص"؛ حيث قال " هذا مع ما لم نزل نسمعه سماع

1 - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 265.

استفاضة توجب العلم الضروريّ أن الأندلس لم تخمّس وتقسم كما فعل رسول الله فيما فتح ولا استطيبت أنفس المستفتحين، واقرت لجميع المسلمين كما فعل عمر رضي الله عنه فيما فتح ، لكن نفذ الحكم فيها بأن لكل يد ما أخذت. ووقعت فيها غلبة بعد غلبة ثم دخل البربر والأفارقة فغلبوا على كثير من القرى دون قسمة ثم دخل الشاميون في طالعة بلج بن بشر بن عياض القشيري فاخرجوا أكثر العرب والبربر المعروفين بالبلديين عما كان بأيديهم."[1]

أمام حاجة السكان إلى الابتعاد عن الحروب فإنهم امتلكوا الإقطاعيات وانتفعوا بالجهد اليدوي الزراعي والتصنيع، فاحترفوا نساخة الكتب، والعطارة وسبك شمع ونسج وغزل الكتان ونسج الحرير[2]. وكان الشاميون هم الذين أدخلوا تربية دود القز إلى مدينة جيان[3]. كما تميز الموالي بمكانة جيدة في المجتمع وبشكل خاص موالي بني أمية، فأشار صاحب أخبار مجموعة إلى مكانتهم في عصر الولاة بقوله: " وتتابع ناس من بني أمية ومواليهم وكثروا، وكانت بقرطبة بيوتات من موالي بني هشام وبني فهر وقبائل قريش وغيرهم"[4].

يمكن استخلاص نتائج مماثـــلة فيما يخص استقـــرار البربر بجانب العرب من المصادر نفسها التي زودتنا بالمعلومات الخاصة بالعنـــاصر العربية التي استوطنت بعد الفتح الاسلامي[5]، وعلى الرغـــم من أنّ النـــصوص الخاصة بهم كانت أقل عددا من تلك التي تخص العـــرب، لكنـــها تؤدي بالاعتقـــاد إلى دخـــول أعداد كبيرة منهم[6] ؛ إذ شكلوا غالبية الحملة مع طارق بن زيـــاد التي بلغ عددهم اثني عشر ألفا[7]، وازدادت هجـــراتهم إلى الأندلس ومشـــاركتهم في الأحداث السياسية فيـــما بعد.

1- ابن حزم، رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1(1981م)، ج3، ص175.
2 –ابن الأحمر إسماعيل، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط(1972م)، ص 23.
3- الصبيحي محمد إبراهيم، الحضارة العربية وأثرها في أوربا، مكتبة الوعي العربي، القاهرة(د.ت)، ص 130.
4- مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر(د.ت). ص 146.
5- مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق بوباية عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت (2007م)، ص 153.
6- للتفصيل في القبائل النازحة إلى الأندلس، ينظر ابن حزم الأندلسي،جمهرة أنساب العرب، ص495 وما بعدها.
7- ابن عذاري، المصدر السابق ،ج2، ص9.

وبالنسبة للأماكن التي استقر بها البربر فكانت تتميز بالتجمع القبلي، وهؤلاء الداخلون إلى الأندلس ينتمون إلى فرعين كبيرين هما البتر والبرانس، ومنهما تفرعت مختلف القبائل المغربية، مثل مصمودة وزنـــاتة وهوارة ولماية ونفزة ومكناسة ومطغرة وغيرها...[1].

تكرس استقرار البربر في الثغور الشمالية والمناطق الجنوبية، وقد أرجع سبب ذلك إلى الظروف السياسية والطبيعية، فحاولوا التكيف مع حياة هذه الثغور على النمط القبلي السائد في حياتهم[2]. وأصبحت لهم أماكن تنسب إليهم، ففي شرق الأندلس نجد موضعا في أحواز طرطوشة يعرف بمغراوة [3]. واستقر بنو دانس من مصمودة في الأجزاء الجنوبية من البرتغال الحالية بقصر دانس. وبالقرب من جيان حصن يعرف بحصن الهواريين، ولعشيرة لماية البترية إقليم في رية سمي باسمها[4].

يتصف التوزيع البربري في الأنـــدلس حسب بعض المؤرخين بعدم التكافؤ؛ إذ يختلف من منطقة إلى أخرى، فشهدت بعض المناطق من الثغر الأعلى وكورة تدمير وإلبيرة وجيان استقطاب أعدادا طفيفة، وتواجدت في شرقي الأندلس جالية بربرية متوسطة الكثافة، وحول طليطلة كثافة سكانية من مختلف العناصر البربرية[5].

من الملاحظ أن التجمعات البربرية تركـــزت في المنـــاطق الجبلية الريفيـــة، والمناطق السهلية الخصبة، وانعكـــس ذلك في تنشيط الحياة الاقتصاديـــة ؛ إذ احترف سكان الأرياف أنواعا من المهن وبخاصة ما يتصل بالـــزراعة، في حين مارس أهل الحواضر منهم حرفـــا مختلفة كالبـــناء ومواده وصناعة الأواني وغيرها ونستكشف هذا من خلال نص لابن الأحمر الذي أبرز فيه تخصص البـــربر في أغلـــب المهن بقولـــه : " أما البربر فإنهم احتـــرفوا بجلب البقـــر والقمح والسمن والزيت والعـــسل

1- المصدر نفسه، ص 495

2- حقي محمد، البربر في الأندلس، المدارس، الرباط، ط1(2001م)، ص 97، 98.

3- ابن غالب، قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها، ص 294.

4- العذري، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، ص 20، 120 / القز ويني زكريا بن محمد، آثار البلاد أخبار العباد، دار صادر، بيروت(د.ت)، ص544.

5- حقي محمد، المرجع السابق، ص88 / طقـــوش محمد سهيل، تاريـــخ المسلمين في الأنـــدلس، دار النفائس، بيروت، ط1(2005م)، ص 62 .

والصوف...وخدمة الفحم والخشب. وأهل الحاضرة منهم احترفوا ضفر الحلفة، وخدمة الأوعية أي السلل للزرع، وفتل القنب والمحاريث والبرادع للبهائم والحبال والشطاطيب لكنس الديار، وصيادة الطيور للأكل... وحملان الزرع إلى الديار وبيعه في الأسواق.. والبناء وطبخ الجير والجبص"[1].

إلى جانب هذا النمو الاجتماعي وإزدياد أعداد العرب والبربر، كان هناك اشتداد نفوذ الصقالبة في البلاط الأموي بالأندلس[2] كأداة للقضاء على العصبية العربية، وبدأ استخدام هؤلاء يتزايد ويتسع في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر(300-350هـ/912-961م) *.

كان الصقالبة من أصل أوربي، من عناصر الشعوب السلافية، سكان البلاد الممتدة من بحر قزوين شرقا إلى البحر الأدرياتي غربا. ولقد دأبت بعض القبائل الجرمانية على سبي تلك الشعوب السلافية وبيع رجالها ونسائها إلى المسلمين في الأندلس[3]، ثم أطلق عليهم العرب اسم الصقالبة وتوسع استعمال هذا الاسم على أرقائهم الذين جلبوهم من أية أمة مسيحية واستخدموهم في القصر الخلافي[4].

إنّ الصقالبة تمّ جلبهم عن طريق التجارة والحملات العسكرية، وجاء أغلبهم أطفالا حيث ربوا تربية إسلامية ودربوا على شؤون القصر، وعلى سبيل المثال أمر الخليفة الحكم المستنصر(350-366هـ/961-976م)* بإقامة خزانة بالقصر للطب،

1- ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، ص 24.

2- ابن الخطيب، المصدر السابق،ج2، ص41.

* عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، الملقب بالناصر لدين الله (300-350هـ/912-961م) أعظم بني أمية سلطانا وأطولهم في الخلافة. ينظر ترجمته: الحميدي، جذوة المقتبس، ص26 / مجهول، أخبار مجموعة، ص176 / ابن حيان،المصدر السابق، تحقيق بيدرو شالميتا،ج5، ص292 /ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص، 30،41 / الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوطي، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت(د.ت)، ص 265.

3 - ابن حيان، المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، ص 48 / دويدار حسين يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي(138-422هـ/755-1030م)، مطبعة دار الحسين الإسلامية، الإسكندرية، ط1(1994م)، ص13، 51،53.

4- العبادي أحمد مختار، تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت (د.ت)، ص 211.

* المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله (350- 366هـ/ 961 - 976 م) ، كان عالما فقيها جامعا للكتب، عاكفا على المطالعة، إماما في معرفة الأنساب والأخبار والرجال. توفي وعمره 63 سنة وخلفه ابنه هشام المؤيد. ينظر ترجمته عند: ابن الخطيب، المصدر السابق،ج2، ص42،43 /الحميدي، جذوة المقتبس، ص26،27 /الضبي، المصدر السابق، ص 12، 13/ الذهبي، المصدر السابق ج 8، ص 269.

فرتب لها اثني عشر صبيا من الصقالبة لتجهيز الأدوية المركبة[1]. وإلى جانب هذا استطاع عدد كبير أن يحتل مكانة عالية في المجتمع؛ إذ خصص الأمير عبد الله بن محمد(275-300هـ/888-912م)*؛ لفتاه الصقـلبي بدر الخصي مكانة للشورى مع الوزراء لرجاحة عقله[2]. وبطبيعة قربهم من الأمراء والأمويين فإنهم ساهموا في النشــاط الصناعي لاعتناء الأندلسيين بمماليكهم، وخصصوا لهم في دور الصناعة بالقصر مناصب حرفية كصاحب البيازة والصياغة جؤذر الفتى الكبير ومرسن الفتى الكبيــر** ودرى الصغير*** .

يبدو أن استخدام الصقالبة أخذ في الازدياد حتى بلغوا في عهد الأمير الحكم بن هشام الربضي(180-206هــ/796-822م)**** خمسة آلاف[4] ، ووصل عددهم بمدينة الزهراء عند وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس، وعدد النساء بالقصر ستة آلاف وسبعمائة وخمس[5]. يكشف هذا النص عن ازدياد اليد العاملة

1- ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2(1985م)، ص 113.

* عبد الله بن محمد، أبو محمد، ولي بعد أخيه أبي الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن سنة (275هــ-888م) وتوفي سنة(300هــ- 912 م)، دامت خلافــته خمسا وعشرين سنة، وكان أديبا، وشاعرا بليغا، واضطــرمت نــار الفتنــة في أيامه فتنغص عليه ملكه. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1997م)، ص14/الحميدي، المصدر السابق، ص25،26/ابن الخطيب، المصدر السابق،ج2، ص27،30 / ابن الابار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعرف، القاهرة ط2 (1985م) ،ج1، ص 120،124 / الضبي، المصــدر السابق، ص11 / ابن حيان، المصــدر السابق، تحقيق ملشورم أنطونيه، ص 43.

2- ابن حيان،المصدر نفسه، ص 113،131.

** جؤذر ومرسن من أكبر الفتية الصقالبة المقربين إلى الحكم المستنصر، خاصة وأن الخليفة قلدهم منصب عرفاء في دور الصناعة بالزهراء،وبعد وفاة الخليفة عارض جؤذر خلافة هشام المؤيد. فقتله المنصور بن أبي عامر.ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص392،387/ابن حيان،المصدر السابق، تحقيق عبد الرحمن حجي،ص 119.

*** دري الصغير من أشهر الفتيان الصقالبة في بلاط الحكم المستنصر' تولى حكم مدينة بياسة في بداية عهد الخليفة هشام المؤيد، ثم قتله المنصور بن أبي عامر. وهو الذي كان يتولى دار صناعة قرطبة، وتحت إشرافه تم صنع العلب العاجية كما سنرى في الفصل الأخير. ابن عذاري، المصدر السابق،ج2، ص392.

**** الحكم بن هشام بن عبد الرحمان بن معاوية، ثالث ملوك الدولة الأموية بالأندلس (180-206هــ/796-822م).المعروف بالربضي، وهو الذي أوقع بأهل الربض. وكان شاعرا، أديبا، شديد الحزم . ينظر ترجمته عند كل من: .ابن حيان، المصدر السابق ، تحقيق محمود علي المكي، السفر2، ص93، 104 / ابن الفرضي، المصدر السابق، ص12 / الحميدي،المصدر السابق، ص24 / ابن الأبار،المصدر السابق،ج1، ص 43،49 / ابن عذاري، البيان المغرب،ج2، ص 102، 104 / ابن الخطيب، المصدر السابق،ج2، ص 15، 18 .

4- ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار العلم ، بيروت (د.ت)،ج4، ص 277 .

5- ابن الخطيب، المصدر السابق،ج2، ص 41.

من قوى غيـــر محلية، واثـــر السلطة في تهميش القوى المحلية المنتجة.

ب- المحليـــــــون:

إن الدراسة الموضوعية للمجتمع الأندلسي منذ البدايات الأولى للفتح تستلزم دراسة الجزء الأكبر من السكان الأصليين، كالنصارى الذين كانوا يعيشون ضمن إطار الدولة الإسلامية، وأطلق المؤرخون المسلمون اسم المستعربين[1] على نصارى هذه البلاد، سواء أكانوا من أصل قوطي أم قدموا من المناطق الواقعة وراء جبال البرانس، ذات الجذور الفرنجية أو حتى على القادمين من المشرق والمغرب. وقد بقي هؤلاء على مسيحيتهم غير أنهم استعربوا باحتكاكهم مع الفاتحين، فقلدوهم لسانا وزيا.

لقد تمتع هؤلاء المستعربون بقسط وافر من الحرية والتسامح من قبل أمراء بني أمية وسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية، ويعدونهم من أهل الكتاب[2]. وقد جذب ثراء الأندلس، وسهولة النفاذ إلى مجتمعها أعدادا كبيرة منهم، الأمر الذي مكنهم من إيجاد مكانة في بلاط بني أمية من بينهم النصراني ربيع بن زيد* الذي تولّى أســـمى المناصب في بلاط الأمير الحكم بن هشام[3].

إنّ الأمر الأكثر أهمية بالنسبة للحكام في بلاد الأندلس أنهم حافظوا على التجمع المسيحي المستعرب رمزا لسياستهم، وللتشبه بأسلافهم الأمويين في دمشق، وهذا الجانب من السياسة الإسلامية ينطبق بشكل خاص على قرطبة حيث كان الأساقفة المسيحيون يقومون بدور السفراء والمترجمين حتى منتصف القرن (4هـ /10م)[4].

1- Mozarab : كلمة مشتقة من كلمة مستعرب بالعربية" الذي يزعم أنه عربي وليس بذلك". ميكيل دي إيبالز، المستعربون أقلية مسيحية في الأندلس المسلمة، ترجمه إلى العربية الجيوسي سلمى الخضراء،الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط2(1999م)، ج1، ص 234.

2- Lévi provençal, Histoire de l'Espagne musulmane ,T1,Maison neuve larose,Paris 1999,p132.

3- ابن الخطيب،المصدر السابق،ج 2، ص 16.

* يعرف بربيع القومس، من رجال الأمير الحكم الربضي، كـــان متولي المتعاهدين من النصارى. المصدر نفسه، ج2، ص 16.

4- ريموند شايندلين، اليهود في إسبانيا المسلمة، الجيوسي سلمى الخضراء، المرجع السابق، ص271.

بهذا عاشت الجاليات المستعربة مع المسلمين في القرى والأرياف جنبا إلى جنب، وكانوا ملاكا صغارا، ذلك أن القوانين الإسلامية منحتهم حق تملك الأرض[1]. وكان هؤلاء يغرسون الأجنات والفواكه ويقطعون الخشب[2]، ومنهم من ولي البحر فكانوا يجلبون الحوت والسردين، ويصنعون السفن وآلاتها[3]. ونظرا لاشتغالهم بالزراعة ساعدهم ذلك على معرفة خصائص النباتات والأعشاب، وتمكنوا من صنع الأدوية والعقاقير. وممن مارسوا مهنة الطب من النصارى نذكر: جواد الطبيب النصراني* خالد بن يزيد بن رومان**، ابن ملوكة النصراني***وإسحاق النصراني****.

في ظل التسامح الديني تمتع النصارى بقوانينهم الخاصة، شأنهم في ذلك شأن اليهود، الذين شكلوا العنصر الشرقي اليهودي، وقد تواجدوا في وقت مبكر في شبه الجزيرة الأيبيرية قبل الفتح الإسلامي لها، على إثر الإضطهادات التي تعرضوا لها على يد الرومان بفلسطين، فانتشروا في البلدان الواقعة على سواحل بحر الروم ويرجع أصلهم إلى قبيلة يهوذا الملكية[4]، ولم يتعرضوا في مستهل الحكم الإسلامي إلى المضايقات، بل سمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية بحرية.

تركز اليهود في الأماكن الحضرية في كل من غرناطة[5] وطليطلة وبيانه وطركونة، وأكبر الجماعات اليهودية تقطن بقرطبة[6] المركز الاقتصادي والسياسي.

1- المرجع نفسه، ص245.

2- ابن الأحمر،المصدر السابق، ص 24.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

* جواد الطبيب النصراني: كان في أيام الأمير بن عبد الرحمن، وله اللعوق و دواء الراهب والشرابات واللفوفات المنسوب إلى جواد. ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت، ط3 (1981م)، ص485.

** خالد بن يزيد بن رومان النصراني كان بارعا في الطب في زمانه، سكن قرطبة، وكسب بالطب مبلغا من الأموال والعقار، عالما بالأدوية الشجارية . المصدر نفسه، ص 485.

*** ابن ملوكة النصراني: كان في أيام الأمير عبد الله أول دولة الأمير عبد الرحمن الناصر وكان يصنع بيده ويفصد العروق، وكان على باب داره ثلاثون كرسيا لقعود النّاس. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

**** إسحاق النصراني : كان طبيبا مقيما بقرطبة مجربا صانعا بيده مشهورا في أيام الأمير عبد الله، صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تحقيق بوعلوان حياة عيد، دار الطليعة، بيروت، ط 1(1985م)، ص 187.

4- طقوش محمد سهيل، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 26.

5- Ahmed Razi , La description d'Espagne,p67.

6- كونستبل أوليفيا ريمي، التجارة والتجار في الأندلس، تعريب عبد الله فيصل، مكتبة العبيكات، بيروت (2002م)، ص 146.

وتوسع نشاطهم في تجارة الرقـــيق والذهــب[1]، وامتــهان حــرفة الصياغة[2]، وخيــاطة الملف والثياب وضفر القيطان الذي يخاط مع الثياب، ونسج العقد ونسج القلنسوة وتبطينها وصبغها وتصفيفها، وبيع وإصلاح النعال[3]. وامتلكوا السفن وكانوا تجارا بحريين[4]. وكانت في حيازتهم ضياع واسعة، فحققوا ثراء أتاح لهم التحكم في الحياة الاقتصادية. وقد وصف الإدريسي[5] يهود مدينة أليسانة بأنهم أغنياء مياسير أكثــر غنى مــن اليهود الآخرين في البلاد الإسلامية.

لقد وجد إلى جانب هؤلاء، المسلمون ذوو الأصول النصرانية واليهودية، الذين اعتنقوا الإسلام من الإسبان وأطلق عليهم اسم المسالمة[6] وعلى أبنائهم اسم المولدين[7]. ومن المؤرخين الذين ميزوا بين الطائفتين ابن حيان[8]، عندما تحدث عن أحداث (275 هـ/888م) واشتعــال الفتنة بالأنــدلس بقوله :" وتحــزبت المسالمة مع المولدين، وتميزت إليهــم نصــارى الذّمــة ، فصــار جميعهم إلبا على العرب قائمين بدعــوة عمر بن حفصون "*. في حين اعتبر ليفي بروفنسال[9] أن المولدين هم النصارى الذين اعتنقوا العقيدة الإسلامية وبالتالي فهو لا يفرق بين العنصرين أي المسالمة والمولدين.

1- محمد بن حــارث بن أســد الخشني القيرواني، قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيــم الأبياري، دار الكــتاب المصري، القاهرة، ط2(1989م)، ص 64.

2- كونستبل أوليفيا ريمي، المرجع السابق، ص 304.

3- السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس،ج 2، ص 144 .

4- ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 25.

5- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، م2، ص 570.

6 - ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق ملشورم أنطونيه، القســم 3، ص 51 / طقوش محمد سهيل،المرجع السابق، ص63 / ذنون طه عبد الواحد، دراسات أندلسية، المدار الإسلامي، ط1 (2004م) ، ص 80.

7- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

8- نفسه، الصفحة نفسها.

* عمر بن حفصون، كان من القائمين بالأندلس بأعمال رية سنة (275هــ/ 888م). ثار على الأمير محمد، والتجأ إلى حصن ببشتر، وكان جلدا شجاعا، ويقرض الشعر والجزل، وقد ألفت في الأندلس في أخباره وحروبه تواريخ مختلفة. الحميدي ، جذوة المقتبس، ص 293 / ابن عذاري، البيان المغرب، ص170وما يليها/ الضبي، بغية الملتمس، ص 377.

9- Histoire de l'Espagne musulmane ,T1,p180.

لقد كان عدد المسالمة والمولدين قليلا أول الأمر، ولكنه تزايد بالتدرج نتيجة لاعتناق أهل بلاد الإسلام وتأثرهم بمبادئه السمحة[1]. جرت هذه العملية على مرحلتين منذ القرن (2هـ/ 8م)[2]، الأولى كانت على نطاق واسع خلال عدة أجيال بعد الفتح مباشرة، لأن الكنيسة القوطية أضحت عاجزة عن تلبية متطلبات السكان من الناحية الرسمية بعد الفتح الإسلامي. والثانية جرت بشكل بطيء ومحدود تتمثل في احتكاك عامة المسيحيين بالسكان المسلمين.

هذه الجماعات تنتمي إلى الطبقات الفقيرة المضطهدة لا سيما العبيد، ولم يكن للمولدين الحق في أن يشاركوا في الأعمال الرسمية، وتجلت هذه السياسة منذ عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن(238- 273هـ/852-886م)[*]، الذي قال:" إن مذهبنا أن نقصر لخططنا هذه النبيهة على أبناء موالينا وأهل السوابق من خدمتنا، وأن نخلفكم فيمن بعدكم بما خلفنا به فيكم من قبلكم، ولو كنا فارقنا هذا المذهب لما اتصلت النعم في صلحاء موالينا وذوي القدمة في خدمتنا ، ولاستولى على هذه أهل التحرك من أبناء السوق وأبناء النّاس أولي الأعراق الدنية "[3]. يتبين من هذا النص أن الجماعات التي اعتنقت الإسلام كانت تنتمي إلى الطبقات الفقيرة وعلى درجة من الشقاء وتقوم بينهم وبين الدولة هوة سحيقة من سوء الظن وعدم الثقة. وقد جرى تهميشها من قبل الحكام، فظهرت بينها حركات مناوئة للحكم الأموي[4] بغرض تحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية. وليس معنى أن كل المسالمة والمولدين ينتمون إلى

1- ذنون طه عبد الواحد، المرجع السابق، ص80.

2- طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص64،65 / ميكيل دي إيبالز، المستعربون أقلية مسيحية في الأندلس المسلمة، ترجمة الجيوسي سلمى الخضراء، المرجع السابق ،ج1، 253.

* محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن عبد الملك بن مروان(238-273هـ/852-886م) كان أميرا عاقلا، وقد وسع علاقات قرطبة الخارجية اتجاه العدوة، وأقام روابط مع بني مدرار وأمراء سجلماسة وبني رستم أئمة تيهرت، وقام بغزوات كثيرة في جيليقية وبنبلونة . وفي عهده خربت ماردة وهدمت. ينظر ترجمته: الحميدي، المصدر السابق، ص 25 / ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص1 / الضبي، المصدر السابق، ص 10،11 / ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص21 / ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 121/ ابن الأبار، الحلة السيراء،ج1، ص113،114 /الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج8، ص262.

3- ابن حيان، المصدر السابق، محمود علي المكي، ص 144.

4- من ابرز زعماء المولدين:عمر بن حفصون في جنوبي الأندلس، عبد الرحمن الثاني بن مروان الجليقي في إقليم بطليوس في غربي البلاد من ماردة إلى المحيط الأطلسي، وبنو قسي في الثغر الأعلى، وديسم بن إسحاق في تدمير.ابن حيان، المصدر السابق، السفر2، ص481، 482 ، 502 / ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، 176، 199/ العذري، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، ص 12،11 / طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص 256.

طبقات فقيرة ولكن هناك من كان يتقلب في النعيم كما هو الحال مع مولدي إشبيلية حسب ابن حيان:" أغلظ أهلها شوكة وأوسعهم نعمة وأعزهم جانبا وأحضرهم عدة"[1]. ومنهم من تقلدوا وظائف لدى أمراء بني أمية، وعلى سبيل المثال أيوب بن عبد ربه، من مسالمة الذّمة، رشحه الأمير الحكم بن هشام لمنصب القضاء في إشبيلية ونواحيها[2].

أما أبناء السوق فاحترفوا صنع الخبز والسفنج والشواء، وصنعة القدور للطبخ وبيعها، وعصر الزيت، وتسفير كتب، وتزويق الخشب، وتزليج الرباع، وصناعة الصابون، ومنسج للحياكة والصباغة والضرب الدنانير والدراهم وحلي النساء، وخرط المرجان وبيعه، وخدمة الرخام[3].

اختلفت التركيبة الاجتماعية باختلاف الأصول فكان الأصل الرابع للموالي يعود إلى أصول محلية إسبانية مثل قسي قومس الثغر الذي أسلم على يد الوليد بن عبد الملك(86-96هـ/705-715م) واستمر ولاء أبنائه من بعده للأمويين بالأندلس[4]. واختصت قرطبة بكثرتهم حتى احتل بعضهم المراكز الاجتماعية المرموقة مما كان لهذا أثره في ازدياد نفوذهم ومراتبهم، وتعاظم مكانتهم ما بين القرنين الرابع والخامس للهجرة/العاشر والحادي عشر للميلاد، فوصفهم المقري في قوله: " ولهم جمرة "[5]، لذلك لجأ إليهم الأمير عبد الرحمن بن معاوية(138-172هـ/756-788م) * لإحداث تغيير سياسي ضد الفوضى العصبية بالأندلس. وازداد نفوذهم في عهد الأمير عبد الله

1- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق ملشورم أنطونيه، ص 85.

2- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الحراس، دار الفكر، بيروت (1995)،ج1، ص164 / ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص 15.

3- ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 25.

4- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 502.

5- نفح الطيب،ج3، ص 29.

* عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي(138-172هـ/756-788م) مؤسس الدولة الأموية بالأندلس والملقب بعبد الرحمن الداخل، هرب من دولة بني العباس إلى المغرب واستقر بمكناس حيث لحق به مولاه بدر بمال وجواهر. ومن هنا راح يرسل أنصاره في الأندلس واستولى على دار الإمارة بقرطبة . الحميدي ، المصدر السابق، ص 23 / مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق بوباية عبد القادر، ص 159، 169 / ابن عذاري، المصدر السابق،ج2، ص57،58 / ابن الابار، المصدر السابق، ج1، ص 35،36 .

ابن محمد إذ "..اجتمع في بيت الوزارة في أيامه أربعة رجال من وزرائه أقارب من بيت واحد من صميم"[1].

وفي إطار مشاركة هؤلاء في المجال الاقتصادي ذكر ابن الأحمر أنهم" كانوا يحترفون الدباغة والحياكة والخرازة وبيع النعال المخروزة، وبيع الحياك والجلابيب ونسجها.. وطحن برحا وخرط عود.. ونجارة خشب وعظم سرج، وصنع كسوة جياد، وسرير مكحلة، وخدمة فخار وغيره، وسبك حديد وآلة حرب، وصنعة نحاس." [2]

ثانيا: الديموغرافيا وإشكالية إحصاء اليد العاملة

إن دراسة المجال الديمغرافي من أصعب الدراسات التدقيقية في تحديد نسب السكان في مرحلة لا تحتفظ بنصوص إحصائية وتقريبية لحل إشكالية الديمغرافيا، والضّرورة تتحكم في إعطاء مجموعة من التعميمات، تقدم صورة بسيطة وموجزة تكشف عن الكثافة السكانية التي تتأثر بعوامل اقتصادية وسياسية وطبيعية.

والجدير بالذكر، أن البحث عن نسبة النمو الديمغرافي ترتبط بحل إشكالية اليد العاملة التي تمثل العناصر المختلفة من التركيبة الاجتماعية الأندلسية، وتؤثر بشكل مباشر في نمو الصناعة، وعرفت على فترات متفاوتة هلاك الطاقة البشرية حينا ونموها حينا آخر.

يرتبط الواقع الديمغرافي في بلاد الأندلس بواقعها الاقتصادي، وتمثل المرحلة الأولى من الفتح الإسلامي لبـــلاد الأنـــدلس فترة تأسيس الكيان السياسي، وتعد هذه الحقبة التاريخية الركيزة الأولى في التنظيم الاجتماعي، الذي ظل خليطا من الشعوب والقبائل. وبمجرد أن استتب الأمن والاستقرار بدأ التوازن السكـــاني في تعمير شبه الجزيرة الأيبيرية التي عرفت استقطابا سكانيا من جهة المشرق والمغرب والبلاد المسيحية.

1- ابن حيان، المصدر نفسه، ص5، 6 .

2- ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 24.

للوقوف على تحديد نسب السكان في الأندلس يمكن إعطاء صورة على التحركات السكانية وقضية الاستيطان منذ الفتح الإسلامي لهذه البلاد. وقد اختلفت المصادر بشكل كبير حول أعداد المحاربين الداخلين مع طارق بن زياد، إذ روي أنهم كانوا اثني عشر ألفا[1]، منهم " عشرة آلاف من البربر وألفين من العرب وسبعمائة من السودان"[2]. ومن جاز مع موسى بن نصير كان قرابة عشرين ألف فارس[3]، ولما دخل بلج بن بشر قرطبة كان معه عشرة آلاف من بني أمية وأهل الشام[4].

هذه الدفعات كانت من الداخلين إلى بلاد الأندلس وحددت مواطنهم بشكل أوسع فيما تقدم عرضه عن التركيبة الاجتماعيـــة، واتضح أن العرب كانوا يقيمون في المدن. وتميز استيطانهم بالكثافة في المناطـــق الجنوبية بتنوع القبائـــل العربية، لكن بأعداد قليلة مقارنة بغيرهم من العنـــاصر البشرية كالبربر بسبب توقف هجرتهم تقريبا منذ القرن (3هـــ/9م) [5]. وتشيـــر الإحصائيات إلى أنّ العرب القادمين من بلاد المغرب والشام كانوا قريبا من ثلاثين ألفا، ثم ارتفع هذا الرقـــم بعد عشرين سنة إلى ثلاثمائة ألف حيث انتشروا في مختلف المناطق الأندلسية[6]. غير أن هذا الإحصاء لم يقم على دليل علمي ولم يستند على نصوص موثقة، مما لا يمكن التحكم في هذه النسبة، وقد بدا تفوق عنصر البـــربر بسبب هجرتهم المتواصلة من بلاد المغرب إلى الأندلس على عكس العرب، وذلك لحرص الأمير عبد الرحمن بن معاوية على استقدام البربـــر في خدمته، وعلى سبيل المثال بلغ عدد جنده في صراعه مع يوسف

1- ابن عذاري، البيان المغرب،ج 2، ص 9 .

2- مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق بوباية عبد القادر، ص 153.

3- المصدر نفسه، ص 155.

4- نفسه، ص 157.

5- عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس منذ الفتح إلى بداية عهد الناصر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2 (1988م)، ج1، ص204.

6- خالد بن عبد الكريم بن حمود البـــكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس عصر الإمارة، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، (1993م)، ص 52.

الفهري* ثلاثة آلاف فارس [1]، وأشار ابن عــذاري إلى كثرة البربر بقوله:" وكانوا العدد الوافر الأكبر"[2]، وفي رواية أخرى لابن خلدون ذكر أن جيش هذا الأمير بلغ عشرين ألفا من البربر[3].

لقد ساهمت في السياق نفسه حــركة الازدهار والانتعاش المدني والاقتصادي، واهتمام الحكام بالإنشاء والتعمير، بظهور تجمعات سكانية خاصة في مدينة قرطبة عاصمة الخلافة التي احتضنت أكبر تجمع للسكان[4] ؛ إذ أحصيت قراها التي بأرباضها في أيام الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر(371-392هـ/981-1002م)** حسب الرواية " كانت مائتي ألف دار ، وثلاثة عشر ألف دار وسبعة وسبعين دارا ، هذه في دور الرعية، وأما دور الأكابر والوزراء والرؤساء والقواد والكتاب والأجناد وخاصة المــلك فستين ألف دار وثلاثمـــائة دار سوى مصــــاري الكـــراء "[5]، واعتبرها ليفي بروفنسال " تجمعا حضريا جد ضخم بالنسبة لذلك العصر"[6].

وعن كثرة عدد السكان في المدن ذكر ابن عذاري عند تناوله لأحداث ثورة هاشم الضراب*** "واجتمــع للضراب بطليطـــلة جمع عظيــم وخلــق كثر"[7]. وإذا عــدنا إلى نصه الســبق على إحصاء جند الأمير عبد الرحمن بن معاوية في صــراعه مع

* في سنة(128هــ/ 746م) ولي يوسف بن عبد الرحمن الفهري الأندلس ودخل في صراع مع عبد الرحمن بن معاوية حتى سنة (138هــ/755م) / ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 52، 66.

1-المصدر نفسه، ج2، ص 69.

2- نفسه، ص 76.

3- العبر،ج 4، ص 121.

4- المقري، المصدر السابق، ج 2، ص 485.

** أبو عامر محمد بن أبي حفص عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد الوليد بن زيد بن عبد الملك بن عامر الداخل إلى الأندلس مع طارق، كان من أهل العلم والأدب، بصيرا بالحروب وله غزوات كثيرة. تولى في أيام الحكم بن هشام القضاء والأمانات والسكة والبناء والشرطة، ثم ملك الأندلس بعد ذلك والعدوة.الحميدي، جذوة المقتبس، ص 30 / مجهول، تاريخ الأندلس، ص 216 ،236 / ابن عذاري، المصدر السابق،ج2، ص444،383.

5- مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق بوباية عبد القادر ، ص 77.

6- Histoire de l'Espagne musulmane ,T1,p 2 .

*** في سنة (214 هــ/ 829م) ثار هاشم الضراب بطليطلة فاستدعى (أهل الشر وبغاة الفساد في الأرض) وأغار على العرب والبربر وانتهت بهزيمته ومقتله سنة (216هــ/731م). ابن حيان،المصدر السابق،السفر2، ص422 إلى ص 442 / ابن عذاري، المصدر السابق،ج2، ص 125 / ابن خلدون، المصدر السابق،ج 4، ص 128.

7- البيان المغرب، ج2، ص 125.

يوسف الفهري نجد ارتفاع نسبة السكان بقوله :" فدخلنا رية في ست مئة فارس وخرجنا منها في ألفي فارس وخرجــنا من إشبيــلية إلى قرطبة في ثلاثة آلاف فارس "[1]. هذه المعطيات الإحصائية تكشف عن الأعداد الهائلة من السكان في المدن الأندلسية، وأعداد الجند هو الجزء المقسط من العدد الحقيقي للسكان في تلك المرحلة.

إذن، نحن أمام نقطة خلاف بين الدارسين في تعداد الكثافة السكانية وتضخيمها، فقد ورد عند الباحث الطاهري أحمد أن عدد سكان قرطبة قد بلغ نصف مليون نسمة[2] مستندا في ذلك إلى رأي أغلبية المؤرخين المحدثين[3]. وخلص الباحث بدر أحمد إلى أنّ عدد سكان الجزيرة الأيبيرية كان ثمانية ملايين نسمة منهم ستة يخضعون لملوك الطوائف[4].

كما تجدر الإشارة، إلى أن ضعف النمــو الديمغرافي تأثر بالظروف السياسية والاقتصادية والطبيعية، وفي هــذا السياق نورد نمــاذج من المجازر أهمها ثورة الربض* (202هـ/817م) ؛ حيث قتل الأمير الحكم بن هشام عددا ممن ساهموا في الثورة وأجبر آلافا عديدة إلى مغادرة الأندلس بالقوة وخرجــت طائفة نحو الخمسة عشر ألفا إلى البحر نحو المشرق حتى انتهوا إلى الإسكندرية، وقسم جاز إلى العدوة المغربية[5]. وكان من نتائج ثورة ابن حفصون " قتل الكثير من البشر"[6]، وفي الفتنة التي وقعت في القرن (5هـ/11م) مات الكثير من النّاس[7] . وكان للظــواهر الطبيعية

1- المصدر نفسه، ص 186.
2- عامة قرطبة في العصر الخلافي ، ص 27.
3- المؤرخون المحدثون هم: محمد عبد الله عنان، موريس لومبار، ليفي بروفنسال.المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
* الربض: هو إحدى ضواحي قرطبة ، يقع على الضفة اليسرى لنهر الوادي الكبير يمتد من ضفة النهر حتى بلدة شقندة المجاورة، وكان هذا الحي قريبا من مسجد قرطبة ومن قصر الإمارة ومن السوق الرئيسي. طقوش محمد سهيل، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 187.
4- المجتمع الأندلسي والمجتمع الاسباني في عصر ملوك الطوائف، دراسات تاريخية، العدد 15-16، لجنة كتابة التاريخ العربي، دمشق (1984م) ، ص 32.
5- ابن حيان، المصدر السابق، السفر2، تحقيق محمود علي المكي، ص 153/ ابن عذاري، المصدر السابق،ج2، ص 115 / المراكشي عبد الواحد، المعجب، ص 45 / ابن السماك العاملي، الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، م 11(1981م-1982م)، ص45، 46 .
6- ابن حيان،المصدر السابق، السفر2، ص120.
7- مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق بوباية عبد القادر ، ص 240.

اثر في إضعاف الطاقــة البشرية، فكانت المجاعة التي ضربت سنوات(133-134هــ/750-752م) قد أثرت في إنتشار الجوع والقحط فخرج أكثر النّاس إلى طنجة وزويلة[1]، وفي مجاعة(260هــ/ 874م) مات أكثر الخلق[2]، وقد أهلــك الوبــاء الذي ضرب الأندلس سنة (288هــ/901م) عددا لا يحصى من النّاس؛ إذ كان يدفن في القبر الواحد عدد كثير لكثرة الموتى[3]. من الصعب إذن تحديد عدد السكان على وجه التقريب واليقين.

إن التغير الذي طرأ على الطاقة البشرية يصيب بالضرورة اليد العاملة وهي العنصر الفعال في النشاط الصناعي، والوقوف عنده جزء من حل إشكالية النمو الديمغرافي. ومن الإشارات الدالة على وفرة اليد العاملة أن الخليفة عبــد الرحمن الناصر " قد استخدم في بناء مدينة الزهراء كل يوم من حذاق البناة ثلاثمائة والنجارين مائتان، ومن العمال والفعلة خمسمائة حاشا من كان يشترك في البناء من أعلاج النصارى"[4] . وقد أورد الإدريسي نصا هاما تحدث فيه عن وفرة المواد المعدنية بمناجم الأندلس وفيه وردت إشارة عن وفرة اليد العاملة في قوله:" وذلك أن المعدن (الزئبق) يخدمه أزيد من ألف رجل، فقوم للنزول فيه وقطع الحجر، وقوم لقطع الحطب لحرق المعدن وقــوم لعمل أواني لسبك الزئبق وتصعيده وقوم لشأن الأفران والحرق". وأضاف المؤلف نفسه بأن هذا المعدن يستخرج من باطن الأرض بنحو عمق لا يقل عن مائتي قامة وخمسين قامة"[5]. وعن تحليل هــذا النص، نثمن ما ذهب إليه الباحث الطاهــري أحمد[6] فإن أمر هذا المنجم يتطــلب عددا لا يستهان به من الصناع إلى جانب توفر تقنيات متطورة لعملية الاستفادة من هذا المعدن.

1- ابن عذاري ، المصدر السابق، ج2، ص 55 .
2- المصدر نفسه ، ج2 ، ص 152 .
3- مجهول، المصدر السابق، ص 200.
4- ابن غالب، قطعة من فرحة الأنفس، ص 300 / مجهول، المصدر السابق، تحقيق عبد القادر بوباية، ص204.
5- نزهة المشتاق، م2، ص581.
6- عامة قرطبة، ص106.

لقد تحدث ابن حيان في السياق نفسه عن مظـــاهر الوفرة الصناعية وذلك عند تطرقه إلى خبرة الأندلسيين في التصنيع، التي فاقت العدوة المغربية بقوله:" التمس موسى بن أبي العافية* القائم معونة الناصر لدين الله بأرض العدوة على بنيان معقله وإمداده بالفعلة والآلات إليها، فأجابه الخليفة إلى طلبه وأخرج إليه محمد بن وليد بن فشتيق رئيس المهندسين لديه مع ثلاثين بناء، وعشرة من النجارين، وخمسة عشر من الحفارين، وستة من الجيارين المحسنين لعمل الجير، وستة من الأشّارين لأشر الخشب، ورجلين من الحصارين، تخيّروا من حـــذاق طبقاتهم، واحتملت لجماعتهم آلاتهم وأعوانهم المتصرفة في صناعتهم التي يخاولونها"[1].

إنّ من الإشارات الدالة على وفرة اليد العاملة أن الأمراء والخلفاء كانوا يلجأون إلى العمال من اليهود والمسيحيين، وهناك أعداد كبيرة من الصقالبة ذوي الأصول المسيحية. وكان بالزهراء وحدها ما يزيد على ثلاثة آلاف وسبع مائة منهم ينفق عليهم من أموال الأمة[2]. وقيل ثلاثة آلاف خصي وتسعمائة وخمسين خصيا[3].

ومجمل الحديـــث، أن المسلـــمين في الأنـــدلس اعتمـــدوا في وقت مبكر على الإحصاء السكاني للمستوطنات البشرية، حيث كان المجتمع يؤلف مزيجا من العناصر البشرية المتباينة التي ساهمت بعقلياتها المختلفة في تكوين البيئة الأندلسية مما كان له أثره على النهضة الصناعية وتطورها.

وأخذت الموجة الحضارية تمتد إلى نواحي الأندلس، ومع أن أكثر المدن كان موجودا قبل دخول العرب، فإن أكثرها قد اتسع بقدوم المهاجرين وأخذ الانتعاش الاقتصادي في الظهور بهذه البلاد؛ حيث شغل السكان كل أنواع الأنشطـــة الصناعية

1-المقتبس، تحقيق بيدرو شالميتا، ج5، ص387 ، 388.

* موسى بن أبي العافية(313- 341هـ/925-952م): كان متمسكا بدعوة العبيديين من الشيعة ، وبانقراض دولة آل إدريس من فاس، تداول المغرب الأقصى العبيد يون ، وصفا الملك لموسى بن أبي العافية وقام بطرد الأدارسة. ودخل المغرب الأقصى والأوسط في ملكه، فخاطبه الناصر بدعوته على المنابر . وبذلك نقض طاعة الشيعة وبث دعوة الأمويين بأغمات. علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط(1973م)، ص83، 84.

2- ابن الخطيب، أعمال الأعلام،ج 2، ص 41.

3- مجهول، المصدر السابق، تحقيق بوباية عبد القادر ، ص208.

المعروفة آنذاك من الأكثر أهمية إلى أدناها، لكن مشاركتهم تتميز بالتباين بين الفترات الزمنية والاندماج المتوافق مع التطور التاريخي الأندلسي خاصة في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم، الذي تعتبر مرحلته الانطلاقة الحقيقية لهذا الاندماج بسبب تراجع العصبية العربية وتكيف الأجناس مع الحياة الأندلسية.

والحقيقة أن دور العرب في هذه الحضارة كان أكثر حضورا لوفرة المصادر التاريخية على مساهمتهم وندرتها بالنسبة لغيرهم من الأجناس. فالمادة التاريخية المكتوبة فيما يخص دراسة الجوانب المادية المتعلقة بالصناعة قليلة، لا تتجاوز الإشارات المتناثرة هنا وهناك، وقد سبقت الإشارة إلى أن أغلب المهن مورست في بلاد الأندلس نظرا لتوفر المواد الخام، وهذا ما سنفصله في حينه.

وعلى الرغم من ندرة المعلومات على نشاط الفئات الاجتماعية بمختلف أجناسها في بلاد الأندلس، إلا أنه يمكن القول أن المجتمع تميز منذ البدء بالمسؤولية الاقتصادية ونشط الأندلسيون في ممارسة الزراعة، وكل ما يتصل بها من مهن، وشهدت هذه البلاد الانتعاش الاقتصادي والامتزاج الاجتماعي والتفاعل الحضاري، وهذا ما جعل القادر على الكسب يتجه إلى حرفة تكفيه وتعينه على الحياة باستغلال الحاصلات النباتية والمعدنية في المصنوعات.

ثانيا: وفرة المواد الأولية

تمتد بلاد الأندلس على رقعة جغرافية شاسعة تتنوع من حيث التضاريس والمناخ وتعدد الأجناس، ووفرة المواد الأولية من المزروعات التحويلية والنباتات الطبيعية والثروة الغابية والمعدنية لذلك تنوع فيها النشاط الاقتصادي ما بين زراعة ورعي وتعدين وتجارة.

1- الإنتـــاج الــزراعي

ساهم الأندلسيون بقسط وافر في الميدان الفلاحي ودعم الاقتصاد، وذلك لخصوبة التربة وتنوع المناخ، وقد أشارت الكتب الجغرافـــية والأدبية[1] إلى كثرة المـــزارع وتنوع المحاصيل الزراعية في مناطق مختلفة. ومما اشتهرت به الأندلس طيب الفواكه فقد روى ابن الشباط أنها كانت " كثيرة الفواكه تكاد تدوم كل الأزمنة"[2].هذا إلى جانب الاستفادة من نقل بعض المنتجات من بلاد المشرق إلى الأندلس.

ومن جملة المزروعات التحويلية الأندلسية التفاح؛ إذ شبه الجغرافي الزهري تفاح أشبونة بتفاح أرمينية، وأن دور التفاحة منه ثلاثة أشبار أقل أو أكثر[3]. وتوفرت هذه الفاكهة في كل من مدينة شنترة[4] وقلمرية ووادي آش[5]. ومن الفواكه الشائعة التين الذي كان يزرع في مدينة شلب ويحمل إلى أقطار الغرب كلها، فذكر الإدريسي[6] أنه: " تين طيب علك لذيذ شهي"، وكان بمالقة أحسن لونا وأكبر جرما، وأنعم شحما وأحلا طعما[7]، يحمل إلى سائر الأقاليم حتى الهند والصين، وذلك مسافة سنة لحسنه وحلاوته وعـــدم دخول الســـوس فيه[8].كمـــا اشتهرت به مدن أخرى مثـــل مرسية[9] وقورية[10]

1- ابن الشباط المصري التوزري، قطعة من وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط، تحقيق العبادي أحمد مختار، من صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، م14، مدريد(1967م- 1968م) / مجهول، وصف جديد لقرطبة مقتبس من مخطوط في جغرافية الأندلس، تحقيق حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، م13، مدريد (1965-1966م)/ ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (د.ت)/ الزهري، كتاب الجعرافية، تحقيق محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية بمصر(د.ت)/ ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق على المنتصر الكناني، مؤسسة الرسالة، بيروت (1985م)/ البكري، المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت ط1(2003م)، م2 / ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، دار المعارف، القاهرة (د.ت) ،م1.

2- قطعة من وصف الأندلس وصقلية، ص100.

3- الزهري، المصدر السابق، ص 85.

4- الحميري، الروض المعطار، ص 164.

5- المقري، نفح الطيب،ج 1، ص 149.

6- الحميري، المصدر السابق، ص 178.

7- الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص 543 / ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 34.

8- مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزاوي، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1(1988م)، م 1، ص162.

9-حسين مؤنس،الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد (1959-1961م)، م7-8 ، ص 263.

10- الإدريسي، المصدر السابق، م2، ص 547.

ولقنت[1] وحصن قسطلة[2]. وتميزت هذه الفواكه بطيبها ونوعيتها الممتازة ووفرتها لدرجة تصديرها إلى الآفاق البعيدة من العالم الإسلامي كالهند والصين[3].

كما يعد العنب من المحاصيل الزراعية الهامة فهو يزرع في مناطق مختلفة من بلاد الأندلس، مثل قرطبة، وقورية، ومرسية، وباغة، ولبلة، وإشبيلية، وشذونة، وحصن ببشتر، وبيانة، ووادي آش، وشريش، ولقنت، ومالقة[4]. وتعددت استخداماته. وفي هذا السياق أبدع المسلمون في صناعة الطبخ وعلى وجه التحديد طرائق تجفيفه واستخراج الخل والعصير منه.

ومن المنتوجات التي دخلت الأندلس واشتهرت بزراعتها إنتاج التمور[5] في وادي آش[6]، وقصب السكر في كل من إشبيلية[7] وإلبيرة[8] وشنتجالة[9] وغرناطة[10]. ومن أصناف الفواكه الأخرى، الزعرور[11] والكمثرى والسفرجل والخوخ والأترج

1- الحميري، المصدر السابق ، ص 170.

2- الإدريسي، المصدر السابق، م2، ص 558.

3- المصدر نفسه، ص 565.

4- ابن غالب، قطعة من فرحة الأنفس، ص292، 295، 296 / الإدريسي،المصدر السابق، م2، ص543، 558، 573 / ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج3، ص11 / الحميري، المصدر السابق، ص34، 37، 59، 64، 164 / ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 34،35.

5- ارتبطت زراعة التمر بمجيء عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس، حيث نقل أشجار النخيل من الشام وزرعها في الأندلس. وقد خرج يوما إلى الحديقة فأثار منظر النخيل في نفسه حنين الشام، فقال شعرا بالمناسبة:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة	تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت: شبيهي في الغرب والنوى	وطول ابتعادي عن بني وعن أهلي
نشأت في أرض أنت غريبة	فمثلك في الإقصاء والمنتأي مثلي
سقتك غوادي المزن في المنتأي الذي	يسح ويستمري السماكين بالويل

ابن الأبار،الحلة السيراء،ج1، ص 378 / حسن الحلاق حسن، العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى(الأندلس، صقلية، الشام)، الدار الجامعية، بيروت (1986 م)، ص30،31 / حسن الحلاق حسن، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، ط 2(1999 م)، ص284.

6- ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج1، ص245.

7- ابن غالب، المصدر السابق، ص 293 / العذري، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، ص96.

- Ahmed Razi , La description d'Espagne ,p94.

8- الحميري، المصدر السابق، ص 24.

9- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص130.

10- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص 104.

11- العذري، المصدر السابق، ص 55.

والجوز والمقل والبطيخ[1]، وببلنسية حب الملوك الذي لا يوجد مثله في غيره من البلاد[2]. ومن الخضروات البدنجان واليقطين والسلجم والجزر والكرنب[3].

كما يعد الزيتون من أهم المحاصيل لوفرته وانتشاره في جبل الشرف بإشبيلية[4]، الذي وصف أنه:" لا تكـــاد تشمس منه بقـــعة لالتفاف زيتونه واشتباك غصونه"[5]، وقد وجد أيضا في شريش[6]وبسطة[7] ولبلة[8] وقبرة[*] واركش[**].

ومن المحـــاصيل الأخرى الجـــوز والبندق في مدينة سالم[***] واللوز بإشبيلية[9] والبلوط بحصن بطروشة بالقرب من قرطبة المفضل الطعـــم[10] وللشاعر العذري[****] قول في البلوط ففاضل بين التمر وبينه [11]:

تحن إلى البلوط حتى إذا أتت بلادا بها البلوط حنت إلى النخل

لقد ذكرتني أذرعات وهيجت غرام فؤاد سرمد الخفق والخبـــل

تعد الحبوب من أهم المحاصيل الزراعية في بلاد الأندلس، وتظهر أهميته في أنه غلة غذائية هامة للسكان، وفي مقدمتها القمح الذي يزرع في طليطلة، ومن خواصها أن حنطتها لا تســـوس على مـــر السنين، يتوارثها الخلف عن السلف[12]. ويتوزع إنتاج الحبوب في هذا الجدول كالتالي:

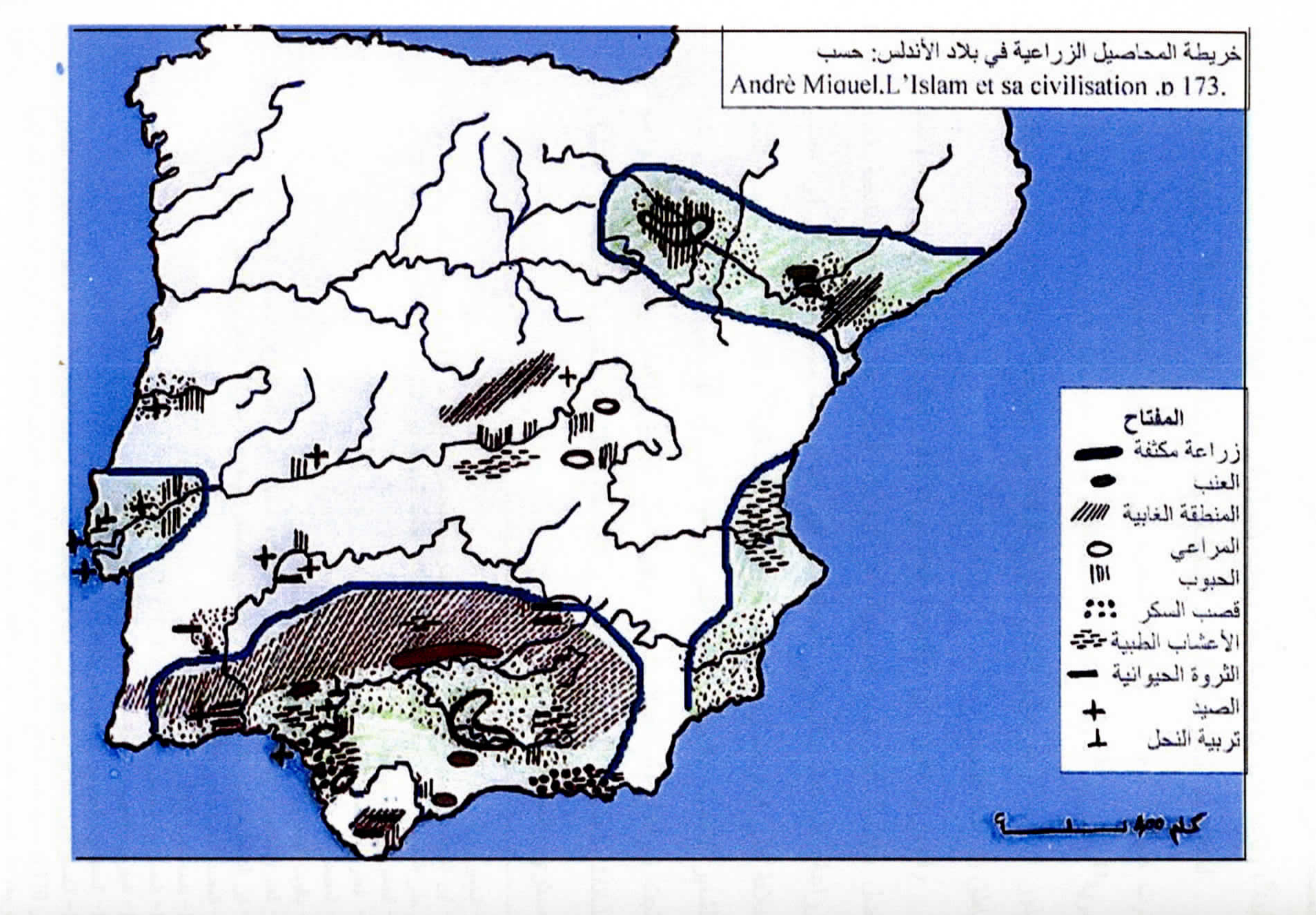
1- محمد بن أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني المصري، بيروت(د.ت) ، ج 1، ص 96.
2- الزهري، المصدر السابق ، ص 102.
3- ابن جبير، المصدر السابق ،ج 1،ص 96.
4- العذري، المصدر السابق ، ص 95 / المقري، المصدر السابق، ج1، ص159.
5- الحميري، المصدر السابق، ص 24.
6- المصدر نفسه، ص102.
7- نفسه، ص 45.
8- نفسه، ص 169.
* قبرة من أعمال قرطبة. ياقوت الحموي، المصدر السابق ،ج4، ص305.
** أركش حصن بالأندلس على وادي لكة . الحميري، المصدر السابق، ص14.
*** مدينة سالم شمال مدينة طليطلة . ياقوت الحموي ، المصدر السابق، ج3، ص172.أنظر الخريطة.
9- المقري، المصدر السابق، ج1، ص152.
10- الحميري، المصدر السابق، ص 143.
**** الأعربي العذري: شاعر من الحجاز أكرمه الأمير عبد الله ، كـــان فصيح اللهجة ذا قطع من الشعر. ابن حيان، المصدر السابق،ج 3، تحقيق ملشورم أنطونيه، ص 13.
11 – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
12- الحميري، المصدر السابق، ص 133

الإنتاج	المنطقة	المصدر
القمح	غرناطة شنترة، جيان قرمونة سرقسطة	ابن الخطيب، الإحاطة، م1، ص 104 / الإدريسي، المصدر السابق،م2، ص543، 550، 568، 573/ الحميري، المصدر السابق، ص46 ،300.
الشعير	جيان، المرية قرمونة غرناطة قرطبة	المصدر نفسه،ص296 ،300/ابن الخطيب،المصدر السابق، م1، ص115/البكري، المسالك والممالك، ص 386/ الزهري، المصدر السابق، ص 101.
الفول والحمص	سرقسطة	المقري، المصدر السابق، ج1، ص 197.
الذرة	غرناطة	ابن الخطيب، المصدر السابق، م1، ص 143.
الأرز	بلنسية	العذري، المصدر السابق ، ص 17.

إنّ الملاحظ من خــلال الجدول وخريطة توزيع الحبوب أن زراعته غطت مساحات شاسعة من بلاد الأندلس خاصة المناطق الجنوبية والشرقية منها، ومع أن إنتاجها كان موصوفا بالكثرة[1] فيمــا ورد عند ابن الخطيب[2] عن غــرناطة أنها:" بحر من بحور الحنطة "، إلاّ أن هذا الإنتاج لم يكن يلبي حاجات الاستهلاك المحلي خاصة فترات الجفاف والقحط [3].

إلى جانب الحبوب، يعتبر القطن من المحاصيل الزراعية الصناعية، وقد انتشرت زراعته في وادي آش[4] وإشبيلية[5]، وبسبب وفرته كان يحمل إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب[6]. وإلى جانب هذا كان الكتــان ينتج في كــورة إلبيرة[7]، ولاردة[8]، وباجة[9] ،

1- Ahmed Razi , La description d'Espagne ,p89 / ابن الخطيب، الإحاطة، م1، ص 104.
2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
3- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق بيدرو شالميتا،ج5، ص109،103، 124/ ابن عذاري،البيان المغرب،ج2، ص 25.
4- المصدر نفسه، ص 192.
5- ابن غالب، المصدر السابق، ص 293 / العذري، المصدر السابق ، ص96.
6- ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج1، ص195/ الحميري، المصدر السابق، ص 21.
7- المصدر نفسه، ص 192/ ياقوت الحموي، المصدر نفسه،ج1، ص 244/ ابن الخطيب،المصدر السابق، م1، ص 5 / ابن غالب،المصدر السابق،ص 284.
8- الحميري، المصدر السابق، ص168.
9- ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج1، ص164.



خريطة المحاصيل الزراعية في بلاد الأندلس: حسب
André Miquel.L'Islam et sa civilisation .p 173.

والعصفر في إشبيلية[1] ولبلة[2]. أما الزعفران فكان يزرع في طليطلة[3] وبلنسية[4] وأبدة[5]، وباغة التي يتوفر بها بكثرة حتى يحمل إلى سائر البلدان[6].

أما القرمز فأكثر ما يكون في إشبيلية[7] ولبلة[8] وشذونة[9] وبلنسية[10]، ويتوقف على التوت صناعة الحرير، ويكثر شجره في وادي آش[11]وحصن شنش بالقرب من المرية[12] وقلمرية[13]. وقد احتفظ القنب الذي جاء من بلاد فارس باسمه القديم البذور الملكية، وهو مثل الكتان تخرج أليافه من جذوعه[14] ولم تذكر لنا المصادر مناطق زراعة القنب.

وقصارى القول، أن الاقتصاد الفلاحي للأندلس شكل قوة الإنتاج الأساسية وذلك بفضل ملائمة الظروف الطبيعية، إذ توفرت البلاد على مساحات شاسعة قابلة للزراعة، فتنوعت بالتالي المحاصيل الزراعية. كما ساعد الاستقرار في عصر الخلافة على قيام مشاريع لتنظيم أمور الري والسقاية[15]، فتنوع الإنتاج خاصة القمح والشعير لأهميته بالنسبة للطبقة الفقيرة وهو الغذاء الأساسي لسكان الأندلس. كما أنتجت زراعات صناعية بكميات وفيرة مثل الكتان والقطن وقصب السكر، واهتم بالنباتات العطرية لصناعة العطور والأصبغة وبالثروة الخشبية خاصة في المجال العسكري والعمراني.

1- الحميري، المصدر السابق ، ص133.
2- ابن الشباط، المصدر السابق، ص 117 /العذري، المصدر السابق، ص111/ ابن سعيد الغرناطي، المغرب في حلى المغرب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (1997م)، ج1 ، ص261.
3- الحميري، المصدر السابق، ص133.
4- العذري، المصدر السابق، ص17.
5- المصدر نفسه، ص 61.
6- ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج11، ص362.
7- العذري،المصدر السابق، ص96 /البكري، المسالك والممالك، ص385/المقري،المصدر السابق،ج1، ص141.
8- ابن الشباط،المصدر السابق، ص117 /المقري،المصدر نفسه،ج1، ص141/البكري،المصدر السابق،ص385.
9- المصدر نفسه، ص 385.
10- نفسه، ص 385.
11- الحميري، المصدر السابق، ص102.
12- المقري، المصدر السابق،ج1، ص 164.
13- الحميري، المصدر السابق، ص102.
14- إكسبيراثيون غارثيا سانشيز، الزراعة في إسبانيا المسلمة، ترجمة الجيوسي سلمى الخضراء،المرجع السابق، ص 1370/ سعيد عبد الفتاح عاشور، سعد زغلول عبد الحميد،العبادي أحمد مختار، تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، دار المعرفة الجامعية، مصر (1998م)، ص 385،386 .
15- ابن خلدون، العبر،ج4، ص 114 / الحميري، المصدر السابق، ص179

2- النباتـــــــات الطبيعية

عرف الأندلسيون أهمية النباتات وخواصها، ويعود الفضل في ذلك إلى المؤلفات القديمة في علـــم العقاقير، التي ترجموها واستفادوا منها في مجال تحضير الأدوية ومن جملتها، كتاب الحشائش لديسقوريدس الذي أهداه إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر من إمبراطور بيزنطة أرمانوس[1]، فاهتم بكل ما ألف من المفردات الطبية وخصص لها عناية كبيرة من شرح واستدراك وتصحيح من العلماء. وربط هذا التقدم بتجارة العقاقير ومنتجات الزينة ذات المنشأ النباتي، وغدت بذلك الأندلس بستانا متصلا بجميع المناطق.

وقد اشتهرت الأندلس برياحينها وبساتينها وجناتها، وكانت الرصافة التي بناها الأمير عبد الرحمن بن معاوية على سفح قرطبة كلها حدائق وأشجارا نادرة من كل المناطق[2]. وتخللت منية الزهراء والزاهرة البساتين والروضات، وقد اشتهرت قبرة بجبل ينبت فيه ضروب النواوير وأصناف الأزاهير[3] مثل الورد والبنفســج والخيري والسوسن والنرجس والياسمين والريحان والحبق والقرنفلي والآس[4]، وكلها نباتات تدخل في صناعة العطور والعقاقير.

ولكثرة الورد في الأندلس، فقد أغرم الشعراء بوصفه أكثر من غرامهم ببقية الأزاهير، ومن ذلك قول الرمادي*:

للآس والسوسان والياسمين	الغضّ والخيريّ فضل شديــد
سادت به الأرض ومن بينها	وبين الورد فضل بون بعيــد

1- ابن عذاري،المصدر السابق،ج2، ص319 / المقري، المصدر السابق،ج1، ص364 / شبارو عصام، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، دار النهضة العربية، بيروت، ط1(2002م)، ص169.

2- Claudio Sanchez-Al Boronz,L'Espagne musulmane, traduction Claude Fragg i,Edition O P U / publisud .Paris ,1983, p338. /

دويدار حسين يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، ص 229 ، 233.

3- الحميري، المصدر السابق، ص 149.

4- الشكعه مصطفى، الأدب الأندلسي، ينظر فصل الزهريات، ص275 ،293.

* أبو عمر يوسف بن هارون الرمادي الكندي، شاعر قرطبي، كثـير الشعر مشهور عند العامة والخاصة آنذاك، ارتفع شانه أيام الحكم المستنصر.توفي سنة (403هـ/1012م). الحميدي، جذوة المقتبس، ص357 ،361 / ابن بشكوال، الصلة،ج10، ص 519 / عباس إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ص205، 222.

هل لك في الآس سوى شمة تطرحه من بعدها في الوقود[1]

ومن النباتات التي تضفي النكهة والرائحة الزكية على الأطعمة، النعناع والكراوية والمردقوش والشمار والكمون والكزبرة والكبر والشبت والسمسم والسنبل الطيب[2] والجنطيانة* التي تحمل من الأندلس إلى جميع الأفاق، وفضلا عن أهميتها هذه، فقد استعملت في تهيئة العقاقير.

وتتركز مناطق النباتات العطرية والطبية في دلاية (قرب المرية) حيث ينبت عود الألنجوج الذي يفوقه العود الهندي في عطر الرائحة. وبأكشونبة (غرب الأندلس) جبل كثير ما يتضوع ريحه بريح العود، وبشدونة العنبر الطيب[3]، وبجيان المحلب المعدود في الأفاويه[4] لا ينبت إلاّ بالهند والأندلس. وبجبل أبدة القسط الطيب المر المذاق[5]. وبغرناطة " العقار والأدوية النباتية ما لا يحتمل ذكرها"[6].

3- الثروة الغابـــــــية

اشتهرت الأندلس بوفرة شجر الصنوبر، وبخاصة في طرطوشة، وقد استعمل خشبه في البناء وفي المهن اليدوية، واتخذ من ثمارها غذاء لهم، وفوق هذا كان يستخدم لبناء السفن؛ وقد أطنب الإدريسي[7] في وصف هذه الثروة قائلا:" بجبالها خشب الصنوبر الذي لا يوجد له نظير في الطول والغلظة، ومنه تتخذ الصواري والقرى، وهو خشب أحمر صافي البشرة دسم لا يتغير سريعا، ولا يفعل فيه السوس ما يفعله في غيره ". وكذا توفر في حصن قيشاطة** حيث يوجد جبل يقطع منـــه الخشب الذي

1- المرجع نفسه، ص109
2- إكسبيراثيون غارثيا سانشيز، المرجع السابق، ج 2، ص 1378.
* الجنطيانة: عقار مر الطعم. ابن الخطيب، الإحاطة ، م1،ص105/ المقري، المصدر السابق ،ج 1، ص141.
3- البكري، المسالك والممالك، ص 385
4- . Ahmed Razi op;cit, p69 /المقري، المصدر السابق،ج1، ص 140.
5- المصدر نفسه،ج1، ص 141.
6- ابن الخطيب، المصدر السابق، م1، ص 105.
7- نزهة المشتاق، م2، ص 555.
** قيشاطة: حصن يقع بين كورة جيان ووادي آش. المصدر نفسه، م2، ص569.

تخرط منه القصاع والمخابي والأطباق وغير ذلك مما يعم بلاد الأندلس[1].

وتوفرت مدينة قلصة على شجر الصنوبر، وكان يقطع بها الخشب ويلقى في الماء ويحمل إلى دانية وبلنسية عبر النهر، فتملأ منها المراكب الصغار ويحمل إلى بلنسية منه ما كان عريضا فيصرف في الأبنية والديار[2].

وأخيرا بقيت الإشارة إلى أن الزراعة ازدهرت في بلاد الأندلس عصر الاستقرار، نتيجة للسياسة المنشطة التي اعتمد عليها الحكام. وتدهورت في ظل الثورات الداخلية التي أدت في النهاية إلى تخريب المزارع، لذلك فإن إنتاج المحاصيل غير ثابت، ويتأرجح بشكل مستمر بسبب تعرض المناخ للتقلبات الدائمة، والظروف والأوضاع التي كانت سائدة عصرئذ، مما جعل الزيادة في الإنتاج الغذائي تبدو ضئيلة، خاصة في فترات المجاعة والقحط والجفاف، مما شكل أزمة الغلاء، وهذا ما سنناقشه في موضعه.

4- الثروة الحيوانية

أشاد الجغرافيون العرب بكثرة المناطق الرعوية في بلاد الأندلس، ووفرة ثروتها الحيوانية حيث عمّ الانتفاع بلحومها وجلودها وألبانها وصوفها. وقد بالغ الجغرافي الرازي في وصف شهرة هذه البلاد بالثروة الحيوانية بقوله: "إن الأندلس كانت مغطاة بالماشية "[3]. كما أكد ابن عذاري هذه الوفرة وعجز عن إحصائها في قوله: "ومن البقر والغنم أن عجزوا عن ضبطه" [4]. وقد ورد عن ابن حيان[5] مدى اهتمام أمراء بني أمية بتنمية الثروة الحيوانية؛ إذ روى أنه في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن دخل الأندلس من المتاع الفاخر والرياش النادر والحيوان المستغرب والمستظرف ما لم يدخل في أيام من قبله من الخلفاء، وكان من أغارب

1- نفسه، الصفحة نفسها / الحميري، الروض المعطار، ص 165.

2- الإدريسي، المصدر السابق ،م2، ص 560.

3- Razi , op;cit , p62.

4- البيان المغرب،ج3، ص106.

5- المقتبس، تحقيق محمود علي مكي، ص 276.

ما دخلها من ذلك كله الزرافة، وكانت أول زرافة دخلت الأندلس[1]. وقد كان الأمير نفسه معجبا بالجواميس من دواب أهل المشرق مستدعيا لها من التجار مستكثرا منها[2] وعرف لبنها باللبن الجاموسي[3].

لم تكن تربية الحيوانات من أجل الغذاء فقط، بل اعتمد عليها في الملبس والمسكن، إلى جانب كونها وسيلة نقل للأشخاص والأثقال والعمل الزراعي في إدارة الطواحين. وقد مثل الرعي الحـــرفة الرئيسية لبـــدو المرتفعات الجبلية، وساعدت المراعي الكثيرة في زيادة الثـــروة الحيـــوانية. بالإضافة إلى ذلك شهدت المناطق الزراعية نشاطا رعـــويا، واشتهر سكـــان عدة مناطق بتربية الأغنام والبقر وذلك في كل من طليطلة[4] وقلمرية[5] وشذونة[6] وجزيرة قادس التي كان أكثر مواشيها المعز[7]. وعرفت البغال بكثرتها في مختلف المناطق خاصة قرطبة[8]. وقد حازت الخيول ذات النوعية الضخمة شهرة لارتباطها بعدة الحرب لأنها تصلح لحمل الدروع وثقال السلاح[9].

كما عرف الأندلسيون تربية الدواجن والطيور، وربيت دودة القـــز في مناطق تواجد أشجار التوت التي تتغذى من أوراقها. ويمكن الإشارة إلى دور النساء في انتقاء الشرانق ورعاية البيض من شهر فبراير إلى أن يفقس في شهر مارس من كل سنة[10]. وفي السياق نفسه ذكر الإدريسي أن بجيان " ثلاثة آلاف قرية كلها يربى فيها دود الحرير"[11]، وفي هذا النـــص دلالـــة على الوفـــرة والاهتـــمام بهذا النوع من التربية الحيوانية من أجـــل تصنيع مادة الحرير.

1- المصدر نفسه، ص 276.
2- نفسه، ص 276،277.
3- ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة والمحتسب ، ص101.
4- الحميري، المصدر السابق، ص 133.
5- الإدريسي، المصدر السابق، م2، ص 552.
6- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1 ، ص 222.
7- الحميري، المصدر السابق، ص145.
8- صورة الأرض، ص 109 / القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص552.
9- المقري، المصدر السابق،ج 1، ص199.
10- سعيد عبد الفتاح عاشور،عبد الحميد سعد زغلول،العبادي أحمد مختار،المرجع السابق، ص336 / دويدار حسين يوسف، المجتمع الأنـدلسي في العصر الأموي، ص 349.
11- نزهة المشتاق، م2، ص 568.

وإلى جانب ذلك، جرت العناية بتربية النحل؛ حيث كان العسل بأشبونة يمتاز بكثافة بحيث أنه لا يترك أثرا للرطوبة إذا وضعناه على خرقة[1]، ولجيان[2] وباجة[3] شهرة مماثلة في ذلك.

والملاحظ، أن الثروة الحيوانية كانت قليلة الأهمية في المناطق الزراعية، ذلك لأنه من الصعب في هذه المناطق المزدحمة بالسكان تخصيص مساحات كبيرة من الأرض لزراعتها علفا للحيوانات، على أن معظم الثـروة الحيوانية ارتكزت في المناطق الداخلية الجافة خاصة الغنم والماعز. كما خصصت المزروعات وتربية الماشية بصورة منفصلة عن بعضها البعض. وبوجه عام عرفت الثروة الحيوانية رواجا في الأسواق الداخلية والخارجية على حد السواء؛ إذ غدت طليطلة مثلا موضع تصدير البقر والغنم إلى مناطق أخرى[4].

لم يقتصر اهتمام الأندلسيين على تربية الحيوانات، بل تجاوز إلي استغلال الثروة السمكية بحكم الموقع الجغرافي المطل على بحر الروم وبحر المحيط، بالإضافة إلى الأنهار الكثيرة. فقد ساعدت هذه العوامل على انتشار مصائد الأسماك على طول السواحل الغربية والجنوبية والشرقية. وقد استفيد منها في صناعة تجفيف الأسماك واستخراج الجوهر لصناعة الحلي.

هذا، وقد احترف سكان السواحل صيد الأسماك، لوفـرته في كل من بزليانة* وبساحل أكشونبة[5] وجـزيرة شلطيش[6]، ومدينة المنكب[7]، ومـالقة، وعن هذه الأخيرة روى ابن حيان أن الخليفة عبد الرحمن الناصر " كسر بمالقة ثلاثة أيام مستريحا يلعب بين يـديه المراكب، وتصطـاد أمامه أنـواع السمـك البحري "[8]. وفي هذا إشـارة

1- Razi , op;cit ,p 90 .

2- الإدريسي، المصدر السابق، م2، ص 568.

3- ابن سعيد، المصدر السابق،ج1 ، ص326.

4- الحميري، المصدر السابق، ص 133.

* بزليانة: قرية قريبة من مالقة. المصدر نفسه، ص44.

5- ابن غالب،المصدر السابق، ص291. أكشونبة مدينة يصل عملها بعمل أشبونة ، ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج1، ص240.

6- المقري، المصدر السابق، ج1، ص167،168.

7- الإدريسي، المصدر السابق، م2، ص 564.

8- المقتبس، تحقيق بيدرو شالميتا،ج5، ص223.

إلى تنوع الأسماك في السواحل الأندلسية، واهتمام الحكام بهذه الحرفة زاد من اقتنائها داخل القصر، حيث كان الخليفة نفسه " يفتت في كل يوم ثلاثون خبزة برسم حيتان البحيرة التي في القصر(أي قصر الزهراء)"[1].

اشتهرت إشبيلية بالحيتان الغليظة كالبوريات والشوابلات وغيرها وكان يوجد الجوهر في صدفه[2]. وانفرد ساحل شذونة بتوفر حوت التنّ دون غيره من سواحل الأندلس، والذي يظهر في أول شهـر مايو ولا يرى إلا في الوقت نفسـه من العام الأخر[3].

يلاحظ مما سبق، كثرة الإنتاج السمكي في الأندلس، خاصة في المدن الساحلية. وممارسة هذه البلاد لأنواع مختلفة من الصيد، مثل الصيد الساحلي والصيد الفصلي والصيد في البحار، كما لا نستبعد احتكار السلطة الحاكمة امتلاك السفن والمراكب، التي تقوم باستغلال المناطق الغنية بالأسماك.

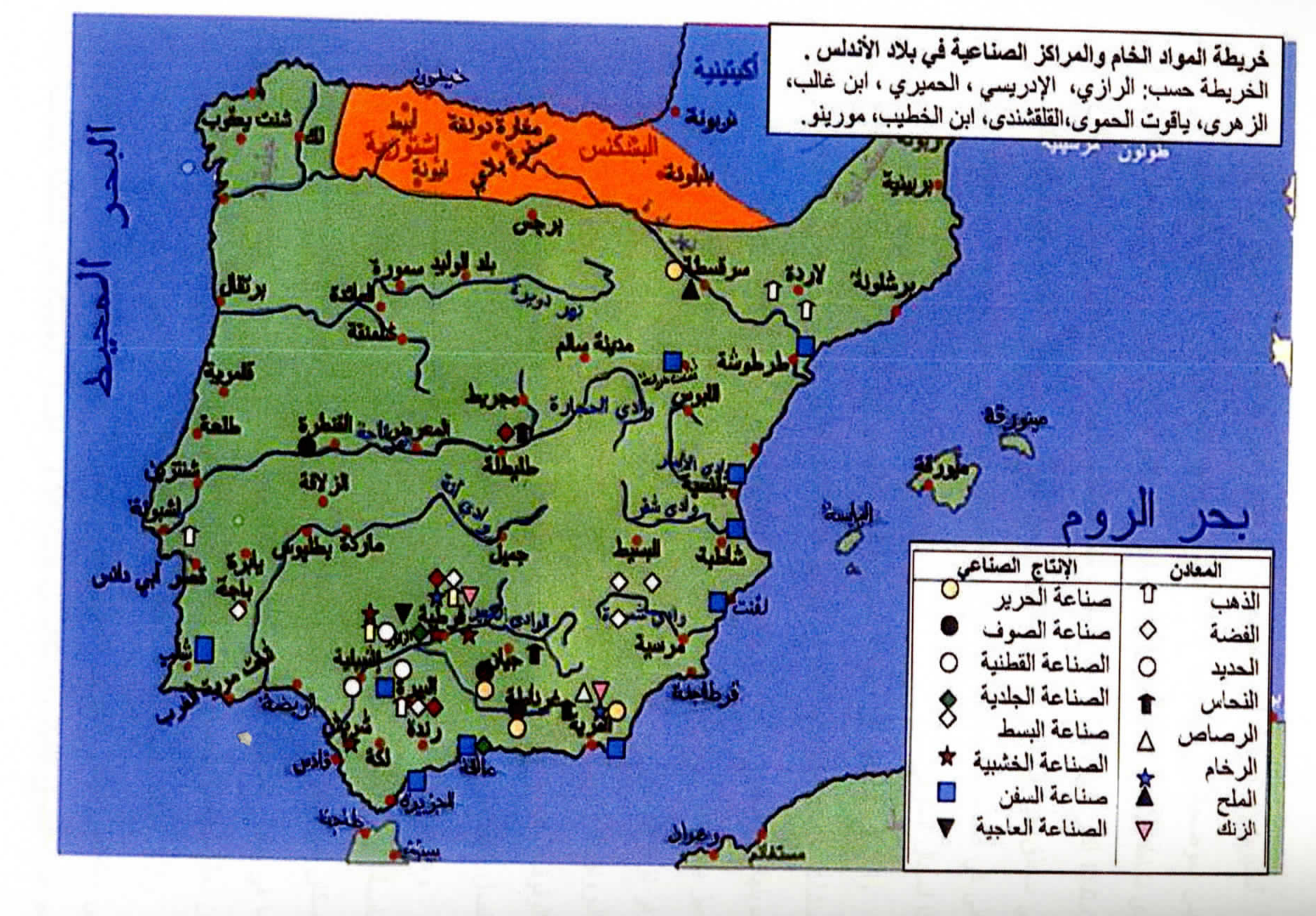
6-الثـــروة المعـــدنية:

تنوعت المصادر الجغرافية التي اهتمت بالإشارة إلى وفرة المواد الخام المعدنية في بلاد الأندلس[3]، وسأوضح في الجدول الآتي مواطن تواجده :

المعدن	المنطقة	المصدر
الفضة	كرتش، مرسية، إلبيرة، قرطبة، تدمير، شنترة	مجهول، وصف جديد لقرطبة، ص 181/البكري ، المصدر السابق، ص129، 386 / المقري، المصدر السابق،ج1، ص143/ الحميري، المصدر السابق، ص 24،183 / ابن غالب، المصدر السابق، ص 283/ ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج1، ص 244 / المراكشي عبد الواحد، المعجب، ص 448 / Razi , op;cit ,p66.

1- مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، تحقيق أمبروزيو أوبثي ميراندا، مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد(1961م-1962م)، ص81.
2- الزهري، كتاب الجعرافية، ص 88.
3- الحميري، المصدر السابق، ص101.
4- Razi , op ;cit ,p 63

المعدن	المنطقة	المصدر
الذهب	شنت ياقوه إلبيرة–غرناطة ساحل أشبونة وادي لاردة	ابن الشباط، قطعة من وصف الأندلس، ص120/ الحميري، المصدر السابق، ص24،16 /ابن الخطيب، الإحاطة، م1، ص 104/الزهري ، المصدر السابق، ص 82 ، 95 / . Razi , op;cit ,p66
الرصاص	إلبيرة برجة من أعمال المرية	الحميري، المصدر السابق، ص24/ المقري، المصدر السابق،ج1، ص150 / المراكشي عبد الواحد ، المصدر السابق ، ص 448 / .Razi , op;cit ,p66
النحاس	إلبيرة طليطلة	ياقوت الحموي ، المصدر السابق، ج1 ، ص 244/ المقري، المصدر السابق،ج1، ص 200 / .Razi , op;cit ,p66
التوتيا	إلبيرة قرطبة	ابن الشباط، المصدر السابق، ص 102/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص244/ الحميري، المصدر السابق، ص 24 /القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، ص 552.
حجر البجادي	أشبونة	البكري، المسالك والممالك، ص 385
الياقوت الأحمر	بمالقة	المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
حجر الشادنة	بجبل قرطبة	نفسه، الصفحة نفسها.
حجر المغناطيس	تدمير، سرقسطة	نفسه، الصفحة نفسها. .Razi , op;cit ,p78
معدن الكحل	بسطة، وطرطوشة	المقري،المصدر السابق، ج1، ص143 / البكري،المصدر السابق، ص 386.
الملح	سرقسطة يابسة	ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 3، ص212. الحميري، المصدر السابق، ص 198. .Razi , op;cit ,p78
المغنيسيا	إلبيرة	المقري، المصدر السابق، ج 2، ص 142.
الشب	قرطبة	القزويني، المصدر السابق، ص 552.
الصفر	إلبيرة	المصدر نفسه، ص 502.
الرخام	طركونة جبل قرطبة	الحميري، المصدر السابق، ص 126. المقري، المصدر السابق،ج 1، ص 201.
الزئبق	قرطبة	الحميري، المصدر السابق، ص 10.



خريطة المواد الخام والمراكز الصناعية في بلاد الأندلس.
الخريطة حسب: الرازي، الإدريسي، الحميري، ابن غالب، الزهري، ياقوت الحموى، القلقشندى، ابن الخطيب، مورينو.

اشتهرت بلاد الأندلس باستخراج المعادن التي انتشرت مناجمها في عدد من المدن الموضحة في الجدول؛ إذ نلاحظ أن تواجد المعادن في مختلف المناطق يبرز مدى نشاط الإنتاج الصناعي في استغلال هذه المواد اقتصاديا وعسكريا حيث كانت الاستفادة أكثر في منشآت عمرانية. ومما يستنتج أيضا أن مناطق استخراج المعادن هي مناطق في الغالب آهلة بالسكان، ومن جهة أخرى فإن الكثافة المنجمية كانت أعلى في ضاحية قرطبة، وبالضرورة سيرفق هـذا بعـامل وجود اليد العاملة في هذا المجال الحرفي.

والظاهر كذلك، أن عملية تحويل المادة الخام إلى معدن صاف يتطلب تقنيات ومنشآت خاصة كإنشاء الأفران لصهرها وآلات لنقلها إلى دور الصناعة، ومن ثم تحويلها إلى منتوج للاستغلال، ومن جهة أخرى فإن توزيع المعادن في بلاد الأندلس يتميز بعدم التوازن؛ إذ اختصت بعض المدن بحرف معينة، وصناعات خاصة حسب توفر نوع المعدن بها، فليس من الغريب أن نجد شهرة قرطبة في الصناعة النحاسية والبرونزية والحديدية، بالإضافة إلى اختصاص المدن الأخرى بصناعات متنوعة، والوقوف عندها سندرجه في موضعه لاحقا ضمن جزء خاص بالصناعة ضمن الفصل الثالث.

وعليه، فإن تعدد المواد الخام في بلاد الأندلس كرس وجود صناعات متنوعة خاصة ذات النمط الاستهلاكي، التي اتخذ ت من المنتوج الزراعي والحيواني لحاجة السكان اليومية. بالإضافة إلى الصناعات الكمالية التي تفي بمطالب السلطة الحاكمة، إما في مجال الفخامة والأبهة كالصناعة النسيجية وكذا التحف المعدنية بأنواعها، وإمّا من أجل الحماية العسكرية كصناعة الأسلحة والسفن.

ولأجل ذلك خصصت السلطة اهتماماتها في الأداء الإنتاجي بتشييد دور الصناعة في مختلف المدن الكبرى لتحقيق مشـاريعهم العمرانية والحضـارية أولا ولتلبية أغراض السوق ثانيا، ولن يكتمـل هـذا إلاّ في إطـار الحديث عن السلطة وسياسة التشجيع.

ثـالثا: السلـطة وسيـاسة التشجيع والدعـم

استلـزمت المرحلـة الحضارية التي وصـلت إليها الأنـدلس خلال القرن (3هـ/9م) تعدد الحاجات وأنواع الأمتعة مـن ملابس وأثاث وغيرها مما يحتاج إليه النّاس في حياتهم على اختلاف طبقاتهم. وكان للرخـاء الذي حل بالبلاد مـنذ عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم تأثير بالغ في تنويع تلك الحاجات واستجادتها والتألق في صناعتها، إذ على مقدار العمران تكون جودة البضائع في هذا البلد كما قال ابن خلدون[1]، وكلما ازداد العمران تعددت أنواع البضائع التي يتطلبها النّاس، وتزايدت صناعات أخرى مما تدعو إليه عوائد الترف وأحواله.

كان لسياسة الحكام الرامية إلى العمران أثرها الواضح في تطور وارتقاء الصناعة. ومن المؤشرات التي تدل على ذلك الشواهد العمرانية، وظهور دور الصناعة، واتساع الأسواق، وإنشاء المشاريع الخاصة التي تعم فائدتها على المجتمع ككل، فانعكس ذلك كله على اقتصادها رخاء وثراء. ويمكن أن نشير إلى شغف الأمير عبد الرحمن بن الحكم بالبنيان " الذي اخترع بداخل القصر مباني جليلة ومصانع عجيبة إليه منسوبة"[2]. وجعل أحكام السوق منصبا مستقلا عن ولاية المدينة [3]، وكان أول من أقام بالأندلس دورا للطراز في قصر الإمارة، خاصة بكسوة الأمير، كما كانت هناك زيارات يقوم بها أمراء وخلفاء بني أمية لدار الطراز ومناقشة القائمين عليها ببعض المسائل وتوصيتهم وفق ما يرونه مناسبا[4]. واتخذ بقرطبة السكة، وقام فيها بضرب الدراهم المنقوشة باسمه على نحو ما كانت تضرب في دمشق أيام بني أمية وزنا ونقشـا[5] ، فلم يكن بهذه المدينة دار ضرب منذ فتحها المسلمون[6] ، إذ سكت العملة الأندلسية تحت ضغط الحاجة الملحة لاستخدامها في المعـاملات التجارة التي اتسعت أفاقها في ظل الحكم الأموي. في حين كان أهلها يستخدمون النقـود الرومانية

1- المقدمة، ص 350.

2- ابن حيان،المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، السفر2، ص 281 / ابن عذاري، البيان المغرب، ج 2، ص 334 / ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 130.

3- عنان محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ص 274.

4- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، السفر2، ص290 .

5- المصدر نفسه، الصفحة نفسها / عنان محمد عبد الله، المرجع السابق، ص 201.

6- ابن حيان، المصدر السابق، ص 291.

والقوطية[1]. وتوسع عدد دور الضرب بهذه البلاد إلى أن بلغ أربعة عشر[2].

وقد نوه ابن حوقل بالسكة في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم في قوله:" إنّ سكة دار ضربه على الدنانير والدراهم بقرطبة ضمانها في كل سنة مائتا ألف دينار، ويكون صرف سبعة عشر بدينار ثلاثة آلف وأربع مائة ألف درهم، هذا إلى صدقات البلد وجبايته وخراجاته وأعشاره وضماناته إليهم والصادرة عنهم والرسوم على بيوع الأسواق"[3].

وبعد اعتدال الملك بالأندلس إستوسع مال الجباية، حيث بلغت في عهد هذا الأمير ألف ألف دينار درهم في السنة، وكان مقتناه لا يزيد على ستمائة ألف دينار كل سنة[4]. وفي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر بلغت خمسة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار، ومن السوق المستخلصة سبعمائة ألف وخمسة وستون ألف دينار[5].

لقد أعطيت للسكة أهمية بالغة لأنها شارة من شارات الملك، فخضعت للإشراف المباشر من السلطة، حيث نقل الخليفة عبد الرحمن الناصر دار الضرب إلى مدينة الزهراء الجديدة عند سكناه بها، وعطل السكة بقرطبة وأغلق أبوابها[6]، باعتبارها من التكوينات الادارية التابعة للسلطة الاموية آنذاك.

وأعاد الخليفة نفسه بناء طليطلة " فجمع الأقوات إليها وإقامة الأسواق بها، وجمع الماهنين، والفعلة والصناع والمعالجين إليها وشحنها بالأقوات والعدد"[7]. وقد اختط مدينة الزهراء واتخذها منزلا وكرسيا لملكه، فأنشأ فيها من المباني والقصور والبساتين وجلب لها المياه، واتخذ فيها دارا لصناعة آلات السلاح للحرب والحلي وغير ذلك من المهن[8].

1- محمود حسن منى، المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، دار الفكر العربي، بيروت(د.ت)، ص 233.
2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
3- صورة الأرض، ص 104.
4- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، السفر2 ، ص292 .
5- مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والاخبار، م1، ص 159.
6- ابن حيان،المصدر السابق، تحقيق بيدرو شالميتا،ج 5، ص 244.
7- المصدر انفسه، ج5، ص 283.
8- ابن خلدون،المصدر السابق،ج 4، ص 114.

إن قضية جلب المياه إلى المدينة دفعت بالسلطة الأموية إلى استنباط تقنيات جديدة في استغلال المعادن في صناعة الأنابيب المعدنية عن طريق شبكة من القنوات أو المجاري الظاهرة فوق الأرض أو الجوفية. وكان يشرف على سلامتها وتوزيعها حفظة قوامون، مهمتهم السهر عليها بالتناوب ليلا ونهارا[1]. وكانت القنوات من حجر في جوفها أنابيب الرصاص لتحفظه من الدنس[2]. ومن عناية الأمراء والخلفاء بماء الشرب وتوفيره لأهل المدن، كانت مدينة مجريط* التي بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن فوق مستودعات من المياه الجوفية[3]، متقنة البناء ومحكمة الهندسة. وبالمثل، عرفت مدينة الزهراء امتداد أنابيب المياه إلى قرطبة[4]، وكانت ترد من الجبل عن طريق قناة تظهر مرة وتختفي تحت الأرض حينا أخر[5].

وبهذا فإن استغلال المعادن في موضعها ساعد على توسيع شبكة القنوات المائية بالمدن الأندلسية، التي تطورت بفضل عناية حكام بني أمية لها، لتسهيل نقلها إلى السكان من دون عناء مما شكل نوعا جديدا من الممارسة الصناعية، وتخفيف العبء على النشاط الصناعي وتغطية احتياجاته من الماء.

لقد أدى تطور النشـــاط التجاري الأندلسي إلى إنشاء الأسواق لأجل توسيع مختلف الأنشطة وبخاصة في مجال التصنيع. ولتحقيق أغراض أمنية قام الخليفة الحكم المستنصر بتنظيم الأسواق داخل مدينة قرطبة "وأمر صاحب السوق بإخلاء دار البرد، وتوسيعها ونقل البزازين إليها لينفسح بهم سوقهم وتستوسع صناعتهم إذ شكوا بضيقها"[6]. كما أمر الخليفة نفسه " بتوسيع سوق قرطبة لضيقها عن مخترق الناس وازدحامهم فيها، كي ينفسح الطريق ولا يضيق بالــواردين والصــادرين "[7]. وعندما

1- عاشور سعيد عبد الفتاح، عبد الحميد سعد زغلول، العبادي أحمد مختار، تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، دار المعرفة الجامعية،القاهرة (1998م). ص 341.

2- دويدار حسين يوسف، المرجع السابق، ص 212.

* مجريط، عاصمة أسبانيا حاليا مدريد، أصلها مشتق من كلمة مجرى، الحميري، الروض المعطار، ص 179.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- ينظر اللوحة 6.

5- مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص85.

6- ابن حيان،المصدر السابق، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص 66.

7- المصدر نفسه، ص 70،71.

اجتاز بموكبه الربض الشرقي وجد أنه لا يؤمن للازدحام " فعهد ساعة نزوله بابتياع الحوانيت من أربابها بما يوافقهم من أثمانها وهدمها لتتسع للناس وتؤمن مضرتها"[1]. يكشف هذا النص عن أهمية السوق المحلية المنتشرة بالأرباض، واهتمام الخلافة الأموية بتوسيع دائرة الإنتاج والتسويق.

ومع حرص الصناع على تحسين نوعية المنتجات الصناعية ، فقد كان لنظام الحسبة دور مهم في الحفاظ على متانة تلك المصنوعات وجودتها سواء من المواد الخام التي تصنع منها أو في طريقة صنعها، وذلك بفضل الرقابة التي كان يتولاها المحتسب في المدينة. وقد تضمنت كتب الحسبة شروط كـل صناعة ومهنة، وواجبات القائمين بها والتزامهم جودة الصناعة وإتقانها. وسنذكر بعض ما يقوم به المحتسب في رقابته على بعض المصنوعات في موضعه لاحقا.

لم تنحصر مهمة الأمراء والخلفاء في مراقبة الهيئات الإدارية والأسواق فحسب بل تجاوزت إلى إنشاء دور الصناعة، أهمها امتلاك الأمراء الأندلسيين والولاة أساطيل تجارية وبحرية[2]. وقـد امتلأت رسائل الجنيزا بمراجع عن:"مركب السلطان، مركب القـائد، مركب الأمير"[3]. مما يـدل على اهتمام الحكام بإنشاء السفن سواء الحربية أو التجارية، وأنشيء لهذا الغـرض عددٌ كبيرٌ من دور الصنـاعة في مدن الأندلس مثل المرية[4]، طـرطوشة[5]، الجزيرة الخضـراء، مالقة، لقنت[6]، شلب، دانية، الزهراء[7].

كما انصب اهتمام الحكام على تعليم أولاد الضعفاء والمساكين، بدليل أن الحكم بن هشام أمـر بتحبيس حوانيت السـراجين بسوق قرطبة على المعلمين الذين كان قد

1- نفسه، ص 67، 68.
2- كونستبل أوليفيا ريمي، المرجع السابق، ص 192.
3- المرجع نفسه، ص 191.
4- المقري، نفح الطيب،ج1، ص 162 / العبادي أحمد مختار، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، النهضة العربية، بيروت (1969 م)، ص 179.
5- الحميري، المصدر السابق، ص 124 /العبادي أحمد مختار، السيد عبد العـزيز سالم، المرجع السابق، ص 207.
6- الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص 585
7- ابن خلدون، العبر،ج 4، ص144.

اتخذهم لتـعليم أولاد الضعـفاء والمساكين بقرطبة[1]. وكــان للخليفة الحكم المستنصر أكـبر الفضل في بدء الحركة العلمية، مما ساعد على انتشـار صناعة الورق بشكل كبير في بلاد الأندلس، وإنشاء دار للكتب في كل حي وتزويدها بمئات من الكتب التي جعلوها في متناول الجميع[2].

فالبديهي إذن، أن يرفق تشجيع السلطة الزمنية النشاط الصناعي احتكار عدة مرافق صناعية كدور الطراز حسب عادة بعض الحكام الأندلسيين كما ذكرنا سلفا، قصد المفاخرة ومنافسة المنتجات المشرقية والمحلية ذات الكفاءات الحرة. وكان انشغالهم بالمجال العمراني والعسكري دلالةً على استثمار أموال ضخمة، وعلى حـد تعبير الباحث الطاهري أحمد [3] فإن هذا الترف قد عرقل حدوث تحول صناعي فعلي، على الرغم من الدور الذي خصص لهذا القطاع في تنشيط العديد من الصناعات وتشغيل الأيدي العاملة، فتشكلت طبقة جديدة من الحرفيين أطلق عليهم أهل الصناعات السلطانية[4] ينتمون في غالبيتهم إلى العبيد والصقالبة.

ورصد التفصيلات يقـود إلى نتيجة هي أن الصناعة الأندلسية خضعت إلى توجهات اقتصادية تابعة للسلطة الأموية آنذاك، والتي برهنت على تفوقها الصناعي، ونالت الحظ الأوفر من اهتماماتها لتقوية البنية القائمة، وتضافر ذلك مع اتساع الأسواق ودور الصناعة وإنتاج السلع الاستعمالية والتجارية وبناء السفن، مع تطور ملموس في تقنيات التصنيع في مجال استغلال الخامات. ومن هنا يظهر أن الرخاء الاقتصادي كان مرهونا بدعم السلطة الزمنية لتحقيق أغراض الحاكم أولا والسوق الاستهلاكية ثانيا. لكن هذه الحقيقة لا تؤكد على استمرار الدعم على طول مرحلة الدراسة، وذلك ما يطرح تساؤل "ما مدى استمرارية النهضة الصناعية آنذاك" ؟

1- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص207.
2- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون، كمال الدسوقي، ط10(2002م)، ص 500.
3- عامة قرطبة، ص 121.
4- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق عبد الرحمن على الحجي ، ص 197.

رابعـــا: أثـــار الاضطرابات والأزمات والكوارث

إن امتلاك الأندلس لمقومات الثراء والانتعاش الاقتصادي لا يعني أنه سيظل قائما أبد الدهر، فلقد حلت بهذه البلاد الاضطرابات والفتن، وما نتج عنها من سوء الأحوال الاقتصادية في مرحلة موضوع هذه الدراسة. وقد كان شظف عامة النّاس يقابله البذخ والترف في قصور الخلفاء، وما أنفق في بناء مدينة الزهراء من الأموال الطائلة، وشغف الحكام بالبناء والعمارة والإسراف فيها، كلها عوائق حالت دون ذلك.

ومن العوامل المؤثرة سلبا على الصناعة عدم الاستقرار السياسي، فقد انتابت الأندلس حركات وتمردات هددت الحكم الأموي، واختلف تأثيرها على الوضع الاقتصادي على حسب قوة وضعف الحكام الأمويين. ومن الدوافع المحركة لهذه الحركات الثورية، ذلك التفكــك الاجتمــاعي الذي أدى إلى تنــافر السكان في النظام الأموي، مما أضعف تماسكهم وصعّب التحكم فيهم. وقد تحدث ابن خلدون عن هذه الظاهرة فقال بأنّ: " الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قلّ أن تستحكم فيها دولة والسبب في ذلك: اختلاف الآراء والأهواء... فيكثر الانتفاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت، إن كانت ذات عصبية، لأن كل عصبية ممن تحت يدها تظن في نفسها منحة وقوة "[1]. وقد أخلّت هذه الاضطرابات بالأمن الداخلي في الأندلس، وكان لها أثر بالغ في تعثر النشاط الاقتصادي، نتجت عنه خسائر فــادحة في الصناعة وتدهور أحوال اليد العاملة.

ومن أهــم المراحل التي شهدت حالة الاضطراب ببلاد الأندلس، عهد الأمير الحكم بن هشام الذي تميز بكثرة الفتن، التي أدت إلى هجرة أهل الربض، وأولها وقعة الحفرة سنة (181هـ/797م) بطليطلة، حيث سعى هذا الأمير إلى الإيقاع بأهلها لتوطيد الطاعة وعمل الحيلة في قتل رؤسائهم الحاملين على المعصية. فادعى أن الأزمة قد انتهت، فأقــام مأدبــة عشــاء رغبــة في تكريمهم فأظهر ذبح البقر وصــنوف الحيوان والاستكثار من الأطعمة. واستدعى وجوههم الحفلى وأمر أن يكون دخول النّــاس إليه من باب وخروجــهم على آخــر، وأخذ لهــم الرجال بداخل

1- ابن خلدون، المقدمة ، ص 156.

القصر مصلبين السيوف، فمن دخل منهم ميل به إلى شفا حفرة عميقة قد هيأها لذلك، فضربت أعناقهم ورمي بجثثهم فيها حتى أفنى من أشرافها سبعمائة[1].

تعد هذه المجزرة ضربة لمدينة طليطلة التي جردتها من زعمائها ومن عدد ضخم من سكانها، فأثر ذلك بشكل خطير في نقص الإنتاج وخلو المدينة من اليد العاملة. وكان هذا الأسلوب الجائر في معالجة مشاكل الدولة سببا في تفقير الصناع فقد أرهقوا بالجبايات التي تزيد عن طاقتهم، فأشار ابن حيان إلى جور الأمير الحكم بن هشام بقوله: "وصفا الملك بالأندلس للأمير الحكم...فعتا وتجبر وإعتسف"[2].

وليس بالغريب، أن يضطر العمال بسبب هذه الظروف الصعبة إلى الهجرة بسبب انحسار موارد العيش واللجوء إلى الملاحقة والاضطهاد. ومن الدلائل على ذلك هجرة أهل الربض سنة (202هـ-817م) عن قرطبة، وسببها كما أجمع المؤرخون أن جنديا من حرس الأمير ذهب إلى حداد بحي الربض ليصلح سيفه، فتباطأ في إصلاحه، وحدث خلاف بينهما، لم يلبث أن استل الجندي سيفه وقتل الحداد الذي كان من طبقة المولدين، وأثار هذا الحادث غضب أهل الربض فقتلوا الجندي وأغلقوا المتاجر والحوانيت واتجهوا إلى قصر الإمارة. وجرت الهزيمة على أهل الربض وأعملت فيهم السيف حتى قتلت منهم خلقا كبيرا[3].

وكان من أثار هذا الحادث أن أمر الأمير الحكم بن هشام بهدم الربض وتحريم البناء فيه[4]، وتهجير أهله على التو، فعبر بعضهم إلى العدوة المغربية، واختار بعضهم صقلية وجزيرة إقريطش مستقرا لهم. كما لم تمانع الرواية في إحصاء عدد المهاجرين نحو المشرق، إذ جاز نحو خمسة عشر ألفا إلى الإسكندرية[5].

1- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 50 / ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي المكي،السفر 2، ص 107، 114 /ابن عذاري ،البيان المغرب، ج2، ص 104 /ابن الخطيب، أعمال الأعلام،ج 2، ص16.

2- المقتبس، تحقيق محمود علي مكي، السفر 2 ، ص 119.

3- المراكشي عبد الواحد، المعجب ، ص44 / النويري أحمد عبد الوهاب، المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية،الدار البيضاء، (1985م)، ص 89 /ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 16.

4- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود على مكي، السفر2، ص 150 / النويري، المصدر السابق،ص 89-90 / ابن الأبار، الحلة السيراء،ج1، ص 44 /ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 113،115 / ابن سماك العاملي، الزهرات المنثورة، ص 41، 42.

5- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود على مكي، السفر2، ص153 /ابن عذاري، المصدر السابق،ج2، ص 115 / ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 45، 46.

كانت هذه أحداث أهل الربض المشهورة، التي قام بها العامة وكان معظمهم من المولدين الذين أرادوا أن يحسنوا من وضعهم الاجتماعي، وكان من مظاهرها هجرة اليد العاملة القرطبية ونقص الطاقة البشرية بسبب المشاكل الداخلية المتلاحقة التي انتهت بالقمع والقتل والهدم وحرق الأسواق. وقد سبب هذا الأثر في تعطيل ممارسة المهن والإنتاج بالمدينة، فترتب عن ذلك الإضرار بالصناعة بسبب انصراف عدد كبير من أهل الصنائع والحرف إلى المشاركة في الأحداث العسكرية والسياسية.

إن حالة اللاأمن التي عاشتها الأندلس في ظل حكم الأمير عبد الله بن محمد الأول قد أضعفت السلطة المركزية؛ إذ لم يستطع الولاة فرض النظام ووضع حد لأعمال السلب والنهب التي مارسها قطاع الطرق. ومن أهم أحداثها ثورة عمر بن حفصون الذي لم يكن من المولدين فقط ولكنه حرفي خياط حسب رواية العبادي[1]، واستخدم السيف بدل الإبرة واستغل هذا الوضع وأعلن الثورة على الحكم الأموي " فأفسد الزروع وقطع الأشجار ودمر العمارة وخرب الديار، فقتل من البشر الكثير"[2] وخرب حوانيت المدن الأندلسية وعندها بدأت العاصمة الأموية تعاني من نفاذ المؤن بسبب الاضطرابات، فتعطلت الأسواق وارتفعت الأسعار وساد الذعر بين سكانها. وسقطت هيبة الأمير عبد الله بينهم[3]. وبمـــرور عشرة سنوات من حكمه استطاع القضاء على الثورة لكن من دون السيطرة على أقاليم الأندلس المختلفة.

ولم يكن الخليفة عبد الرحمن الناصر أقل تخريبا، فلقد جاب قرى الأندلس وكورها "يقطع ثمارها ويحطم معايشهم"[4]، وحقيقة أن هذه الحملات الإستنزافية " قد عمت بضرها كل بلدة "[5]. ومع إصرار المتصارعين على تحطيم بعضهم البعض اقتصاديا تراجعت وسائل الإنتاج، وتقلص دور الصناع الإنتاجي في مجتمع كبلته الظروف.

ومما زاد خطورة في الأيام الأخيرة لدولة الخلافة الأموية بالأندلس الفتنة التي وقعت في القرن(5هـ/11م) ؛ حيث دفع مجتمع هذه البلاد ثمنا باهضا وأول ضحاياها

1- العبادي أحمد مختار، تاريخ المغرب والأندلس، ص 170.
2- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود على مكي ، ص109
3- المصدر نفسه، ص 97، 102.
4- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 162.
5- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق بيدرو شالميتا، ج5، ص 132.

البربر الذين طردوا من ديارهم بالزهراء والزاهرة[1]. إذ أمر المهدي بن عبد الجبار* أتباعه بعد انتهائهم من تحويل كل ما كان بالزاهرة إلى خراب "بهدمها، وحط أسوارها وطمس آثارها، فأصبحت بلقعا كأن لم تغن بالأمس"[2]. واستولى الخراب والقتل والسبي على هذه البلاد، فاستنجد ما تبقى من البربر بنصارى الشمـال للثأر من المسلمين، فتحولوا إلى مهاجمين فقتلوا ونهبوا كما فعل أهل قرطبة قبل ذلك[3].

بالإضافة إلى ذلك ارتكب المهدي بن عبد الجبار خطأ عندما أحاط نفسه ببطانة من السوقة المجندين أثناء الثورة على قرطبة، فعرضوا أمنها إلى الفوضى والخراب للحصول على نصيب من الأسلاب، ويقال:" إن عدة من تبعه من سفلة قرطبة، فأثبت أسماءهم في العطاء، خمسين ألفا، وانتهبت الزاهرة فتقـسمت الأيدي كل ما اشتمـلت عليه من مال مخزون، وآلــة، ومتــاع، وعــدد سلطانية، وفرش، وآنية حتى اقتلعت الأبواب الوثيقة، والخشب الضخمة وتوصل منها القائم فيما زعموا بعد ذلك بخمسة آلاف ألف وخمسمائة ألف دينار، ومن الذهب لألف ألف وخمسمائة ألف." [4]

والتفت الشعراء إلى معالم قرطبة، فرأوا كيف حالت عن حالها، وخربت دورها، فندبوها بمراثيهم، وممن رثـاها الفقيه ابن حـزم حين وقف على مـنازل أهـله ورآها:" وقد طمست أعلامها، وخفيت معاهـدها، وغيّرها البلى، فصارت صحارى مجـدبة بعد العمـران ... ومكامـن الوحـوش، ومخابي للّصوص...قد عبث بها الخراب، وعمّها الهدم.." [5]

1- بوباية عبد القادر، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري(300-422هـ/912-1031م) جامعة العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، وهران(2001-2002م)، أطروحة دكتوراه دولة،غير منشورة، ص452.

* محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ، لقب بالمهدي (366- 400هـ/976 - 1009م). كان خفيفا شديد البطش، وهو رأس الفتنة في الأندلس، وسبب النفاق لوثوبه على ملك هشام المؤيد بن الحكم المستنصر. الحميدي، جذوة المقتبس، ص3 ،31 /مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق بوباية عبد القادر، ص 237،239 / ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص 102 ،107 / عبد الواحد المركشي، المعجب، ص 88، 89.

2- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 105.

3- بوباية عبد القادر، المرجع السابق، ص 451.

4- ابن الخطيب، المصدر السابق ،ج2، ص 105.

5- ابن حـزم، طـوق الحمـامة في الألـفة والالافة، تحقيـق نـزار وجيد فلـوح،المكتبة العصرية، بيروت(2003م)، ص 171 ، 172 .

ووصف الوزير أبو عامر بن شهيد* حال أهلها فقال[1]:

فــلمثل قرطبة يقــلّ بكاء مــن	يبكي بــتعين دمعهــا متفجّــر
ومســالك الأســواق تشهد أنّها	لا يستقــل بســالكيها المحشــر
يا جــنّة عصفــت بها وبأهلها	ريح النوى فتــدمّرت وتدمّروا
آسى عليك من الممات وحقّ لي	إذ لم نزل بــك في حياتك نفخر

استفحل القتل والنهب في مختلف المــدن الأندلسية ليشمل المدن الواقعة في الجنوب كمالقة وإلبيرة والجزيرة[2]. وكان من البديهي أن يقع ثقل هذه الأمور على كاهل الفلاحين والصناع الأكثر تضررا باعتبارهم من عامة النّاس، وهو ما يعني إهمال الأراضي الزراعية التي توفر الغذاء وتعد مصدر دخل هام للدولة[3].

بناء على ما سبق فإن الأعمال التخريبية كان لها أثرها السلبي على مختلف الأنشطة الاقتصادية، وقد كان لهذا كله ترد في الأوضاع بصورة عامة، فعمت البلاد المجاعات والأزمات المالية، وأكد ذلك ابن حزم بقوله: "وشغلنا بعد قيام أمير المؤمنين هشام المؤيد** بالنكبات وباعتداء أرباب دولته، وامتحنا بالاعتقال والإغرام الفادح"[4]. وأعاد ابن الخطيب سبب هذه المحنة إلى المهدي بن عبد الجبــار بقولــه:"أبــاد خضرائهم، وفرق جمــوعهم، وأجــاع بطونهم وسلب أموالهم، وهدم دورهم، وألبسهم لباس الجوع والخوف"[5].

---

* أحمد بن عبد الملك بن احمد بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد، أبو عامر(382/426هـ/992-1035م). من العلماء بالأدب ومعاني الشعر وأقسام البلاغة. من شيوخ الوزراء في الدولة العامرية، مقربا عند الحاجب المنصور بن ابي عامر، وقد استعمله واليا على الجهات الشرقية في بلنسية وتدمير. الحميدي، جذوة المقتبس، ص133، 135 / أبو الحسن علي بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت(2000م)، القسم1(م1/2)، ص 154، 260/ عباس إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ص270، 302 .

1- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 98، 99 /عباس إحسان، المرجع السابق، ص138.

2- ابن عذاري،المصدر السابق، ج3، ص 102، 104.

3- بوباية عبد القادر، البربر في الأندلس، ص 459 .

** هشام بن الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية(366- 399هـ/ 976-1009م) . لما توفي الحكم المستنصر بويع هشام ولقب بالمؤيد، بايعوه صبيا، فقام الحاجب المنصور بن أبي عامر بتشييد الدولة واستبد بالأمر. الحميدي، المصدر السابق، ص 29 ،30 / المقري، نفح الطيب، ج1، ص396 / المراكشي عبد الواحد، المعجب، ص 72 /ابن الخطيب، المصدر السابق، ج 2، ص44، 46 .

4- ابن حزم، المصدر السابق، ص 192.

5- أعمال الأعلام، ج2، ص 105.

وخلص الباحث بوباية عبد القادر إلى أن الرغبة الجامحة لأهل قرطبة في محاربة البربر جعلهم يكلفون أنفسهم ويكلفون الدولة مالا تطيقان من جمع الأموال، وهو ما سيؤدي إلى وقوع ضائقة مالية وتدهور فضيع في الأوضاع الاقتصادية وتعطيل كل نشاط صناعي[1].

واستمر الإضرار بالصناعة ليتسع ويشمل حتى مجال استغلال الثوار للمعادن في بلاد الأندلس لتحقيق رغبتهم الإنفصالية ورسم الكيان السياسي المستقل عن الإمارة الأندلسية بضرب السكة وكتابة أسمائهم مثلما فعل ديسم بن إسحاق* "عندما ملك لورقة، وغلظت شوكته، وكثر أتباعه وأعلن العصيان وحارب جيوش الإمارة، وعثر على معادن الفضة بتدمير، فضرب الدراهم على اسمه"[2]. وفي هذا إشارة إلى احتكار الثوار الناقمين على الدولة للمناجم، وإجهاض الطاقة المعدنية في غير استعمالها الضروري بعيدا عن تحكم السلطة الزمنية في مواردها.

ومن العوامل التي زادت سوءا بالأحوال المعيشية وتعثر النشاط الصناعي إضرام الحرائق بالأسواق؛ إذ روى ابن حيان :" أن الحكم بن هشام أمر بهدم الربض وإحراق دوره وأسواقه وطمس آثره"[3] وفي سنة (305هـ /917م) وقعت نار عظيمة بسوق قرطبة، فاحترقت حوانيت المشاطين والخراطين[4]. كما وقع حريق آخر بسوق هذه المدينة في سنة (324هـ/936م)، فاحترقت حوانيت الصوافين، وأخذت النار سوق العطارين وما وراءها من حوانيت الشقاقين وما جاور ذلك من جميع الجهات، واعتدت النّار على دار البرد فذهبت بها[5]. وما يمكن استخلاصه في مثل هذه الحوادث هو أن وضع الصناع سيزيد سوءا بينهم وبين عملائهم من التجار الذين فقدوا أمتعتهم وبضائعهم في تلك الحوانيت.

1- البربر في الأندلس، ص 419.

* ديسم بن إسحاق من فرسان عمر بن حفصون، ملك لورقة، وضرب السكة باسمه، وتمسك بمولاه عمر بن حفصون، توفي بمرسية سنة (293هـ/ 906م). العذري، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، ص 11،12.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، السفر 2، ص172.

4- المصدر نفسه، تحقيق بيدرو شالميتا،ج5، ص 142.

وعليه، فإن النشاط الصناعي يتطلب يدا عاملة في شتى المرافق، وبسبب تضررها من الاضطرابات المتلاحقة، تلجأ للبحث عن الأمان في إطار الهجرة إلى المدن الأندلسية، فتفقد بذلك دورها الاقتصادي والاجتماعي. وهكذا فإن هجرات الحرفيين والصناع لا تخلو من انعكاسات سلبية على المناطق التي هاجروا منها. كما أن استغلال الثائرين لقوتهم الحربية في التخريب والتدمير يخل بالصناعة وبمقوماتها من مختلف قوى الإنتاج، ويعطل العمل الصناعي وتطوره، ويشل حركة النشاط الاقتصادي بشكل عام.

كان للكوارث الطبيعية التي انتابت بلاد الأندلس بين الحين والأخر، أثر سيئ على النشاط الزراعي والثروة الحيوانية والغابية والمرافق العامة، وهلاك عدد كبير من السكان بسبب المجاعة[1] أو هجرتهم بحثا عن الأرزاق. فقد تعرضت هذه البلاد إلى توالي سنوات من القحط والمجاعة والسيول والجرّاد وغيرها من الكوارث التي لا تخلو من ارتفاع الأسعار وضنك في المعيشة وقلة الأرزاق. ففي سنة(199هـ/ 815م)عمت المجاعة ومات فيها أكثر النّاس[2]، وفي سنة(207هـ/822 م) بلغ مديّ* القمح في بعض الكور ثلاثين دينارا[3].

وكان قحط سنة(232هـ/846 م) قد أهـلك المواشي، وأحـرق الكروم وكثر الجراد[4]، وأصيبت به بلاد مرتين الأولى مابين سنتي (251- 255هـ/864-868م)، والثانية سنة(260هـ/873م) واستمـر بضـعة أعـوام وكثـر بسببـه الغلاء والموت[5] .

1- نفسه، ص 124

2- ابن عذاري، البيان المغرب ،ج2، ص 110.

* المدي: هناك اختلاف في تحديد مكيال المدي بين أهل الشام والعراق والأندلس، فمكيال أهل الشام يسع خمسة عشر مكوكا والمكوك صاع ونصف، ابن منظور، لسان العرب،ج 15، ص274. / ومدي النبي صلى الله عليه وسلم الذي تؤدى به الصدقات ليس أكبر من رطل ونصف ولا أقل من رطل وربع، وقال بعضهم رطل وثلث، أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحت إشراف محمد الحجي،دار الغرب الإسلامي، بيروت(1981م)، ص399 / أما المدي القرطبي ثمانية قناطير، والقنطار مائة رطل وثمانية وعشرون رطلا والرطل اثنتا عشرة أوقية وستة أقفزة ونصف، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، ص258.

3- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي،السفر2، ص 412.

4- مجهول، أخبار مجموعة، ص129/ ابن عذاري، المصدر السابق،ج 2، ص132.

5- المصدر نفسه، ج2، ص 152 / عنان محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2 (1988م)، ص 312.

وفي سياق الحديث عن الغلاء بلغت الحاجة في سنة (303هـ /915م) مبلغـــا لم يعـــهد مثله؛ حيث بيع قفيز* قمح بكل أسواق قرطبة بثلاثة دنانير، ووقع البلاء في النّاس وكثر الموتى في أهل الفاقة والحاجة حتى كاد يعجز عن دفنهم[1]. كما قل ظهور الحنطة في الأسواق وساد غلاء الأسعار في سنة (332هـ/944 م)[2].

ولم تكن السيول أقل ضررا من القحط والمجاعة، فقد شهدت الأندلس سيولا متفرقة حطمت المنشآت كالقناطر والأرحاء، ودمرت القرى وأتلفت المزروعات والثروة الحيوانية، ففي سنة (182هـ /798م) كان السيل العظيم بقرطبة قد ذهب بربض القنطرة ولم يبق فيه دارا إلاّ هدمها[3]، وبلغ السيل كورة شقندة**. وكذلك وقع خراب بسبب سيول سنة (212هـ/827م) [4]. وخرب سيل سنة(235هـ/ 849 م) قوسين من حنايا قنطرة إستـــجه والأرحاء، ودمر ست عشرة قرية من قرى إشبيلية على النـــهر الأعظم، وهلك فيها من النّاس والبهائم والأمتعة الكثير[5]، وفي سنة(296هـ/ 909م) حدث سيل بنهر قرطبة طما سيله وساء تأثيرة[6].

بالإضافة إلى هذه الكوارث الطبيعية، حلت بالأندلس زلازل مدمرة أساءت الثأثير كالذي وصفه ابن عذاري والذي وقع في سنة (332هــ/846م) بقرطبة في قوله:" في صبح ليلة الزلزلة، هبّت ريح عاصف ردفتها أخرى، فاقتلعتا كثيـــرا من شجر الزّيتون والتّين وغيرهما من الأشجار والنخيل...ونزل إثر ذلك مطر وابل طبق الأرض وبرد غليظ، فقتل كثيـــرا من الوحش والطير والمواشي، وأتلف ما أصـــاب من الزرع، وأساء التأثير"[7].

---

* القفيز: ثمانية مكاكيك والمكوك صاع ونصف، ابن منظور، المصدر السابق،ج 15، ص 27 / محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، المصدر السابق، ص228.

1- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص251 / ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق بيدرو شالميتا،ج5، ص109، 124.

2- ابن حيان، المصدر نفسه، تحقيق بيدرو شالميتا،ج 5 ،ص 103.

3- ابن عذاري، المصدر السابق،ج2، ص104.

** شقندة: من أرباض كورة قرطبة، ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب،ج 1، ص 218.

4- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت (1987م)، ج5، ص 216.

5- ابن حيـــان، المصـــدر الســـابق تحقيق محمود علي مكي، ص5 / ابن عـــذاري، المصـــدر السابق،ج2، ص133 / النويري، المصدر السابق، ص 102.

6- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق ملشورم أنطونيه ،ج3، ص 144.

7- البيان المغرب،ج2، ص 216 ،217.

في نفس الوقت، لم تتردد السلطة الأموية في الأندلس ممثلة في شخص الحاكم الأموي من تقديم المساعدات، جراء كل كارثة طبيعية للتخفيف من قوة المحنة على سكان هذه البلاد، وعلى سبيل الذكر قام الأمير الحـكم بن هشـام بالتصدق على الضعفاء والمساكين وعابري السبيل على إثر مجاعة سنة(197هـ/812م)[1]. وبالمثل، خفف الحاجب المنصور بن أبي عامر من أضرار الجراد الذي شمل سنة(381هـ/991م)، حيث جعل جمعه وظيفة على كل شخص قدر طاقته وأفرد له سوقا لبيعه[2].

يظهر مما سبق أن تطور النشاط الاقتصادي وكساده، يرجع بالدرجة الأولى إلى ظروف الحياة بالأندلس، التي تأثرت بشكل مباشر بالفتن والاضطرابات السياسية، والظروف الطبيعية. ولنا أن نتصور حجم الخسارة التي تعرضت لها الصناعة من حين لآخر، وتفاوتت أضرارها من حيث الخراب العمراني الذي يفقد معه الفضاء الصناعي، والنّقص التدريجي لمقوماتها الزراعية والحيوانية والطاقة البشرية.

إن النقص في اليد العاملة الذي تثيره قضيه الهجرة داخل أو خارج بلاد الأندلس يقابله نوع من التعويض في الجهات التي يهاجرون إليها، وهم محمّلون بمختلف أنواع حرفهم في أنحاء البلاد. مما يؤدي إلى امتزاج الثقافات بين مختلف الأجناس المشكلة للمجتمع الأندلسي، وبالتالي انصهر الكل ضمن ما عرف بالحضارة الأندلسية ذات طراز فريد من حيث الإبداع والإتقان.

1- مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق بوباية عبد القادر، ص180.
2- المصدر نفسه، ص223.



أصناف الصناع وتنظيماتهم

أولا: الأصناف الصناعية.

ثانيا: الأحوال العامة للصناع والحرفيين.

ثالثا : نظم التحكم في الصناعة.

1- فضاء التصنيع

أ- دور الصناعة.

ب- السوق.

2- الحسبة.

3- الأسعار.

4- الأجور.

أولا:- الأصنـــــــاف الصنـــاعيـــــة

تعتبر المدن الأندلسية قرطبة، طليطلة، إشبيلية، والزهراء نماذج لأكبر تجمع من الصناع والحرفيين من مختلف الأجناس والأديان، الذين تجمعهم روابط اقتصادية واجتماعية، كل في مجال تخصصه. ومعظم هؤلاء كانوا من عامة النّاس من المولدين وأهل الذمة والصقالبة[1]. ومن هنا نشأ نظام الأصناف والتكتلات الصناعية التي عرفت بأصحاب الصناعات[2]، لتسهيل حركة النشاط الاقتصادي والإشراف المباشر عليها.

لقد تشابهت الروابط الحرفية في البلاد الإسلامية عامة واختلفت في بلاد الأندلس عن الغرب المسيحي، واعتبرها الدارسون[3] المؤسسة الاجتماعية التي كانت تتم في إطار الصناعات خلال العصور الوسطى، ظهرت لحاجة المجتمع إلى أسواق مشتركة بعيدة عن تبعية السلطة. وعلاوة على ذلك أدى تزايد السكان إلى تطور العلاقة بين الصانع والأجير، بحيث نشأ نظام من التسلسل الهرمي[4]. ومن هذا كان لكل حرفة رئيس أو شيخ يسمى بالأندلس" الأمين"[5]. فقد كان لسوق الغزل أمين خاص بهم[6]، إضافة إلى عريف الخياطين، الذي كان على اتصال مستمر بالقصر[7]. وتحدث غيرهم عن أمين العطارين[8]، وعريف للنجارين[9] وهكذا بالنسبة للحرف الأخرى.

كان يتم تعيين شيخ الطائفة الصناعية بالاختيار أو الانتخاب بموافقة المحتسب، وتتمثل مهمة الشيخ أو العريف[10] في دور الخبير الفني في الخلافات التي تقع بين أهل الحرف وعملائهم على سلعة من السلع، وكان رأيه مقبولا لدى القاضي أو المحتسب

1- ابن حيان،المصدر السابق، تحقيق عبد الرحمن على الحجي، ص 197.
2- المصدر نفسه، ص 49، 197.
3- الطاهري أحمد، عامة قرطبة، ص112.
4- المرجع نفسه، ص 113.
5- نفسه، ص 153.
6- ابن سعيد،المغرب في حلى المغرب، ج1، ص185.
7- ابن حيان، لمصدر السابق، تحقيق محمود علي المكي، السفر2، ص21.
8- ابن الخطيب، أعمال الأعلام،ج2، ص35.
9- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي المكي، السفر2، ص 282،284.
10- المصدر نفسه، ص 49.

وكان يقوم بإبلاغ المحتسب رأي طائفة على تكاليف السلع التي يصنعونها وتحديد ثمن بيعها[1] .

ولم يقتصر التنظيم الصناعي في تعيين العريف، بل جرت العادة أن يتدرج الفرد في الحرفة من مبتدئ أو صبي صغيــر إلى صانع مدرب إلى عريف. وفي الغالب كان يساعد الصـــانع عمال صبيان، وقد يستمر الصبي مدة طويلة لاكتساب الخبرة حتى يرتقي ويصبح أستاذا للصنعة، أو بصفة مؤقتة أجيرا فقط. فقد كان هاشم الضراب أجيــرا عند حــداد بطليطلة[2]. وكـــذلك كان الطحانون يستعينون بصبيان لمساعدتهم[3].

وفي السياق نفسه، روى ابن الخطيب عن حادثة الربض أنه: " من نوادر ذلك اليوم المأثور مثلا في هيج الرعاع أن حدادا كان بين يديه صبي يسوق الكير وأبصر اجتماع النّاس وحضورهم في الأسلحة .فقال: من رئيسهم؟ فقيل: ليس لهم رئيس، فقال للصبي: يا صبي حرك الكير واعمل عملك فإن هؤلاء لا يكون منهم شيء"[4]. ومن الملاحظ أن الصبيان كانوا أقل درجة في أعمالهم لعدم إتقانهم لصناعتهم، وإنجازها بدقة من دون غش، وتحددت بذلك العلاقة بين الأجير والصانع، وهو ما يفصح عن شيوع العمل المأجور آنذاك.

تبلور نظام الأصناف والحرف على هيئة نقابات كان يطلق عليها في الأندلس اسم " الهنطة"[5] أي التنظيم الهيكلي لأفــراد الصنعة الواحدة، ومهمتها مراقبة عمل أعضائها لدعم مستـــواها. كما كـــان من حق شيـــخ الصنعـــة أن يستثمـــر أمـــواله

1- ابن بسام،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، قسم1،ج1، ص 200 / عاشور سعيد عبد الفتاح،عبد الحميد سعد زغلول، العبادي أحمد مختار، تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ص 322.

2- المصدر نفسه، السفر2، ص 42 ،442 / ابن عذاري، لمصدر السابق،ج2، ص 125 / ابن خلدون،العبر،ج4، ص128.

3- Abu ’Abd allah Muhammad. B.Abi Muhammad As-Sakati de Malaga . Un Manuel Hispanique De Hisba. Texte Arabe ,Introduction. Par Colin et Lévi –Provençal .Paris .p24. 1930

4- أعمال الأعلام، ص 16،17.

5- لم نعثر على أصل هذه الكلمة ضمن المعاجم االمستعملة في هذا البحث. عاشور سعيد عبد الفتاح، عبد الحميد سعد زغلول،العبادي أحمد مختار، المرجــع السابق، ص 323.

الخاصة، إلاّ أنه في معظم الأحيان كان يرتبط اثنان أو أكثر في إنتاج عمل لتوفير ما يحتاج إليه المجتمع من عدة وآلات ثمينة[1]، موجهة نحو السوق قصد تحقيق الربح، مما ساعد على تكوين فئة من الحرفيين المتخصصين والمتحــررين عن الروابط الحرفية، مستعدين لتقديم أعمالهم لطلبها خاصة الطبقة الحاكمة. وفي ذلك نورد مثالا عن صندوق من العاج يعود إلى عصر الخليفــة هشــام المؤيد (366-399هـ/976-1009م) ، وهو محفوظ في كاتدرائية بمبلونا[2]. ويعتبر هذا الصندوق أعظم عمل فني لما يضمه من توقيعات لصناع أندلسيين وصل عددهم إلى خمسة صناع؛ وقد وقع على غطاء الصندوق في الجزء الأوسط بالخط الكوفي بما نصه: " عمل فرج مع تلاميذه "[3]، إذ تفيد مجموعة نقوش التوقيعات على الصندوق، أنها تضم أستاذا مع تلاميذه من الصناع، أي أن الصندوق اعتبر بمثابة مدرسة، يقوم الأستاذ فرج بالإشراف على العمل والتصميم الفني وتتبع مراحل تنفيذه، أما بقية الصناع ينفذون التصميمات التي يعهد بها إليهم الأستاذ[3]. وفي نموذج آخر يندرج في نفس الاتجاه، علبة زيد وقد نقش عليها من جزء لآخر أسماء صناعها، مما يثبت تعاونا في الصناعة لكن ليس فيها ما يدل على كبير الصناع[4].

وقد أفرد الباحث الكحلاوي محمد محمد دراسة هامة على توقيعات الصناع، فكان هدفه تحديد الأساليب الفنية لكل صانع وتخصصه المهني في مجال صنعته. وقد أمكن التوصل خلالها على الكشف عن بعض أسماء الصناع وانتمائهم العرقي والعقائدي، وسوف نذكر نماذج وفق مواد تصنيعها:

1- السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس،ج 1، ص131، 132.
2- السيد عبد العزيز سالم، تحف العاج الأندلسية في العصر الإسلامي، ص 58،61.
3- الكحلاوي محمد محمد ، دراسة للحياة الفنية في الأندلس من واقع توقيعات الصناع والفنانين على التحف على أعمالهم الفنية، ص 560.
4- المرجع نفسه، ص559،561.

أ- توقيع الصانع رشيق على تحفـــة من البرونز

ورد اسمه على قنديل مصنوع من البرونز ذي فوهة طويلة ومقبض على شكل حيوان، ويرجع صنع هذا القنديل إلى أحد القرنين (4-5هـ/10-11م). أما اسم الصانع فقد نقشه على جزء هام من القنديل ونصه: " عمل رشيق" وجاء التوقيع في موضع ظاهر منه مما يدل على مكانة الفنان وشهرته وسط أبناء حرفته وظهور الإسم على حيز كبير، يثبت بأن التحفة من إنتاج مصنع، ولم يصنع خصيصا من أجل شخص معين[1].

ب- توقيع الصانعان بدر وطريف على صندوق فضي

ورد اسمهما على صندوق فضي يرجع إلى القرن (4 هــ/10م) وتم العثور عليه بمدينة الزهراء، وقد جاء توقيع الصانعين على موضع غير ظاهر من الصندوق، لأن الصندوق صنع بأمر من الخليفة الحكم المستنصر من أجل ابنه هشام بإشراف جؤذر عام (359هــ/ 970م)[2]. وتوقيع الصانعين يثبت اشتراك أكثر من صانع في صناعة الصندوق، فقد يكون أحـــد الصانعين نجارا، والأخر يختص بصناعة المعادن لأن الصندوق مصنوع أساسا من الخشب المصفح بصفائح رقيقة من الفضة المزينة بالزخارف المطروقة.

ج- توقيع الصانع خلف على التحف العاجية

عثر على توقيع خلف في ثلاث تحف عاجـــية ترجع جميعها إلى عهد الخليفة الحكم المستنصر (355هــ/965م)[3].

1- نفسه، ص 546.

2- مرزوق محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس، ص173 / السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ص 142،143/ تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مــؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية (1985م)، ص 274.

3- لمزيد من التفاصيل عن العلب العاجية يراجع فصل أنواع الصناعات وخصائصها. قسم الصناعة العاجية. ينظر اللوحة 1.

4- مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في اسبانيا، ص360.

اللـــــوحة -1-



الوجه الأمامي لعلبة المغيرة في متحف اللوفر، مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص360.



اسطرلاب إسلامي من النحاس الأصفر
المحفور، صنع أحمد بن محمد النقاش
(سرقوصة سنة٤٧٢هـ/١٠٧٩م)

نمـــاذج من التوقيعـات

و- توقيع الصانع أحمد بن محمد النقاش عل آلات الفلكية

ورد اسمه على إسطرلاب مصنوع من النحاس والبرونز المذهب، وقد نقش اسم الصانع بالخط الكوفي في وسط الجــزء العلوي من الإسطرلاب بما نصه:" صنعه أحمــد بن محمــد النقــاش بمــدينة سرقســطة. "ويرجــع الإسطــرلاب إلى سنة(472هـ /1079م)[1].

يظهر من خلال عرض بعض النماذج لتوقيعات الصناع التي وردت على التحف المختلفة، الدور الفعال الذي تؤديه تلك الأسماء بالنسبة لعلم الآثار. وتساهم دراسة توقيعات الصناع حسب ما حددها الكحلاوي محمد محمد في وضع تصنيف فني لكل صانع ومدى إسهاماته في مختلف الحرف، فقد وجدت توقيعات على مواد فنية مختلفة تحمل اسم رشيق وبدر. وبالتالي تكشف عن وضوح التباين بين صانع وأخر وبين أفراد الحرفة الواحدة من حيث الأسلوب والزخرفة. ويمكن تمييز نوع التحفة إن كانت للخاصة أو العامة من خلال موقع مساحة التوقيع.

كما تكشف توقيعات أسماء الصناع عن ماهية الأسماء وانتمائهم العقائدي سواء كانوا مسلمين أو من أهل الذمة. ومثال ذلك الصانع عبد الملك النصراني الذي ورد اسمه على تحفة معدنية[2]، وكذلك الصانع سليمان المستعرب الذي ورد اسمه على إبريق معدني[3]. وأخيرا تفيد هذه التوقيعات في الدراسات الأثرية وبخاصة في مجال الكتابات الأثرية ومعرفة الألقاب والوظائف والعبارات المنتشرة في كل إقليم.

من جهة أخرى، فإن الانتماء الحرفي حدد الفئات الحرفية حسب الانتماء الطبقي أولا والمستوى المعشي ثانيا، وثالثا من حيث مراتبهم ومستواهم العلمي بالمهن أو بالعلوم الأخرى، فلم يكن من النادر أن يكــون الحــرفي متثــقـفا يعنى بحــرفة معينة والممارسة الصناعية في الحياة العامة ؛ إذ أشارت كتب التراجم إلى عدد من الفقهاء والعلماء والأدباء الذين لقبــوا نســبة إلى الحرف التي امتهنوها، ومنــهم على سبيل المثال وحسب تنوع الحرف ما نذكره في هذا الجدول التالي:

1- الكحلاوي محمد محمد، المرجع السابق، ص 553 . ينظر اللوحة1.

2- مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق، ص 401.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

العلماء والفقهاء	الحرفة	المصدر
الفقيه عمر بن حفص الثقفي(ت 310هـ/ 928م): يعرف بابن أبي تمام من أهل قرطبة، كان شيخا فقيها عالما بالمسائل.	الصابوني	الحميدي، جذوة المقتبس، ص292/ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 256.
الحسن بن بكر بن عريب القيسي السماد: من أهل قرطبة وكتب علما كثيرا.	الوراق	ابن بشكوال، كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، ص126.
محمد بن عبيد بن أيوب القرطبي:تعاطى عمل الديباج عندما رحل إلى بغداد.	الدبّاج	ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 322.
عوف بن مرة الذبياني.	الفخار	ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 254،255.
محمد بن فيصل بن هذيل،من أهل قرطبة ومفتي أهل السوق(327 هـ/1247م).	الحدّاد	ابن الفرضي،المصدر السابق، ص 330.
الحسن بن أيوب بن محمد بن أيوب الأنصاري،ت(338هـ-425م).	الحدّاد	ابن بشكوال، المصدر السابق،ج1، ص125.
عبد الرحمن بن يحي بن محمد ، أبو زيد.	العطّار	الحميدي،المصدر السابق، ص271.
أحمد بن محمد بن أحمد بن الأنصاري سهل.	الخرّاز	ابن بشكوال، المصدر السابق،ج1، ص26.
عباس بن فرناس :مغني وعالم ومبتكر.	اشتهر بصناعة التحف الخشبية.	ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي المكي، ص 284،282.

إن التقدم الواسع في الصناعات الأندلسية يرجع بالدرجة الأولى إلى تنوع حضارات وثقافات الأجناس التي تشكل البنية الاجتماعية على اختلاف مستوياتها، وإلى استيعاب القوى العاملة بضرورة إتقان الصنعة أثناء ممارستها؛ إذن فالإخلاص في العمل أداة الصانع، ومسألة إتقان العمل هو دستور يكون لدى الأصناف على مدى الزمن، وهي الأسس التي اتبعها أهل الصنف.

وفي ذلك أشـــاد كل من ابن غالب[1] وأبي حامد الغرناطي[2] إلى مـــدى خبرة الأندلسيين الصناعية وتفوقهم في هذا المجال الصناعي بقولهما:" صينيون في إتقان الصنائع العملية وإحكام المهن التصورية، فهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال ومقاسات النصب في تحسين الصنائع". وأضاف القزويني[3] "ولأهلها إتقان في جميع ما يصنعونه." وروى ابن الخطيب[4] عن الصناعة في عهد دولة هشام المؤيد في الأندلس "والصنائع تجل"، وفي موضع آخر قال" ولو تتبعنا أصنافهم وما كانوا يحاولونه من صناعاتهم وينازعون به المشرق من بضائعهم لضاق الكتاب عنه"[5]. ولم يبالغ الشاعر يحي الغزال* الذي عايش فيها خمسة أمراء من أموي الأندلس من الأمير عبد الرحمـــن بن معاوية إلى محمـــد بن عبد الرحمن، عندما وصف الصناع في هذين البيتين[6]:

رأيت الرجال بهمّاتهـــــم	وأحســـابهم في حريما تهم
أكبّ رجال على تجرهـــم	وأعمالهـــم وصناعاتهـــــم

1- قطعة من فرحة الأنفس، ص 282.
2- تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، المغرب، ط1(1993م)، ص 73.
3- أثار البلاد وأخبار العباد، ص503.
4- أعمال الأعلام،ج2، ص 44.
5- المصدر نفسه، ص 41.
* يحي بن الحكم الجياني المعروف بالغزال، حكيـــم الأندلس وشاعرها، توفي سنة(250هـ/864م).ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، السفر2، ص243، 262 / الحميدي، جذوة المقتبس، ص362 ،365/ عباس إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ، ص 157 ،169.
6- ابن حيان، المصدر السابق، السفر2، ص256.

ونثمن تخريج الباحث الطاهري أحمد[1] الذي توصل إلى أهمية ودور المهارة الحرفية التي يشترط توفرها في كل صانع في المجال التقني للرفع من الإنتاجية والجودة على السواء، والحفاظ على سيولة المنتوجات في الأسواق.

ومجمل القول، إن الأصناف الصناعية كانت رابطة إدارية من تلك الروابط القليلة التي أتيح لها أن تقوم بين السلطة وبين المجتمع، خاصة فئة الصناع والحرفيين، غايتها مرتبطة بالنشاط الاقتصادي. وهذه الأصناف المهنية التي نسميها اليوم النقابات كانت الأساس الذي تقوم عليه الصنائع آنذاك؛ إذ كان لكل صناعة تقاليدها ونظمها. فلا يسمح لأي شخص أن يعمل في إحدى الصناعات ما لم يكن قد تدرب واكتسب مهارة فيها. وكان أرباب كل صناعة يحرصون على حفظ صناعاتهم ويلقنون أسرارها إلى من يثقون به ممن يتقدم للعمل معهم منذ صغرهم، وعلى الصبيان أن يتمرنوا مدة غير قصيرة بإشراف من هم أقدم منهم حتى يحذقوا الصنعة. كما تتلخص مهمتهم في المشاركة بتحديد الأجور وأسعار السلع باعتبار الأمين أو العريف مسؤولا أمام المحتسب، هذا إلى جانب فضه للخلافات التي تنشأ بين أفراد الطائفة الواحدة.

ثـــانيا: الأحـــــوال العــــــــامة للحرفيين والصناع

إنّ الأحوال المادية لأهل الحرف والصناع بالأندلس أثرت على تطورهم اجتماعيا واقتصاديا، إذ عاش أغلبهم حياة قاسية، وكانت أغلب الأعمال والأشغال يمارسها أصحابها في ظروف صعبة خاصة عمال المناجم، فحول حصن أبال شمال قرطبة، حيث معدن الزئبق والزنجفور، يتوزع على أعمال التعدين أزيد من ألف عامل، ففريق ينزل إلى باطن الأرض لقطع الحجر المعدني، وفريق يتولى قطع الحطب لإحراقه، وفريق يعد أواني سبك الزئبق، أخيرا هناك فريق يشتغل بالأفـــران

1- عامة قرطبة، ص 114.

لإنجاز عملية الإحراق[1]. وكذلك كان عمال البناء يقاسون المهن خصوصا إذا كانت مشاريع تنجز لصالح الأمراء والخلفاء، وما مدينة قرطبة والزهراء إلاّ نموذجا لمناطق تجمع الصناع والحرفيين، فقد استخدم الحاجب المنصور بن أبي عامر في زيادة المسجد بقرطبة وجوه أعيان الجلالقة والإفرنج والرومانيين من النصارى يعملون مع الصناع مصفدين في الحديد إلى أن كمل البناء[2].

قد تعود أسباب تدني ظروف هؤلاء الصناع إلى نظرة المجتمع إليهم، إذ كان معظمهم من المولدين وأهل الذمة أي من العامة[3]. ولم تحاول الدولة تحسين وضعيتهم تلك، باعتبارهم أدنى درجة بالنسبة للعرب. ولا نستبعد أن هذه الوضعية كانت تحت ضغط الصراع العرقي والقبلي، مما انجر عنه التفريق والتحقير من مستوى بعض الفئات. وتأرجحت بذلك نظرة المجتمع الأندلسي إلى الحرف والصناعات بين التقديـر والتحقير، واتفقت الأغلبية الساحقة على ما سنذكره بشتم وإهانة هذه الفئة الاجتماعية والتقليل من شأنها.

في هذا الصدد نورد بعضا من إشـارات التحقير والتقليل من شأن الصناع، وردت عن مؤرخ دولة بني أمية ابن حيان، إذ ذكر ضمن الأحداث التي تزعمها هاشم الضراب بطليطلة في سنة (214هـ/ 829م) أنه "استدعى أهل الشر وبغاة الفساد في الأرض، وأغار على العرب والبربر وانتهت بهزيمته ومقتله سنة (216هـ/831م)[4]. وفي إشارة أخرى وردت عن المؤلف نفسه أن: " المولدين من الموالي عندما ثاروا بإشبيلية وأحاطوا بقصر الإمارة وفيه محمد بن الأميـر عبد الله بن محمد، وأعلنوا المعصية، واجتمع إليهم سفالة المدينة من الباعة وغيرهم"[5].

1- الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص 581.
2- خالد بن عبد الكريم بن حمود البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس عصر الإمارة، ص223.
3- مجهول، وصف جديد لقرطبة، ص 174 / السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت (1981م)، ص 396، 397.
4- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، السفر2، ص422 / ابن خلدون،العبر،ج 4، ص 128 / ابن عذاري، البيان المغرب،ج2، ص 125.
5- المقتبس، تحقيق ملشورم أنطونية،ج3، ص 74.

يزداد تحقير هذه الفئة من طرف الحكام ونعتهم بالرعاع[1] والأراذل، وذلك من خلال وصف ابن حوقل لهم بقوله:" ولا يعرف فيهم المهنة والمشي إلاّ أهل الصنائع الأراذل"[2]. وفي هذا الصدد، وردت عن ابن حيان ما يؤكد إلى مكانتهم السيئة في الدولة من خلال الحديث الذي وجهه الأمير محمد بن عبد الرحمن إلى وزيره هشام بن عبد العــزيز معاتبا له بقوله: "وإذا كنا لا نخلف آباءكم فيكم، ولا نخلفكم في أبنائكم فعند من نضع إحساننا ونرب معروفنا؟ عند أبناء القزازين والجزارين والحجامين وأشباههم من الغاضين للهيئة المخلّين بالأبهة "[3]. ولم يسمح الأمير محمد بن عبد الرحمن أن تشارك عامة النّاس في الأعمال الرسمية بقوله:" إن الأمويين لو خرجوا على تلك السياسة لتقلد الخطط في الدولة أبناء السوق وأبناء النّاس وأولي الأعراق الدنيّة "[4]. وفي هذا دلالة على قصر السلطة في الحفاظ على استمرارية القوى المنتجة في أداء مهمتها الاقتصادية.

يبدو أن المحتسبين عبروا أيضا عن استيائهم من فئة الصناع على حد تعبير ابن عبــدون عندما تطــرق إلى مهمة المحتسب فأشار إلى نوعية الفئــات المهنية والحرفية بقوله:" فيكفيه التعب والشغب والامتهان مع عامة النّاس وخساسهم العتاه والجهالة من ضروب الصنّاع والعمال"[5].

قد اهتم الباحث الطاهري أحمد[6] بشيوع هذه الظاهرة من طمس وتقزيم دور القوى الصناعية المنتجة ضمن مؤلفات المؤرخين المسلمين، مفندا في هذا زعم المؤرخ المحدث العبادي" بأن الصناعة وأربابها كانت موضع عطف وتقدير عدد من الكتاب والمفكرين المسلمين"[7]. وخلص الباحث نفسه[8] إلى أن البحث في هذا الموضوع

1- المصدر نفسه، ص 74، 75.
2- صورة الأرض، ص 109.
3- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود على المكي، ص 145.
4 - المصدر نفسه، ص 144.
5- ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص 20.
6- عامة قرطبة، ص 34، 35.
7- المرجع نفسه، ص 35.
8- نفسه، الصفحة نفسها.

أصبح لغزا لدى الدراسات المعاصرة، وذلك لتلازم نظريتين متناقضتين للحرف والحرفيين في تراثنـــــا، ليس مجرد انعكاس للمواقع الفكرية لأصحابـــها ولكن هو دليــل على تعــاقب الازدهـــار والتراجع الصناعي في الدولة الإسلامية.

إن هؤلاء الحرفيين والصناع ــ وهم من الطبقة العامة في الأندلس ــ قد لعبوا دورا هاما في أحداثها التاريخية، حيث شاركوا في ثوراتها الداخلية كما سبق الذكر، وفي احتفالاتها ومواكبها العامة في استقبال الوفود، وقد أشار ابن حيان إلى استقبال الخليفة الحكم المستنصر لوفود العدوة " فلما انتهوا إلى باب مدينة الزهراء ساروا بين صفي رجالة المسترين والرماة الأحرار والمماليك أهل الصناعات السلطانية قد لبسوا المدارع الملونة وتنكبوا القسي الأعجمية إلى أول أبواب الأقباء وفي داخلها صفا البوابين وأعوان دور الطراز وأعوان دور البرد بأيديهم السلاح الشاك"[1]. وأضاف المؤرخ نفسه وصفا مماثلا لاستقبال هذا الخليفة لابن خزر* وجعفر بن على** في قوله: " ثم نهضوا بين صفين من رجّالة المسددين والرماة المختلطين الرامين بنوعي القياس من الأحرار والعبيد ومن ضم إليهم من أصحاب الصناعات ..."[2].

والظاهر، من خلال النصين المذكورين أن وجود الصناع في مؤخرة الجيش مع العبيد والرماة والمماليك وهم مسلحون؛ دليل على المهمة التي ألقيت على كاهلهم، وهذا بالإشراف على استعمال الأسلحة والنظر في مدى صلاحيتها[3]. وكان لهذه المهام أثـــرها السلبي في استنـــزاف عدد كبير من اليد العاملة مما يؤثر بشكل خطير على أحوال العامة من الحرفيين والصناع بخاصة، وعلى الإنتاج الصناعي بصورة عامة.

1- المقتبس، تحقيق عبد الرحمن على الحجي، ص 197.

* محمد بن الخير بن خزر الزناتي من دعاة بني أمية الأندلسية في الشمال الإفريقي قد حارب بالاشتراك مع جعفر ويحي ابن علي بن حمدون ضد زيري الصنهاجي. ابن عذاري، المصدر السابق،ج2، ص 360، 361 / ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج 2، ص 359.

** جعفر بن علي المعروف بابن الأندلسي صاحب مسيلة، الذي تقرب إلى الحكم المستنصر وانضم إلى زناتة المنحاشين إلى دعوة بني أمية . ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، ص 49،50 / ابن عذاري، المصدر السابق ،ج2، ص361.

2- ابن حيان، المصدر نفسه، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، ص 49.

3- خالد بن عبد الكريم بن حمود البكر، المرجع السابق، ص170

وعلى الرغم من النظرة السلبية التي عمت في حق الصناع إلاّ أنها لم تكن شاملة بطبيعة الحال كل الفئات الحرفية والصناعية، بل هناك من الأعمال اليدوية ما كان مربحا إلى درجة الثراء في بعض المصانع كدور الطراز بالأندلس الخاصة بالأمراء والخلفاء الأمويين، أي أن إنتاجها كان مقتصرا على الحاكم[1]. والحديث نفسه يصدق على تلك التحف العاجية والمعدنية، التي حملت في معظمها أسماء الأمراء أو كبار رجال الدولة من أصحاب المناصب التي صنعت لهم[2].

ومعنى هذا، أن الأندلس عرفت عددا كبيرا من الصناع المهرة الذين اشتهروا لدى السلطة الحاكمة، وقد نعتهم ابن حيان بقوله:"أهل الصناعات السلطانية "[3]. إلاّ أن معظم المؤرخين قد أغفلوا أمر هؤلاء الصناع، ولم يعنوا بالإشارة إلى حياتهم في مؤلفاتهم إلاّ ما ذكر عن بعض الأسماء لبنائي مدينة الزهراء وأمناء دور الطراز. لذلك فإن البحث عن أسماء صناع التحف الأندلسية المصنوعة من العاج والمعادن والخشب والفخار والزجاج والحجر وغيرها، قد كشفته الدراسات الأثرية الحديثة لنماذج من التحف لكن من دون ترجمة لعدم وضوح اسم الصانع.

ولقد كفانا كل من مانويل جوميث مورينو (M. Gomez Morino)، وايميليو غرسية جوميث (Emilio Garcia)، والسيد عبد العزيز سالم، وتوفيق إبراهيم، والكحلاوي محمد محمد، ومرزوق محمد عبد العزيز وغيرهم من الباحثين، مأونة البحث عن أسماء الصناع والحرفيين، وذلك بالكشف عنهم من خلال توقيعاتهم على التحف التي تم العثور عليها ضمن التنقيبات الأثرية التي أجريت في بعض المواقع، وسوف أتعرض إلى أسماء بعض الصناع وفقا لمواد تصنيعها والتي تعود إلى القرن(4-5هـ/10-11م). وسأصنفها في الجدول التالي:

1- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، ص 92.
2- الكحلاوي محمد محمد، توقيعات الصناع والفنانين على التحف، ص 576.
3- ابن حيان، المصدر السابق، ص 197.

اسم الصانع	نوع التحفة	مكان الحفظ	المرجع
سليمان المستعرب	إبريق	غرناطة	مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص 401.
عبد الملك النصراني	إبريق	غرناطة	المرجع نفسه، ص 401.
عبد الملك النصراني	إبريق	غرناطة	نفسه، ص 401.
سليمان المستعرب	قنديل	البروكيال اسبانيا	نفسه، ص 389.
رشيق	كستبان	كاتدرائية بامبلونا	الكحلاوي محمد محمد، توقيعات الصناع والفنانين على التحف ، 546.
خير	كستبان	مجموعة توفيق إبراهيم	مرزوق محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية، ص 177 .
سيف	كستبان	مجموعة توفيق إبراهيم	الكحلاوي محمد محمد، المرجع السابق، ص548
موفق	كستبان	مجموعة توفيق إبراهيم	المرجع نفسه، ص548.
صقر	مزلاج	مجموعة توفيق إبراهيم	نفسه، ص553
أحمد بن محمد النقاش	صندوق فضي	كاتدرائية جيرونا	مانويل جوميث موينو، المرجع السابق، ص 402.
خالد بن يزيد	صندوق فضي	كاتدرائية جيرونا	المرجع نفسه ، ص 402.
بدر و طريف	علبة عاجية	متحف فيكتوريا والبرت	مرزوق محمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص 176/ السيد عبد العزيز سالم، التحف العاجية، ص 29.

دری الصغير	علبة عاجية	كاتدرائية بامبلونا	السيد عبد العزيز سالم، المرجع نفسه، ص50/ مرزوق محمد عبد العزيز ، المرجع السابق ص187/ مانويل جوميث مورينو،المرجع السابق، ص356، 357.
خلف	علبة عاجية	كاتدرائية بامبلونا	الكحلاوي محمد محمد ، المرجع السابق، ص .560
فرج	علبة عاجية	كاتدرائية بامبلونا	السيد عبد العزيز سالم، التحف العاجية، ص 61.
مصباح	علبة عاجية	كاتدرائية بامبلونا	مرزوق محمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص 197.
خير	علبة عاجية	كاتدرائية بامبلونا	السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص61.
سعاده زياد	علبة عاجية	متحف سوث كنسنجتون لندن	مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق، 361.
جؤذر	صندوق خشبي	كاتدرائية جيرونا	مرزوق محمد عبد العزيز،المرجع السابق ، ص373 .

لا يتسع لنا المجال لذكر اسم كل من أشارت إليه التحف الأندلسية من الفنانين والصناع أصحاب التوقيعات. فقد أفرد الكحلاوي محمد محمد دراسة شاملة لتوقيعات الصناع والفنانين ومدى إسهامهم في بناء الحياة الفنية في الأندلس وما وصلت إليه من رقى وازدهار على أيديهم.

ثـالثا: نظـــــم التحكـــــم في الصناعــــــــة

إن الحديث سيكون مقتصرا على جوانب نظامية تخص مجال الصناعة والصناع والترتيبات التي شهدتها خلال هذه الدراسة، وذلك بالتعرض إلى الفضاء الذي احتوى هذه الصناعات، والنظم التي تحكمت فيه من حسبة وأسعار للمنتوج الصناعي وأجور الصناع.

1- فضاء التصنيـــــع

ا- دور الصنـــاعـــة

كانت دور الصناعة بالأندلس من أهم المراكز الاقتصادية والعسكرية في الدولة الأندلسية، باعتبارها ملكا للخاصة من الأمراء والخلفاء، ومرد ذلك دعم الحياة اليومية من متطلبات القصر وسكانها من العامة من عدد وآلات. وتعد دور الصناعة القديمة المنتشرة على سواحل الأندلس[1] الركيزة الأولى لبسط نفوذهم ومواجهة الخطر الخارجي. ويبدو أن افتقار القواعد البحرية إلى الإمكانيات لصناعة السفن استوجب على الحكام تقوية البحرية الإسلامية والاهتمام ببناء دور صناعة السفن. ويرجع الفضل إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم الذي أمر بإقامة واحدة في إشبيلية لإنشاء المراكب[2]، التي أضحت قاعدة هامة للأسطول الأندلسي في المياه الغربية، وأخرى بقرطبة [3]، وبقرمونة وجزيرة شلطيش[4].

1- طقوش محمد سهيل، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 227.
2- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 62.
3- ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص 155. تقع دار الصناعة بقرطبة شمالي القصر الخلافي، بسبب تسمية أحد بابيه من الجهة الشمالية بباب الصناعة. السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج1، ص 193.
4- الحميري، الروض المعطار، ص 111.

ونشطت حركة الإنشاء والتعمـــير في عهد الخليفة عبد الـــرحمن الناصر الذي أنشأ عددا كبيرا من دور الصناعة في المدن الأندلسية[1]، فمدينة المرية اختصت بصناعة الآلات والعدد[2]، وطرطوشـــة لإنشـــاء المراكب الكبار[3]، لقنت لصناعة المراكـــب السفرية والحراريق[4]، قرمونة والزهراء لإنتاج الأسلحة والحلي[5]، وشقـــة مختصـــة في العـــدد الحربية من دروع وآلات النحاس والحديد[6].

لقد كان من الطبيعي أن لا تتمكن هذه الدور من صناعة ما يحتاجه الحاكم في منشآته، فتحولت دار صناعة قرطبة إلى إنتاج التحف المعدنية وغيرها، فلما جلب عبد الرحمن الناصر الحوضين من القسطنطينية، جعل عليه اثني عشر تمثال من الذهب الأحمر مرصعة بالدّر النفيس[7]. ولما عجزت الدار القرطبية عن سد حاجيات أعمال الإنشاء في مدينة الزهراء، أنشأت دار صناعة الزهراء التي أنتجت عددا كبيرا من التحف العاجية، وما لا يوصف من روعتها. وأقدم مثال يسجل بداية تصنيع الزهراء للعلب والصناديق العاجية علبة سمورة[8]، التي تحمل نقوشا كتابية تشير إلى أنها صنعت بمدينة الزهراء سنة(353هـ/964م)[9]. واستمرت هذه الدار في أداء وظيفتها وإنتاج هذا النوع من التحف العاجية، وكان آخر صندوق لها مؤرخ في سنة (395هـ/1005م)[10].

والأمر الثابت، أن داري قرطبة والزهراء كانتا تنتجان أنواعا مختلفة من التحف، ولما كانت الحاجة إلى إحاطـــة الحاكم نفسه بالأبهة والفخامة أنشـــأ دار البرد

1- ابن عذاري، المصدر السابق،ج2، ص334 / ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، السفر2، ص 280، 281 / المصدر نفسه، تحقيق بيدرو شالميتا،ج5، ص 364.
2- المقري، نفح الطيب، ج2، ص 202.
3- الحميري، المصدر السابق، ص 124.
4- الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص 558.
5- ابن خلدون، العبر،ج4، ص 144 / السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية، ص 161.
6- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 345 / الزهري، كتاب الجعرافية، ص 82.
7- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص 38.
8- مانويل جوميث مورينو،الفن الإسلامي في اسبانيا، ص 355.
9 – السيد عبد العزيز سالم، تحف العاج الأندلسية، ص29.
10- الكحلاوي محمد محمد ، توقيعات الصناع والفنانين على التحف، ص 122.

بالأندلس[1]. ونسب ابن حيان[2] بناءها إلى الأمير عبد الرحمن بن معاوية ثم أضيفت إليها دار الطراز في عصر الأمير عبد الرحمن بن الحكم فاتسعت بذلك مرافقها. ونستدل برواية ابن الخطيب على أن دار الطراز والبرد اتسعت بشكل كبير وشملت العديد من المرافق وأصبحت تشبه المدينة فقال:" ومن آثاره التي ضربت بها الأمثال وقضيت فيها العجائب حال الطراز ببابه لنسج ما يحتاج إليه من الخلع والكساء وملابس الحرم وغير ذلك ، فقد كان على عهده مدينة تشمل على آلاف من الخلق قد اتخذت فيها المرافق ، والمساجد والحمام والشرف، ولو تتبعنا أصنافهم ، وما كانوا يحاولونه من صناعاتهم وينافسون به المشرق من بضائعهم ومقدار جراياتهم ونفقاتهم لضاق عنه الكتاب"[3]. في هذا النص إشارة إلى مدى أهمية دار الطراز التابعة للسلطة ومدى حجم العدة والعدد لصالح هذه الصناعة.

واستمرت هذه الدار في الاتساع حتى ضاقت بها السوق الكبرى المجاورة للقصر الخلافي أيام الخليفة الحكم المستنصر الذي أمر بنقلها سنة (361هـ/972م) من موضعها إلى دار الزوامل بالمصارة بالطرف الغربي من قرطبة، وأقام في الموقع الذي كانت تشغله دار الطراز أو دار البرد من حوانيت البزازين ليتسع بهم سوقهم[4].

والملاحظ، أن دار الطراز والبرد هي الدار الخاصة بالخليفة الأموي، وإنتاجها قاصرا على الخليفة، وحدد لها خطة بهذا الاسم، وأسند الخلفاء ولايتها إلى عدد من الفتيان الصقالبة كخلف الفتى الكبير*، وفائق النظامي الفتى الكبير الصقلبي** .

1- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق عبد الرحمن على الحجي، ص 66.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- أعمال الأعلام،ج2، ص40،41 / السيد عبد العزيز سالم سحر، بحوث مشرقية ومغربية في التاريخ والحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط(1997م)، ص 52.

4- ابن حيان، المصدر السابق، ص 66.

* لم تشر المصادر إلى ترجمة خلف، فقد ورد اسمه على توقيعات التحف كما ذكرنا أنفا. وكانت العلب المنسوبة إليه من إنتاج مصنع مدينة الزهراء في عهد الخليفة الحكم المستنصر. ابن عذاري، المصدر السابق،ج2، ص 285 / السيد عبد العزيز سالم، تحف العاج الأندلسية في العصر الإسلامي، ص 42 / قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ص133.

** تولى فائق النظامي في عهد الخليفة الحكم المستنصر منصب صاحب البرد والطراز، فلما مات هذا الخليفة تآمر مع رأس طائفة الفتيان الصقالبة جؤذر صاحب الصاغة والبيازة على مبايعة المغيرة أصغر أبناء الخليفة عبد الرحمن الناصر بالخلافة بدلا من هشام بن الحكم لصغر سنه. واستطاع المنصور بن أبي عامر من تدبير أمر الصقالبة، فنفي فائق النظامي إلى الجزائر الشرقية، فمات هناك. ابن عذاري، المصدر السابق،ج2، ص387، 393 .

لم ينحصر امتلاك دور الطراز للأمراء والخلفاء فقط، فهناك من قلدهم من الثائرين كإبراهيم بن حجاج بن عمير اللّخمي* ملك إشبيلية الذي كانت له طرز بإشبيلية يطرز فيها على اسمه كفعل السلطان[1]. وبذلك تعددت دور الطراز للعامة التي خصصت لأهــل الأنــدلس في كل من المرية[2]، وبسطة[3]، ومرسية[4]، وإشبيلية[5]، وقرطبة[6]، وغيرها من دور طــراز للعامة[7]. بالإضافة إلى دور الطراز كــان بمدينة الزهراء دار للصناعة الجلدية يعمل فيها مئات الصناع يقومون بصنع السّرج، وعدة الركوب المطرزة بالذهب والفضة[8].

هكذا انتشرت دور الصناعة في مختلف المدن الأندلسية كل منها اختص بصناعة معينة وشاعت بذلك ظاهرة التخصص الصناعي في بلاد الأندلس. ولحاجة السكان المتكررة والضرورية للحياة تطلب وجود الأسواق لممارسة الصنائع والحرف المختلفة كمجال ثاني للتصنيع والإنتاج وهذا ما سنورده في حينه .

2- الســـــــوق

لم يقتصر الإنتاج الصناعي على دور الصناعة من الخاصة والعامة، بل تجاوز الأمر إلى اتخاذ السوق مجالا للإنتاج والبيع، لذلك ركزت السلطة الأندلسية الأموية على الاهتمام بها باعتبارها مصدر دخل لها. ولهذا تنوعت الأسواق حسب الاختلاف المهني فيما بينها.

---

* إبراهيم بن الحجاج ملك إشبيلية وقرمونة و ما ولاها في خلافة عبد الله بن محمد، فاجتبى الأموال، وارتفع ذكره واتخذ لنفسه جندا ورتب لهم الأرزاق كفعل السلطان، ت(288هـ/901م) . ابن عذاري، المصدر السابق،ج2، ص 188، 195 / ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق ملشورم أنطونية، ص11 ،13.

1- المصدر نفسه، ص 12.
2- الحميري، المصدر السابق، ص38.
3- المقري، نفح الطيب، ج1، ص201.
4- الحميري، المصدر السابق، ص45.
5- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص192.
6- Razi , La description d'Espagne,p65.
7- السيد عبد العزيز سالم سحر، بحــوث مشرقية ومغربية في التاريخ والحضارة الإسلامية، ص 527.
8- وجـدان علي نايــف، سلسلة التعريف بالفن الإسلامي،ج1(الأمويون، العباسيون، الأندلسيون)، الجمعية الملكية للفنون الجميلة، عمان الأردن(د.ت)، ص 178.

تعتبر السوق في قرطبة الحلقة المركزية في النشاط الاقتصادي[1]، ولقد تدخلت الدولة أكثر من مرة لتوسيع السوق[2] والطرق المفضية إليها[3]. كما أنشئت أسواق في مدينة الزهراء والزاهرة ومدن أخرى. وامتد النشاط التجاري إلى الحارات والأحياء التي شهدت بروز أسواق محلية صغيرة عرفت بالقيساريات* فقد روي أن الخليفة عبد الرحمن الناصر بنى مدينة المرية(344هـ/955م) [4]، ووضع فيها دارا للصناعة تتكون من قسمين، قسم فيه المراكب الحربية والآلات والعدة، والقسم الآخر فيه القيسارية وتضم عددا من الحوانيت المختلفة حسب الاختلاف المهني فيما بينها[5]. وبلغ عدد الحوانيت أيام الحاجب المنصور بن أبي عامر" حوالي ثلاثون ألف حانوت وأربعمائة واثنان وخمسون حانوت"[6]، وقيل ثمانون ألف وأربعمائة وخمسة وخمسون[7].

تحولت الأسواق إلى أكبر منطقة للإنتاج الصناعي، فقد كانت كل سوق من الأسواق تضم عدة متاجر في سلعة واحدة، ومن جملة الحوانيت حوانيت الريحاني[8]، الحرازين، الجيارين، الصوافين[9]، السراجين[10]. وكان كل نوع من أنواع الحرف والصناعات يحتل سوقا باسمه، كسوق العطــارين[11] بإزاء باب العطارين[12]، وســوق الزجاجين[13] والوراقين والحدادين[14]، إضافة إلى سوق الحصارين والجيارين[15]، وسوق

1- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص 212.
2- المصدر نفسه، ص 66.
3- نفسه، ص 70، 71.
4- الحميري، الروض المعطار، ص183.
5- العذري، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، ص 86 / الطاهري أحمد، دراسات ومباحث في تاريخ الأندلس عصري الخلافة والطوائف، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، ط 1 (1993 م)، ص 83.
* القيساريات: عبارة عن حوانيت على جانبي شبــكة الطــرقات الضيقة المتصلة بالحارات /العذري، المصدر السابق، ص 86 / السيد عبد العزيز سالم، تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 218.
6- مجهول، وصف جديد لقرطبة، تحقيق حسين مؤنس، ص170.
7- المقري، نفح الطيب، ج2، ص 336.
8- ابن بشكوال، كتاب الصلة، ص38.
9- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق بيدرو شالميتا،ج5، ص 383.
10- المصدر نفسه، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص 207.
11- المصدر نفسه ، تحقيق بيدرو شالميتا،ج5، ص 383 .
12- بن حزم، طــوق الحمــامة، ص70 / مجهول، وصف جديد لقرطبة، ص167/ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج5، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة(د.ت)، ص 214.
13- الطاهري أحمد، المرجع السابق، ص 117.
14- ابن حيان، المصدر السابق ، ص 444.
15- السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج1، ص 181.

تعتبر السوق في قرطبة الحلقة المركزية في النشاط الاقتصادي[1]، ولقد تدخلت الدولة أكثر من مرة لتوسيع السوق[2] والطرق المفضية إليها[3]. كما أنشئت أسواق في مدينة الزهراء والزاهرة ومدن أخرى. وامتد النشاط التجاري إلى الحارات والأحياء التي شهدت بروز أسواق محلية صغيرة عرفت بالقيساريات* فقد روي أن الخليفة عبد الرحمن الناصر بنى مدينة المرية(344هـ/955م) [4]، ووضع فيها دارا للصناعة تتكون من قسمين، قسم فيه المراكب الحربية والآلات والعدة، والقسم الآخر فيه القيسارية وتضم عددا من الحوانيت المختلفة حسب الاختلاف المهني فيما بينها[5]. وبلغ عدد الحوانيت أيام الحاجب المنصور بن أبي عامر" حوالي ثلاثون ألف حانوت وأربعمائة واثنان وخمسون حانوت"[6]، وقيل ثمانون ألف وأربعمائة وخمسة وخمسون[7].

تحولت الأسواق إلى أكبر منطقة للإنتاج الصناعي، فقد كانت كل سوق من الأسواق تضم عدة متاجر في سلعة واحدة، ومن جملة الحوانيت حوانيت الريحاني[8]، الحرازين، الجيارين، الصوافين[9]، السراجين[10]. وكان كل نوع من أنواع الحرف والصناعات يحتل سوقا باسمه، كسوق العطـــارين[11] بإزاء باب العطارين[12]، وســـوق الزجاجين[13] والوراقين والحدادين[14]، إضافة إلى سوق الحصارين والجيارين[15]، وسوق

1- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص 212.
2- المصدر نفسه، ص 66.
3- نفسه، ص 70، 71.
4- الحميري، الروض المعطار، ص183.
5- العذري، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، ص 86 / الطاهري أحمد، دراسات ومباحث في تاريخ الأندلس عصري الخلافة والطوائف، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، ط 1 (1993 م)، ص 83.
* القيساريات: عبارة عن حوانيت على جانبي شبـــكة الطـــرقات الضيقة المتصلة بالحارات /العذري، المصدر السابق، ص 86 / السيد عبد العزيز سالم، تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 218.
6- مجهول، وصف جديد لقرطبة، تحقيق حسين مؤنس، ص170.
7- المقري، نفح الطيب، ج2، ص 336.
8- ابن بشكوال، كتاب الصلة، ص38.
9- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق بيدرو شالميتا،ج5، ص 383.
10- المصدر نفسه، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص 207.
11- المصدر نفسه ، تحقيق بيدرو شالميتا،ج5، ص 383 .
12- بن حزم، طـــوق الحمـــامة، ص70 / مجهول، وصف جديد لقرطبة، ص167/ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج5، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة(د.ت)، ص 214.
13- الطاهري أحمد، المرجع السابق، ص 117.
14- ابن حيان، المصدر السابق ، ص 444.
15- السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج1، ص 181.

النحاسين والخشابين[1] والفخارين[2]. وتحدث غيرهم عن ربــض الريحاني والرقاقين بقرطبة[3]، ومن الحومات حومة الرقاقين قرب باب إشبيلية،وحومة النجارين[4].

إنّ لبعض الأسواق أياما معينة يعرض فيها التجار بضاعتهم؛ فأسواق مدينة شوذر من كورة جيان بالأندلس تعقد في يوم الثلاثاء[5]، أما سوق قرمونة فكان يوم الخميس[6]. ويبدو أن السلطة تكفلت في تحقيق هذا التنظيم، فمن واجبات المحتسب" أن يرتب الصناع ويجعل كل شكل مع شاكله في مواضيع معلومة فهو أجل وأتقن"[7].

إنّ تصنيف الأسواق في المدينة كان الدافع منه رد الضرر الذي يحدث لتجاور سلع وحرف متضادة تفسد العرض والسلعة، وتسبب الأذى للمارة، وإبعادها عن المسجد لما قد تسببه من تلويث المكان ونجاسته. ونستطيع أن نتبين هذا الأمر من خلال توجيهات الفقهاء[8] فيما يتــعلق بنظــافة المســجد روى الفقيــه ابن لبــابة (314هــ/926م) عما يقوم به الناس من جلب الحطب والبقول وما إليها ووضعها في حوانيت ملاصقة للمسجد، فيصيبه الوسخ[9].

إنّ لهذا التصنيف فائدة مزدوجة لكلّ من التجار والحرفيين في ممارسة نشاطهم في موضع معين مما يسهل عملية البيع والشراء، ويمكن للمشتري أن يصل إلى حاجته دون عناء، ومن جهة أخرى سهل التصنيف مراقبة الأسواق، وساعد المحتسب على الوصول إلى سوق معينة دون مسح كامل للسوق بحثا عن حانوت أو سلعة معينة.

1- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 57 / مسعد مصطفى سامية، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1(2000م)، ص 85.
2- المصدر نفسه، ج2، ص 131.
3- مجهول، وصف جديد لقرطبة، ص 168.
4- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، ص298.
5- مسعد سامية مصطفى، المرجع السابق، ص 85.
6- الحميري، المصدر السابق ، ص149.
7- ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص 43.
8- المصدر نفسه، ص 43، 47،44 / ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة والمحتسب،ص 85،75.
9- الونشريسي، المعيار المعرب، ج7، ص 482.

وكما يلاحظ أنه تم إنشاء السوق بأنماطها المختلفة لتحقيق النفع ومنع الضرر وفقا لحاجة المجتمع الأندلسي بالمدن، وتسهيلا لنقل البضائع وحركة المرور نظرا لوجودها بالقرب من المسجد الجامع الذي يعتبر القلب النابض للحياة الاقتصادية بقرطبة.

لم يقتصر الإنتاج الصنـــاعي على دور الصناعة والأسواق بل تعدى هذه الفضاءات ليتخذ البيت مكانا له، إذ روي أن القاضي سعيد بن سليمان الغافقي* أخرج شقة بيضاء من صوف فدفعها إلى أحد الأزواج واتضح هذا من خلال إحدى فتواه، في قوله: "هذه شقة عملت في بيتي لشتوتي "[1]. واتخذت النساء في غزل النسيج، إذ ورد إشارة على لسان عبد الرحمن النّاصر فيما قال :" أعلمتم أن الأمير عبد الله جدي بنزوله للعامة في الحكم للمرأة في غزلها... وأي مصلحة في نظر غزل امرأة ينظر فيه أمين سوق الغزل وإضاعة النظر في قطع الطرق وسفــك الدماء وتخريب العمران "[2].

2- الحسبـــــــة

نشأت المدن الأندلسية منذ العهد الأموي على النمط الشرقي في توسيع العمران وتنظيمه، مما استوجب على الدولة إقامة نظام دقيق يستحكم أمورها ويسير شؤونـــها من مــــــراقبة الصناع والتجار والأسواق وتمثل هذا النظام في الحسبة**.

يطلق على هذه الخطـــة "ولاية السوق" التي تجمع بين نظر شرعي وزجر سلطاني[3]، وأشار ابن حيان إلى هذه التسمية في زمنه، حيــن تحــدث عن عبد الله بن

1- الخشني، قضاة قرطبة، ص 139.

* أبو خالد سعيد بن سليمان بن حبيب، ولي قضاء ماردة وغيرها قبل ولايته قضاء قرطبة، ثم ولاه الأمير عبد الرحمن بن الحكم قضاة الجماعة بقرطبة. المصدر نفسه، ص 135.

2- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 125.

**الحسبة : مصطلح إسلامي ،وهو في اللغة: الأجر، أي حسن التدبير وتنظيفه . والحسبة مصدر احتسابك الأجر على الله . ابن منظور، لسان العرب، ج1، 866.

3- الهروس مصطفى، المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن (3هـ/10م) نشأة وخصائص، ط(1997م)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ص 254.

حسين بن عاصم* والمهام التي تصرف فيها فقال: " والحسبة المعروفة عندنا بولاية السوق"[1]. ويطلق على ولاية السوق بصاحب السوق فيما أورده الونشريسي عند تعريفه لها إذ قال: "وصاحب السوق كان يعرف بصاحب الحسبة لأن أكثر نظره إنما كان فيما يجري في الأسواق من غش وخديعة ودين وتفقد مكيال وميزان وشبهة"[2]. بينما شرح ابن عبدون ضرورة إقامتها للحاجة الملحة "لأن النّاس معوجون مغالبون أشرار"[3]. وسنذكر مختلف المخالفات وأنواع الغش في كل مبحث من مباحث الأنشطة الصناعية.

كانت تقوم ولاية السوق في الأندلس على نظام محكم وصفه المقري بقوله:" وأما خطة الاحتساب فإنها عندهم موضوعة في أهل العــلم والفطن، وكأن صاحبها قاض، والعادة فيه أن يمشي بنفسه راكبا على الأسواق، وأعوانه معه، وميزانه الذي يزن به الخبز في يد أحد الأعوان"[4] ، وفي موضع أخر أضاف:" ولهم في أوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تتدارس أحكام الفقه"[5] .

فإذا كان صاحب السوق بالأندلس يستعمل مختلف الوسائل لضبط مخالفات الصناع ومحاربة الغش، فإن الفقهاء** يجتهدون فيما لا نص فيه، والبحث عن الحل الشرعي المتعلق بأحكام السوق[6]. وفي الوقت الذي بــدأت فيه السلطــة تنظــر إلى الأسواق باعتبارها مصدر دخل كان لابــد من وجــود المحتسب الذي يشرف على الأسواق.

---

* إبراهيم بن حسين بن عاصم بن مسلم بن كعب الثقفي، يكنى ابا إسحاق، رحل وسمع وحدث وولي السوق في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ/852-886م). توفي سنة (256هـ/870م).الحميدي ، جذوة المقتبس، ص 152، 153.

1- المقتبس، تحقيق محمود على المكي، ص 176.

2- المعيار المعرب،ج 10، ص 77.

3- ابن عبدون،المصدر السابق، ص 20.

4- المقري، نفح الطيب، ج1، ص218،219.

5- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

** أبرز الفقهاء الذين تقلدوا ولاية الحسبة: ابراهيم بن حسين بن خالد،ولي سنة(232هـ/ 846م)، محمد بن يحي بن أبي غسان(ت 295هـ/ 908م)، عمر بن اخمد بن فرج عزل سنة(301هـ/913م)، أحمد بن حبيب بن بهلول(302هـ/914م)، أحمد بن نصرولي سنة (361هـ/972م). ابن حيان، المصدر السابق، ملشورم أنطونية، ص5 / ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص216، 217، 245، 249 ، 285.

6- الهروس مصطفى، المرجع السابق، ص 260، 264.

فمن الناحية النظرية كانت مهمته "**وَلتكن مّنكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**"[1]، ومن الناحية العملية كان يحذر المخادعين من الحرفيين والصناع ويمنع الضرر لحماية المشتري في قضاء حاجاته[2] وفي هذا قول للسقطي:" ينبغي للمحتسب أن يتفقد أمورهم وصنائعهم ويمنعهم من مطال النّاس في حوائجهم لما في ذلك من تعطيلهم للنّاس عن أشغالهم وإضرارهم بهم." [3] .

في إطار منع الضرر، هناك قواعد انعكست على الحياة الاجتماعية؛ إذ حدد الفقهاء والمحتسبون[4] الضرر داخل المدينة فاعتبروا الدخان الضار والرائحة الكريهة والصوت المزعج ثلاثة مظاهر تسبب الضرر للآخرين. وتطبيقا لمنع ذلك وجب إبعاد بعض الحرف والصناعات عن الوحدات السكنية والحرص على جمع الحرف المتشابهة في موضع معين[5].

وللحفاظ على نظافة المكان منع حول الجامع من وجود بائع زيت[6] والحجل والطير المذبوح[7]. وللقضاء على الرائحة الكريهة تم إبعاد بائعي الحوت إلى مكان سوقهم بمعزل عن الطريق لما تعوده من رائحة[8]. ومنع الخبازون من مجاورة أهل الحرف القذرة كباعة السردين وأصناف الحوت والبياطرة والحجامين[9]. ومن أجل تنظيم حركة المرور في شوارع المدينة والأسواق منع تجاور السلع المتضادة تفاديا لفساد السلعة وتسبب الأذى للمارة. وفي هذا الصدد منع الصباغون من نشـــر الثياب المصبوغة في الطريق لما فيه من تلوث للمارين[10]. كما نهي عن اتخـــاذ أفران عليها

1- سورة آل عمران، الآية 104.

2- البرزلي، أبو القاسم بن أحمد البلوي، جامع مسائل الأحكام، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1(2002م)، ص 151،150.

3- As-Sakati. Un Manuel Hispanique De Hisba, p62.

4- أمثال ابن عبدون، ابن عبد الرؤوف، السقطي .

5- ابن عبدون، المصدر السابق، ص43.

6- المصدر نفسه، ص 44،47.

7- نفسه، الصفحة نفسها.

8- ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة والمحتسب، ص 85.

9- المصدر نفسه، ص 75.

10- نفسه، ص 106.

لحمايــة المارة من الدخــان[1]، وطلــب من الفخــارين إزالــة حوائجــهم عنها[2] ومنع الخضـــارون والحصارون من طرح أزبالهم بها، لأنها تعطل حـــركة السير في شوارع المدينة والأسواق[3].

3- الأســــعار

إن قضية التسعير تتعلق بمدى وفرة المواد المختلفة التي تدخل في الصناعة. ولم نعثر في المصادر على تسعير المنتجات الحرفية إلاّ ما ذكر في كتب الحسبة عن المواد الغذائية والزراعية التي تستغل في الصناعة المعاشية والاستهلاكية. وروى الفقيه يحي بن عمر ضرورة التشدد في مراقبة الأسواق وضرورة تسعير السلع الغذائية الهامة[4].

اتسمت الأسعار في بلاد الأندلس بالرخص تارة والغلاء تارة أخرى، فالأول يرتبط بالازدهار الاقتصادي وبسياسة العمران وإنشاء المدن وتكامل المرافق ورخص المعيشة، مما يجذب النّاس ويزيد من الرخاء، ففي النصف الثاني من القرن (4هــ/10م) لاحظ ابن حوقل[5] أن البضائع في الأندلس بيعت بأسعار رخيصة في عهد الأمويين المزدهر اقتصاديا. فقال:" أما أسعارهم فتضاهي النواحي الموصوفة بالرخص وكثرة الخير والسعة". وبعد إدخال العملة الذهبية في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر عرفت الأسعار انخفاضا بوجه عام[6]. واشتهرت المدن الأندلسية بكثرة الزروع ووفـــرة الإنتاج، فمدينة مرسية " أسواقها عامرة وراخية أكثر الدهر، رخيصة الفواكه"[7]. ومدينة جيان" أكثرها خصبا ورخصا للحوم والحبوب"[8]. واشتهرت مدينة سرقسطة بكثرة البساتين والفواكه، ورخص الأسعار[9].

1- نفسه والصفحة نفسها.
2- نفسه، ص 107.
3- نفسه والصفحة نفسها.
4- يحي بن عمر، أحكام السوق، ص 51،52.
5- صورة الأرض ، ص 109.
6- كونستبل أوليفيا ريمي، التجارة والتجار في الأندلس، ص 213.
7- الحميري، الروض المعطار، ص 183.
8- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب،ج2، ص42.
9- الحميري، المصدر السابق، ص 97.

أما ضبط الغلاء في أسواق الأندلس، فدليل على كساد السلع وتدهور خطير في حياة الصناع. فالثورات الداخلية وما نتج عنها من خراب وحرق وتدمير أثر في مستوى الأسعار، دون أن نستثني أضرار الكوارث الطبيعية المتلاحقة من فترة إلى أخرى من جفاف وقحـــط وفيضانات وزلازل. وسبق أن ذكرنا ذلك ضمن عنصر أثر الاضطرابات والأزمات والكوارث الطبيعية على الصناعة في الفصل الأول من هذا البحث.

5- الأجـــــــور

تختلف الأجور حسب المهن والظروف المعيشية في بلاد الأندلس. غير أن المصادر التاريخية نادرا ما تناولت هذه المسألة، إلاّ ما ألف عن بناء مدينة الزهراء وعمالها وبناء جامع قرطبة، فيذكر أن منبر جامع قرطبة قـــد أحكم عمله ونقشه في سبع سنين وكان يعمل فيه ثماني صناع، لكل صانـــع في كل يوم نصف مثقال محمدي[1].

كما ورد ت رواية أخرى في السياق نفسه عن استخدم كل يوم من حذاق البناة ثلاثمائة والنجارين مائتين ومن العمال والفعلة خمسمائة في بناء مدينة الزهراء يتفاوت أجر الواحد منهم ما بين درهم ونصف وثلاثة[2]. وكان عرفاء البنائين في إنشاء هذه المدينة يتقاضى كل واحد منهم عن رخامة يجلبها من إفريقية وتونس ثلاثة دنانيـــر[3]، وعلى كل سارية بثمانية مثاقيل ذهب، وقيل كان يصلهم على كل رخامة كبيرة أو صغيرة عشرة دنانير[4]. واستخلصت زيغريد هونكه[5] أن الأندلس كانت منطقة جذب لآلاف من العرب من جنود وزراع وصناع وتجار بسبب الأجور العالية وارتفاع المستوى المعيشي، والرخاء الاقتصادي.

1- محمود مقديش، نزهة الأنظار، م1، ص 158.
2- المقري، المصدر السابق، ج1، ص 526.
3- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 344.
4- ابن غالب، قطعة من فرحة الأنفس، ص 300.
5- شمس العرب تسطع على الغرب، ص 497.

يبدو أن الأجور اختلفت حسب رتبة الصناع ومهنهم، والوضعية الاقتصادية لبلاد الأندلس، فلا يمكن تحديد الأجور لكل حرفة، فمنهم الفقراء ومنهم أصحاب اليسار الذين ينعم عليهم الأمراء والخلفاء كعرفاء وأمناء دار الطراز[1].

ساهم الأندلسيون في الإشراف المباشر على النشاط الاقتصادي، وتنظيم الحرف المختلفة تنظيما يتكيف مع اهتمامات السلطة بالدرجة الأولى، وتحديد ضروريات الرعية حتى يتسنى لأصحاب الأعمال اليدوية الممارسة الدائمة تحت حمايتها. وكان من واجباتها أيضا توسيع الفضاء الصناعي الذي نتجت عنه ظاهرة التخصص الحرفي، ومحاولة تنظيم السوق للمحافظة على ترقية الصناعات ومراقبتها. وهذا ما يكون من وظيفة المحتسب. أما في مجال الحديث عن الأسعار والأجور فلا يمكن الوصول إلى نتيجة محددة وثابتة على وجود أثمان محددة طيلة الفترة المدروسة، لأن هذه المرحلة تخللتها تقلبات من حين لآخر كما سبق الذكر.

1- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق عبد الرحمن على الحجي، ص 92.

الفصل الثالث

أنواع الصناعات وخصائصها

أولا: الصناعة المعاشية والاستهلاكية:

1-الصناعة الغذائية.

2-الصناعة النسيجية.

3-الصناعة الجلدية.

4-الصناعة الورقية.

ثانيا: الصناعة المعدنية :

1-صناعة الآلات الحديدية .

2-الصناعة البرونزية والنحاسية والصفر.

3-الصناعة الفضية والذهبية

ثالثا: الصناعات المتنوعة:

1-الصناعة الفخارية والخزفية.

2-صناعة الحفر على الرخام والحجر.

3-صناعة الزجاج والبلور.

4-الصناعة العاجية.

5-الصناعة الخشبية.

6-الصناعات الأخرى .

منذ أن فتح المسلمون بلاد الأندلس، اعتنى قادتهم بتوسيع المدن القديمة وتزيينها وأحدثوا مدنا جديدة وجمّلوها، فاختاروا لها المواقع اللائقة، وراعوا عند تأسيسها المصالح العامة، والمرافق الحيوية، وكانوا يهتمون بتشييد المساجد والحمامات، وإقامة الحصون، وتنظيم مجاري الماء والقنوات، وبناء القناطر والطرقات والإكثار من البساتين والمنتزهات. وكان أمراء وخلفاء بني أمية يتنافسون في بناء القباب والقصور وتفريشها بأجمل الأثاث. وغـدت بذلك قرطبة والزهراء أهم منجزات العصر الذهبي للأندلس ومصدر إبـداع هندسي بما توافر فيها من ثراء فني معماري وحشد صناعي زخرفي.

ولعل صناع الأندلس استخدموا الطرق المحسنة في الإنتاج، وعلى أيديهم تم ابتكار أدوات التصنيع وملحقاتها الأساسية، ولذلك بلغت الصناعة الأندلسية تقدما لم تشهده البلاد قبل الفتـح الإسلامي. وحظيت بعض الصناعـات بشهـرة في الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، فبرع أهلها في استغلال المنتجات الزراعية والحيوانية والمعدنية في صناعات عديدة رغم اختلاف أصولها.

تعد نهاية القرن (3هـ/9م) بمثابة زمن مناسب لتكامل الصناعات وإتقانها، وهذا الفصل من الدراسة خير ما يؤكد النضج الذي وصلت إليه الصناعة، فقد غطت المدن تحت إشراف السلطة ورقابتها كل مستلزمات المجتمع من سلع استهلاكية وكمالية، وهذا الأمر أثر في تطور الصناعة وعلى المشتغلين بها كما سنرى.

لنا أن نتساءل عن مدى قدرة الأندلسيين على التصنيع والاقتباس من الحضارات الأخرى، وما علاقة الدولة بمختلف الحرف في المجتمع؟ ومـا هي طرائق التصنيع وأنواع استخدامات المواد الخام في مجالات الحياة ؟

أولا: الصنـــــاعة المعــــاشية والاستهلاكــية

1- الصنــاعــة الــغذائيـــة

دخلت إلى الأندلس الكثير من المحاصيل الزراعية مثل الزيتون والقطن وقصب السكر والنخيل وغيرها من بلدان مختلفة، مما كان لها الأثر في تطوير الصناعات الغذائية في هذه البلاد. وما تلك المؤلفات التي وضعت خصيصا في هذا المجال إلا دليـل على ذلك، إذ تناول أصحـابها مختلف الطـرائق والوسائل الفعالة لتطوير الصناعات الغذائيــة الأندلسية. وما هو معلــوم ومتــداول من هذه المصنفات على الزراعة كتاب **المقنع في الفلاحة** لابن حجاج الاشبيلي، **وزهرة البستان ونزهة الأذهان** لمحمد بن مالك الطغنري الغرناطي، و**الفلاحة الأندلسية** لابن العوام الاشبيلي، ويعود تاريخ هذه المصنفات القرن (5هـ/11م).

أ- صنـــاعة تكـــرير السكـــــر

يعتبر قصب السكر من المحاصيل الهامة التي نجحت زراعتها في الأندلس، ويظهر ذلك منذ الفتح الإسلامي؛ حيث ذكر أحد المؤرخين المتقدمين أمثال الرازي[1] أن محصول قصب السكر كان كثيرا في الأندلس في القرن (4هـ/ 10م). وانتقلت صناعته من بلاد العراق إلى هذه بلاد[2] ومن أهم مراكز إنتاجه وتصنيعه إلبيرة[3]، وجبل موسى بالقرب من الجزيرة الخضراء ومالقة والمنكب[4] وشمجلة[5]، كما زُرع في إشبيلية [6].

1- Ahmed Razi , La description d'Espagne ,p64.

2- آدم ميتز،الحضارة الإسلامية في القرن 4 هـ/10م، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، الدار التونسية للنشر، تونس (1986م)،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، ص 730.

3- ابن الخطيب، الإحاطة، م1، ص 104 / الحميري، الروض المعطار، ص 24.

4- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 345.

5- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 361.

6- الحميري، المصدر السابق، ص 21.

لم تذكر لنا المصادر المتاحة طريقة صنع السكر لكنّ المسلمين في الأندلس اعتنوا بصناعته وجعلوه من الحاصلات المستوطنة في بلادهم، وشاع استخدامه في المطابخ والأطعمة وكان يقدم للضيوف، فقد روي عن أحد الأدباء قوله :" كنت جالسا عند أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه* فأتانا من بعض إخوانه طبق فيه أنابيب من قصب السكر"[1].

ب- صنـــاعة الــزيــوت

من الصناعات الزراعية الهامة، صناعة عصر الزيت من الزيتون لوفرته في المناطق السهلة بشرق الأندلس، وقد اختصت إشبيلية بوفرة الزيوت الذي يتجهز به إلى المشرق والمغرب[2]، ونظرا لجودة نوعيته بالغت الروايات في نعته بأنه " أطيب زيت في المعمورة كلها"[3]. وجبل الشرف أشرف بقعة للزيتون المبارك عند اعتصاره، ولا يتغير به الحال ويبقى زيتها برقته وعذوبته أعواما لا يتغير طعمه[4]. وأضاف المقري أن" زيتون الشرف يخزن تحت الأرض أكثر من ثلاثين سنة ثم يعتصر فيخرج منه أكثر مما يخرج منه وهو طري"[5]، ووصف زيتها بالطيب الذي لا يتغير طعمه على طول الدهر[6].على الرغم من المبالغة الواضحة في النص، غير أنه يعبر عن مدى جودة الزيت. وبالمثل أشار الحميري أيضا، إلى أن قرية شوذر من كور جيان تعرف بغدير الزيت لكثرة زيوتها[7].

---

* أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ، شاعر الأندلس وأديبها مولى الإمام هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ، من أهل قرطبة يكنى أبو عمر(ت 382هـ/922م). ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص41 /الحميدي ، جذوة المقتبس، ص 172.

1- نقلا عن خالد عبد الكريم بن حمود البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس عصر الإمارة، ص 133.

2- ابن بطوطة، تحفة النظار، ص 34،35.

3- الزهري، كتاب الجعرافية، ص 89.

4- العذري، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان، ص 95.

5- المقري، نفح الطيب، ج1، ص 208.

6- الحميري، المصدر السابق، ص 21.

7- المصدر نفسه، ص 117.

أما في مجال استخراج الزيت من حبات الزيتون، فإن ابن الحجاج الاشبيلي في كتابه "المقنـــع في الفلاحة " فذكر طرائق عديدة في عملية استخراج أطيب وأجود الزيوت وذلك في قوله:" أجنه قبل شدة البرد إذا بلغت السواد– فيكون أكثر لزيتها وأحسن لدمنتها، وذلك في يوم مصح– اجتناء رقيقا باليد لا بالعصا. ولا تلقط منها إلاّ ما يعمل يوما بيوم، فانه أجود لزيته. دنق ورقه وعيدانه، ولا تجعل بعضه على بعض فيفسد، بل أبسطه. إذا كان بالعشي فضع على ما لقطت منه ملحا نقيا، ثم اطحنه من الغد طحنا لا تكسره من عجمه شيئا. ومن الناس من يبني بعضه على بعض بغصون الصفصاف، ويلف عليه حبلا ثم يكسبه باليد فيخرج الزيت النقي الصافي فيرفع في إناء أخر، وهذا على ما كان،وهو المعروف بزيت الإنفاق. ثم تطحن الثاني طحنا شديدا ويعصر فيخرج زيت أغلظ من الأول، ثم اطحنه الثالثة وألق عليه ماء حارا، وارفعه ثلاثين يوما في إناء، ثم انقله إلى إناء أخر فانك تخرج زيتا صافيا أجود من زيت العامة"[1].

وذكر ابن مالك الطغنري الغرناطي أيضا ضمن كتابـــه "زهرة البستان ونزهة الأذهان" طريقة خاصة في عمل زيت الزيتون الذي سماه" زيت النقطة" فقال" هذا الجنس من أجنـــاس الزيت إذا أخذ من الزيتون الطيب المتناهي الطيب، يأتي حسن القوام ، ولا يخرج بماء ولا نار، فمن أحب اتخاذ هذا الزيت، فيأخذ الزيتون الطيب القريب العهد"[2].

وأشارت كتب الحسبة إلى وجود ثلاثة أنواع متمايزة من زيت الزيتون حسب طرق استخلاصها وهي: زيت الماء وزيت المعصرة والزيت المطبوخ[3]، وذكر ابن عبد الرؤوف أن زيـــت الماء وزيت المعصرة رقيقه وغليظه، طيبه ورديئه، لا يجوز

1- نقـــلا عن النعســـان محمد هشـــام، الصنـــاعات الغـــذائية في الأنـــدلس، مـــوقـــع ارض الحضــــارات -www.landcivi.com - حلب، ص 2.

2- المرجع نفسه، ص 3 .

3- ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة والمحتسب، ص 105.

التفاضـــل فيه، ويجوز بيعه متفاضلا بزيت الجلجلان وزيت الكتان والجوز لاختلاف منافع ذلك"[1]. كما حذر ولاة الحسبة الزياتين من أعمال الغش والتدليس، فقال يحي بن عمر الأندلسي:" لا يخلط الزيت الردئ بالجديد"[2]، ونبه ابن عبد الرؤوف" ألا يخلطوا الزيت الرديّ بالطيب ولا الزيت الطيب بالردىّ الحار ولا يغشوا فيه بماء أو غيره"[3].وفي السياق نفسه ذكر السقطي " يمنع معاصر الزيتون أن يعصر فيها زريعة الكتّان لئلا تعلق رائحته بالزيت"[4].

ويستفاد من الزيت في أغراض متعددة في الطبيخ وإنارة المساجد وبكميات كبيرة. وقد خصص في مسجد قرطبة خمس ثريات في الصومعة وأربع في بلاط القبلة، وهي أعظمها، تحمل كل ثرية منها سبعة أرباع من الزيت تحترق فيها كل ليلة واحدة، ومنها في المقصورة ثلاث ثريات من فضة مخلصة تحمل كل ثرية منها ثمانية عشر رطلا من الزيت[5]. ووصف الحميري[6] قبة جامع قرطبة أن بها ثلاث تفاحات من ذهب واثنان من فضة، تسع الكبيرة من هذه التفاحات ستين رطلا من الزيت.

ت- صناعة الألبـــــان

استفادت بلاد الأندلس كثيرا من تربية المواشي لقيمتها الغذائية الكاملة فاستنبطوا طرق صناعة الحليب ومشتقاته، وفي ذلك خصص ابن مالك الطغنري الغرناطي فصلا للحديث عن صناعة الجبن ومما جـــاء فيه :" الجبن يختلف بقدر المسارح(المواضع)، وجودة العمل، ورداءته، والأجود منه ما عمل في أول شهر ابريل إلى أخر شهر مايه، وما عمل بعد ذلك لا خير فيه، وأجـــود ما امتثل به، أن الخروف التي لم تخرج إلى المسارح، ولا أكلت نبتا..."[7].

1- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
2- يحي بن عمر، أحكام السوق، ص 116.
3- ابن عبد الرؤوف، المصدر السابق، ص 105.
4- As-Sakati ,op ;cit. p68.
5- مجهول، وصف جديد لقرطبة، ص 176.
6- الروض المعطار، ص 156.
7- زهرة البستان ونزهة الأذهان، نقلا عن النعسان محمد هشام، الصناعات الغذائية في الأندلس، ص 4.

ويبدو أن صناعة الجبن كانت بيد النصارى أكثر من غيرهم؛ إذ نهى الفقيه عبد الملك بن حبيب (ت238هـ/852م) عن أكل جبن المجوس، لكنه لم يمانع من أكل جبن النصارى القاطنين في الأندلس[1].

ويشتق من الجبن نوع من الأطعمة الأخرى وهي المجبنات* التي اختصت بصناعاتها مدينة شريش فيما رواه المقري:" ومما اختصت به إحسان الصنعة في المجبنات، وطيب جبنها يعين على ذلك، ويقول أهل الأندلس: من دخل شريش ولم يأكل بها المجبنات فهو محروم"[2].

وتناول ابن مالك الطغنري الغرناطي كيفية صناعة السمن:" وأما السمن فيؤخذ من الزبد و يطبخ، ويصفى في الأواني التي يراد رفعها فيها، ويستوثق من أفواهها، فإذا كان الزبد طريا، أتى السمن القوام، جيد الطعام..."[3].

ج- صناعة الخـــــل والمخللات

عرف الأندلسيون صنع الخل والمخللات التي تدخل في ألوان الطعام، ومنه الخل الذي احتيج إليه في الطعام الأبيض المصنوع من العنب المتناهي في الحلاوة[4]. وخصص في ذلك ابن مالك الطغنري الغرناطي فصلا كاملا في صنعته بقوله:" الخل الطيب الحسن الطعم،لا يتفق بوجه إلاّ من العنب الحلو الشديد الحلاوة، وسائر أنواع العنب يتفق منها خل حاذق، غير أنه يأتي طعمه مائلا إلى العفوصة والحروشة. وأما خل العنب الطيب فيأتي حسن الحموضة وحســن الرائحة والطعــم واللون، فمن أراد على هذه الصفة نثر العنب من عرجونه، وصيره حبا، ورمى به في الخوابي، ويرزم

1- ابن عبد الرؤوف، المصدر السابق، ص 91.

* المجبنات نوع من القطايف يضاف إليها الجبن في عجينها، وتقلى بالزيت الطيب. المقري، نفح الطيب، ج1، ص184 / أرسلان شكيب، الحــلل السنــدسية في الأخبار والآثار الأندلسي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (د.ت)، ج2، ص 22.

2- المقري، المصدر السابق،ج1، ص 184.

3- زهرة البستان ونزهة الأذهان، نقلا عن النعسان محمد هشام، الصناعات الغذائية في الأندلس، ص 4.

4- مجهول، كتاب الطبيخ، ص82.

فيها باليد ويتفقد بعد خمسة عشر يوما أو عشرين يوما، ثم يخرج ويصفى من عجمه، ويدرس حبه، ثم يؤخذ ما سال منه و يجعل في الخابية..."[1]

في طريقة تخليل المحاصيل الزراعية تحدث ابن الحجاج الاشبيلي عن طريقة صناعة الزيتون المخلل بقوله:" ألقط الزيتون واغسله ونشفه، وخذ إناء فألق فيه كفا من ملح مقلو، وألق الزيتون فرقة، وألق عليه خلا وملحا وطينا عليه..."[2].وذكر صاحب كتاب الطبيخ نوعا من المخلل المحلى[3].

ح- صناعة استخراج الدقيق

تعتبر الحبوب الغذاء الرئيسي لسكان الأندلس لكثرة استهلاكه، ويأتي القمح في مقدمة هذه الحبوب لاستخراج الدقيق اللازم منه لصناعة المعجنات من أصناف الخبز والحلوى، ومن أجل ذلك وجدت الأرحاء والطواحين. تميزت الأندلس بأنواع الأرحي؛ إذ أشار الحميري[4] إلى طواحين الهواء بطركونة، كانت تطحن عند هبوب الريح وتسكن بسكونها. وأكثر الطواحين شيوعا طواحين الماء أو الأرحاء التي تنصب على حافة مجاري المياه سواء على نهر أو قناة، وخاصة على نهر قرطبة حيث أشار الإدريسي[5] إلى وجود ثلاثة بيوت أرحاء في كل بيت منها أربعة مطاحن، وعلى نهر مربلة في بيانة أرحاء كثيرة[6]، وبطلبيرة على نهر تاجة[7] ووادي آش[8] وقلمرية[9] وباغة[10] وقبرة [11]. في حين انتشرت الأرحاء داخل مدينة

1- زهرة البستان ونزهة الأذهان، نقلا عن النعسان محمد هشام، المرجع السابق، ص5.
2- المقنع في الفلاحة، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
3- مجهول، كتاب الطبيخ، ص26،27.
4- الروض المعطار، ص 126.
5- نزهة المشتاق، م2، ص 579.
6- الحميري، المصدر السابق، ص 59.
7- الإدريسي، المصدر السابق، م2، ص 551.
8- الحميري، المصدر السابق، ص 192.
9- المصدر نفسه، ص 271.
10- الإدريسي، المصدر السابق، م2، ص 571.
11- الحميري، المصدر السابق، ص149.

غـرناطة[1]، فعدّدها ابن الخطيب: "من الأرحاء الطاحنة بالماء على ما ينيف على مائة وثلاثين رحى"[2]. وإلى جانب هذا هناك أرحاء متنقلة على المراكب في مرسية وسرقسطة التي تركب في مراكب وتنتقل من موضع لموضع[3].

ولقد تناولت كتب الحسبة الأندلسية أنواع الغش التي كان يلجأ إليها الخبازين، فحذروا من خلط الدقيق الطيب بالرديّ، والمحجر بغيره مما لا حجر فيه[4]. وشددوا على عملية غربلة القمح والشعير قبل بيعه لأهل الأفران البائعين للخبز[5].

انتشرت الأفران بانتشار الأرحاء بالأندلس، وفي كل حي من أحيائها نتيجة لحاجة النّاس المستمرة إلى الخبز لأنه الغذاء الأساسي. وكان لأصحاب هذه الحرفة مكان خاص بهم، إذ تفطن رجال الحسبة بضرورة وجود الأفران بعيدا عن أهل الحرف القذرة وذلك لمنع الضرر، كبياع السردين وسائر أصناف الحوت والبياطرة والحجامين وما أشبه ذلك. وأمروا بتنظيف ساحاتها [6]، ومنعوا الفرانين عن حرق ما يحتطب من الأزقة والمواضع القذرة التي لا تؤمن من نجاستها وإضرارها بالمطبوخ[7]. وأمروا بتنظيف الأفران من الرماد والتراب[8]، وكانت غاية هؤلاء المحتسبين هو الحفـــاظ على جمالية الفضاء الصناعي والبيئي وحماية المنتجات الصناعية.

أما في صناعة الخبز، فهناك أنواع متعددة من الحيل التي استعملها الخبازون في غـــش الخبز، وقد كشفـــت عنها نصوص كتب الحســـبة في قول ابن عبد الرؤوف:"يطالبون بإنعام طبخ الخبز، ويـــؤمرون ألا يكثروا فيه عند العجين من الماء"[9]. " وينهـــون عن خلط البارد من الخبز بالحار"[10]، ويفرقون بين الطيب وغيره،

1- القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص 214، 215 / ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج 4، ص 195.
2- ابن الخطيب، الإحاطة، م1، ص 139.
3- الإدريسي، المصدر السابق، م2، ص 559 / الحميري، المصدر السابق، ص182.
4- ابن عبد الرؤوف، المصدر السابق، ص 88 .
5- البرزلي، جامع مسائل الأحكام، ج3، ص 184.
6- ابن عبد الرؤوف، المصدر السابق، ص90.
7- المصدر نفسه، ص 91.
8- نفسه، الصفحة نفسها.
9- نفسه، ص 89 ، 90.
10- يحي بن عمر، المصدر السابق، ص 112.

ويفصلون بين الخمير والفطير، ويمنعون عن رش وجه الخبز قبل الطبخ بالماء والعسل وبعد الطبخ بالزيت، وينهون عن إقلال الملح فيه، وعن التدخين عليه بعد إدخاله في الفرن بالنخالة، وحطب الأشتب ليحسن وجهه ويتجمل للناظر"[1]. وأشار السقطي كذلك إلى أسلوب الاحتيال الذي كان يستعمل عند طحن القمح فيما روي: "وبأرحىّ مالقة عجب يجب التحدث به وذلك غار فيه تراب أبيض يحتفر ويخلط في الدقيق"[2].

وفي طريقة صنـــع الخبز، أشـــار ابن العـــوام الاشبيلي إلى نوع منها في قوله:"اعجنوا الدقيق بماء الدقيق وبماء الخمير فإنه يكون أكثر غذاء من سائر أصناف الخبز... "وفي كيفية صنع المعجنات قال:" يعجن له بماء الخمير، وكان في ماء الخمير نقيع الزبيب، ويخلط في العجين، ويخلط له العجين دهن اللوز فيجيء خبزا لا يكون ألذ منه ولا أطيب"[3].

لقد تعلم سكان الأندلس صناعة الخبز والحلويات منذ تأسيس إمارة بني أمية؛ إذ علم زرياب* أهالي قرطبة طرائف الطعام في المطبخ البغدادي ودربهم على أطباق الشوربة، والأطباق المحلاة، وأنواع الحلويات المصنوعة من الجوز واللوز والعسل والمحشوة بالفسدق والبندق[4]. وفي عصر الخلافة انتشرت بدع بين النّاس على ابتياع الحلوى ليلة سبع وعشرين من رمضان[5]، فازداد صنعها.

1- المصدر نفسه، ص 89، 90 .

2- As-Sakati. Op;cit . p22

3- الفلاحة الأندلسية، نقلا عن هشام النعسان، المرجع السابق، ص5.

* زرياب: هو على بن نافع مولى المهدي محمد بن جعقر المنصور، كان شاعرا ومغنيا ، تتلمذ على يد إسحاق الموصلي المغني في بلاد الخليفة العباسي هارون الرشيد، انتقل إلى قرطبة (207هـــ -822 م) في إمارة عبد الرحمن الثاني الذي توجه بنفسه لاستقباله مرحبا بقدومه، وخصص له دارا من أفخم دور قرطبة، ورتب له ولأفراد أسرته الرواتب. ابن القوطية، المصـــدر الســـابق، ص62، 63 / ابن حيان، تحقيق محمـــود علي مكي، السفـــر2، ص308، 325/المقري، المصدر السابق،ج1، ص344 / بالنثيا أنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة(د.ت)، ص 52، 53 / شبارو عصام، الأندلس، ص 140، 141.

4- ابن حيان،المصدر السابق، السفر2، ص 322 / ليفي بروفنسال، حضارة العرب بالأندلس، ترجمة دوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت (د.ت)، ص 56.

5- أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي المالكي، الحوادث والبدع، دار الفتح، الشارقة، ط1 (1995م)، ص 117.

ومن البديهي أن يتفنـــن الأندلسيون في أصنـــاف الطعام، وأن يترجموها في مصنفات في صناعة الطبخ وليس أدل على ذلك من **كتاب الطبيخ في الأندلس**. وما يلفت الانتبـــاه هو أن هذه الوصفات مازالت متداولة في المشرق الإسلامي خاصة، فيبرز في ذلك اتجاه التقليد الأندلسي لهذه البلاد آنذاك.

خ- صناعة تجفيف الفـــواكه

مهر أهل الأندلس بتجفيف الفواكه لكثرة غلاتها وفواكهها، وأشاد ابن الخطيب عن شهرة غرناطة بتجفيف الفواكه بقوله: "وفواكههم اليابسة عامة العام، متعددة ويدخـــرون العنب سليما من الفســـاد إلى شطر العـــام، إلى غيـــر ذلك من التين والزبيب والتفاح، والرمّان والقسطل والبلوط والجوز واللوز إلى غير ذلك مما لا ينفد، ولا ينقطع إلا مدة في الفصل الذي يزهد في استعماله"[1].

وفي السياق نفسه، وصف الزهري شهرة مدينة سرقسطة في صناعة تجفيف الفواكه بقوله:" لا يسوس فيها شيء ولا يعفن من جميع الفواكه و الطعام والحبوب، ولقد رأيت فيها من الطعام من مائة سنة، والعنب المعلق من ستة أعوام وأقل وأكثر، والتين اليابس والحب والإجاص والخوخ من أربعة أعوام، ويوجد فيها الفول والحمص من عشرين سنة وأكثر."[2]

كما اشتهرت هذه البلاد بالزبيب الذي فضل على سائر الأنواع المعروفة كزبيب وادي آش [3] ودانية [4]. وقد عرفـــت مدن هذه البلاد بنوعية جيدة من التين اليابس كمدينة زيلش[5] التي اشتهرت بوفرته. ونظـــرا لوفـــرة تين مالقة وحسنه وحلاوته وعدم دخول الســـوس فيه، وصحة بقائـــه لـــدقة أسلوب حفظه[6] ، شـــاع استعماله في

1- ابن الخطيب، المصدر السابق، م1، ص 143.
2- الزهري، المصدر السابق، ص 82.
3- القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 502 / ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 245.
4- المصدر نفسه، ج1، ص 424.
5- القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص 210.
6- محمود مقديش، نزهة الأنظار، م1، ص162.

كثير من الأطعمة الأندلسية. إلى جانب هذا، كان يحمل إلى سائر الأقاليم حتى للهند والصين وذلك مسافة سنة.

من هذه الإشارات نلاحظ مدى قدرة الأندلسيين على حفظ قسم كبير من المواد الغذائية في الموسم الذي تكثر فيه إلى مواسم أخرى تكون مفقودة فيها، فعملوا على تجفيف الخضر والفواكه كالتين والرومان والمشمش والعنب وغيرها تحت أشعة الشمس والهواء، وابتدعوا طرائق جديدة لحفظها وتصنيعها. فقد تناول ابن العوام الاشبيلي طريقة خاصة في تصنيع بعض الفاكهة كالعنب والتين، فقال:" يقطف العنب للتزبيب إذا تناهى نضجه وحلاوته ولم يبق فيه مرارة ولا حموضة، لأنه إن لم يكن كذلك جاء زبيبه خفيفا في الوزن قليل الحلاوة، وكذلك التين". وقد ذكر المؤلف نفسه أصنافا أخرى من الفواكه لتجفيفها، كالكمثري الذي يفضل قطعه إلى صفائح رقاق وتقديره وتيبيسه، ويؤكل في موسم الربيع والشتاء لأهميته الصحية[1]. وفي السياق نفسه ابتكر ابن الحجاج الاشبيلي طريقة لصناعة زبيب لا ييبس فقال:" خذ من العنب أي صنف شئت، وأغل رمادا بماء غليان، ثم أنقع العناقيد فيه والماء الحار، ثم أخرجها وأنشرها برفق، فانه يكون زبيبا لذيذا "[2].

و- تجفيف الأسماك

نظرا لموقع الأندلس من جهة بحر الروم ومن جهة بحر المحيط، كثرت مصائد السمك في معظم المدن الساحلية، وتعددت بها أنواع الأسماك والحيتان، ومهر الأندلسيون في معالجتها وتمليحها وتجفيفها. واختصت إشبيلية بحوتها[3]، وفاقت قرطبة في تصنيع الأسماك المملحة، فكان يباع فيها من أنواع السمك المملوح وغيره في كل يوم على اختلاف أجناسه أيام جريانه بعشرين ألف دينار[4].

1- الفلاحة الأندلسية، نقلا عن النعسان محمد هشام، الصناعات الغذائية في الأندلس، ص 7.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 - الزهري، المصدر السابق، ص 88.

4- ابن غالب، قطعة من فرحة الأنفس، ص 296.

هـ- صناعة الخـــــمر

يعد العنب من أهم المحاصيل الزراعية لصناعة الأنبذة، ولكثرة العنب في مدينة أبّدة كاد لا يباع ولا يشترى[1]. وعنقود العنب في لورقة يزن خمسين رطلا عراقيا[2]، ونظرا لوفرة العنب كان قسم منه يحول إلى زبيب بعد تجفيفه[3] وقسم منه لصناعة الأنبذة رغم أن الإسلام يحرمها.

من الوقائع التاريخية التي تؤكد عدم تشدد الأمراء والخلفاء في منع المسكرات هو شغفهم بشراء الجواري ذوات الصوت الحسن بمبالغ لا تصدق، وكانت ليالي الأنس والطرب لا تخلو من شرب الخمر في طول الأندلس وعرضه والدليل على ذلك تلك الثروة الضخمة من الخمريات التي خلفها شعراء الأندلس[4]، والأخبار الكثيرة المتواردة في الخمر ومجالس الشرب في كتب التاريخ والأدب.

ولم تساعد سياسة بعض الأمراء على قطع الخمر باعتبارها عنصرا من عناصر اللهو في مجالس الطرب، فيروى عن الحكم بن هشام الملقب بالربضي من معاقرة الخمر وانهماكه في الملذات وأنه " تظاهر بشرب الخمر والانهماك في اللّذات"[5]، ولم يكن كغيره من الحكام ولم يمتنع عن ذلك فراح الفقهاء يطعنون في سلوكه كقولهم:" يا أيها المسرف المتمادي في طغيانه، المصر على كبره، المتهاون بأمر ربه، أفق من سكرتك وتنبه من غفلتك"[6] وقد لقبوه بالمخمور. كما كان الخليفة عبد الرحمن الناصر يسمح بشرب الخمر، فقد خلت به جارية يوما من أيام آنسه بالشراب بروضة الزهراء جالسة إلى جنبه والكأس قد عملت فيه[7].

1- المقري، نفح الطيب، ج3، ص 217.
2- ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج5، ص25، 26.
3- ابن الخطيب، الإحاطة، م1، ص 143.
4- بالنثيا أنخل جنثالث ، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 55.
5 - المقري، المصدر السابق،ج1، ص 327.
6- المراكشي عبد الواحد، المعجب، ص 44.
7- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق بيدرو شالميتا،ج5، ص 38.

ومن الأشعار ما كتبه الوزير أبو مروان عبد الملك بن شهيد* إلى الحاجب المنصور بن أبي عامر في وصف الأشربة:

ولا تبال أبا العلاء زهـــا   بـخمر قـطـربّل وكـلوذا

ما دام من أرملاط مشربـــنا   مـن دير عـما وطيزناباذا**

إن مجالس الطرب والأنس التي تدار فيها كؤوس الخمر من الأمور المألوفة والمشاهد اليومية في حياة أهل الأندلس، وقد حاول بعض الحكام وضع حد لانتشار الخمر، إذ قام الأمير عبد الرحمن بن الحكم بتهديم مباني بيع الخمور، وفرض الضرائب على بائعها، وقد أشار ابن حيان إلى بعض الأماكن منها في قوله: " أمر عبد الرحمن بن الحكم بهدم الفندق الذي كان في جهة الربض بعدوة النهر قرب القنطرة وكان أحد القصور الفخمة مبنيا بالجص والآجر متخذا لبيع الخمور والأشربة مثقلا بالضرائب"[1]. وفي رواية مماثلة عن منع الخمر ذكر ابن الأبار أن الخليفة الحكم المستنصر رام قطع الخمر من الأندلس، وأمر بإراقتها وتشدد في ذلك وشاور في استئصال شجرة العنب من جميع أعماله، فقيل إنهم يعملونها من التين وغيره فتوقف عن ذلك[2].

ومن ولاة الحسبة الذين شددوا في منع المسكرات ابن عاصم القاضي والمحتسب، مر به يوما فتى يترشح سكرا، فأمر بأخذه فوجد به رائحة الشرب، فأمر بجلده، فلما جرد للجلد أقبل على ابن عاصم فقال: ناشدتك الله من الذي يقول[3]:

إذا عاب شرب الخمر في الدهر عائب   فلا ذاقـها من كان يومـا يعيبها

---

* عبد الملك بن احمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد، أبو مروان ، والد أبي عامر، شيخ من شيوخ الوزراء في الدولة العامرية، كان أثيرا عند الحاجب المنصور أبي عامر. ومن أهل الأدب والشعر. الحميدي، جذوة المقتبس، ص 272 / ابن بشكوال، الصلة، ج6، ص 289 ، 290.

** طيزناباذا: موضع للهو بين الكوفة والقادسية يتردد ذكرها في شعر أبي نواس. ابن بسام، الذخيرة ، ق 4 ، م1، ص 23./ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 55.

1- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، السفر 2، ص 184.

2- ابن الأبار، الحلة السيراء،ج1، ص 203 / المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص67،68.

3-ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق، محمود علي المكي، ص 187،188.

فقال له عاصم :أنا وأستغفر الله منه.

كما منع المحتسبون بيع العنب الكثير ممن يعرف أنه يعصر للخمر[1]. واتبع المسلمون سياسة التسامح مع أهل الذمة في هذا المجال؛ إذ وردت مسألة لابن عبد الرؤوف تؤكد ذلك في قوله: " إذا اشترى مسلم من نصراني خمرا كسر من وجدت بيده منها، فإن كان النصراني قد قبض الثمن ترك له...وإن كسر مسلم خمر الذمي عوقب" [2].

2- الصنـــــــاعة النسيجية

كان الأندلسيون على جانب من الأناقة والترتيب في ملابسهم، ويرجع الفضل إلى عبد الرحمن بن الحكم، الذي أنشأ دور الطراز في المدن الأندلسية لأنواع الكسوة والأوطية، واستنبط فيها الأعمال وتدرج فيها إلى التجويد[3].

والطراز كما ذكر ابن خلدون:" علامات يرسمها السلاطين والملوك في طراز أثوابهم المعدة للباسهم، من الحرير أو الديباج أو الإبر يسم ... تعتبر كتابة خطها في نسج الثوب ألحـــاما وأســـداء بخيط الذهب أو ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب، على ما يحكمه الصنـــاع في تقدير ذلك، ووضعه في صناعة نسجهم، فتصير الثياب الملوكية معلمة بذلك الطراز قصـــد التنويه بلابسها من السلطان"[4]. والمقصود بهـذه الدور المناســج الحكوميـــة التي كانت تؤسسها الدولة أو تشرف عليها لكي ينسج فيها ما تحتاج إليه من أقمشة وما يحتاج إليه السلطان وحاشيته[5].

تم الكشف عن وجود نوعين من دور الطراز، طراز العامة الخاصة بالأهالي، وطراز الخاصة، وكان هذا الأخير ملحقا بقصر السلطان وعلى رأســه موظف كبير

1- ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص 95.
2- ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة والمحتسب، ص83.
3- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، السفر2، ص290 / ابن الخطيب، أعمال الأعلام،ج2، ص 21.
4- ابن خلدون، المقدمة، ص 254.
5- مرزوق محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس، الهامش ص123.

يختص عادة بنسج ما يحتاج إليه السلطان وحاشيته. وذكر ابن عذاري[1] أن الخليفة عبد الرحمن الناصر قد عين مملوكه "خلف" ناظرا على الطراز(313هـ/925م) .

كانت منتجات دار الطراز بقرطبة مما يهادى به إلى الشخصيات الهامة من العدوة المغربية أمثال موسى بن أبي العافية الذي خلع عليه الخليفة عبد الرحمن الناصر هدية تتمثل في: "قطع الخزّ العبيدي الخاصي من كسوة الخليفة عشرون شقة، ومن الطرازية الخلافية خمس قطع، العمائم عشر ثياب الخزّ المختلفة الأجناس في صناعات طراز العمامة لكسوة رجاله مائة ثوب، الشقاق الطرازية المصبوغة الثياب خمس عشرة شقة، شقق الصوف الطرازية المصبوغة، صبغ شقاق الكتّان الخاصة الدقاق لكسوته عشرة شقاق، وعشرة أردية وأربعون ملحفة، شقاق الكتّان المتوسطة لكسوة رجاله أربعون شقة، ومن أنواع الفرش من بسط الصوف الكوامل المختلفة الأجناس سبع وثلاثون... ومن وسائد الصوف صناعة الواسطي ستون وسادا، قبة آدم من ثلاثين بنيقة بجميع آلاتها وإزارها وخيمة مستراحها، ولدان وبساطان ... وفراش ديباج أرضه موشية مطرزتان بخزّ ريحاني ، ومخدتان مفضضتان مختمتان بطائنها خزّ طرازي رجواني وفسطاطان جديدان من ثلاثين بنيقة بجميع آلاتها."[2]

وفي هدية الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى محمد بن خزر فيما " كافأه من الهدايا النفيسة من الملابس والكسي المرتفعة. وكان الذي اختصه به في تطريزه لما اصطنعه من خاصّ لهديّته هذه من الملابس، في طرازه الخاصّ، باسم محمد بن خزر، أعظم قدرا من ذلك، إذ كان شيئا لم يتقدم لملك قبله إلى ولي من أوليائه" [3]. وبالمثل أهدى الخليفة الحكم المستنصر كثيرا أمراء البربر من فاخر الكسوة[4]. وهذا الحاجب المنصور بن أبي عامر يهادي ملوك اسبانيا المسيحية في إحدى غزواته

1- البيان المغرب، ج2، ص 285.
2- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق بيدرو شالميتا ،ج5، ص 390.
3- المصدر نفسه، ص 268.
4- ابن عذراي، المصدر السابق، ج2، ص 367.

بشنت ياقوب؛ إذ ذكر ابن عذاري: " وكان مبلغ ما أكساه ابن أبي عامر في غزاته هذه من ملوك الروم لمن حسن عناؤه من المسلمين ألفين ومائتين وخمسا وثمانين شقة من صنوف الخزّ الطــرازي، وإحدى وعشرين كساء من صوف البحر وكسائين عنبريين وأحد عشر سقلاطونا* وخمس عشرة مريّــشات وسبعة أنماط ديباج وثوبي ديباج رومي وفروي فنك "[1].

وبذلك غدت المنسوجات الأندلسية مفخرة يتباهى بها الحكام أمام خصومهم، كهذا النص الذي يسخر فيه الخليفة الفاطمي المعز لدين الله**، من الخليفة الأموي "عبد الرحمن الناصر" لافتخاره بالصناعة النسيجية الأندلسية في قوله: "ما سمعنا أحدا يدعي عقــلا، يفخر بالحــاكة ولو كــان ذلك ممّا يفخر بمثله، لكان عندنا من الطراز أنواع الأعمال البديعة والصنعة العجيبة لا يشك من رآه أنه ما رأى مثله مما يعمله عبيدنا ... من سبي الروم بأسيافنا ... ولكن مثل هذا لا يفخر به ذوو العقول بل الحاكة وأهل الصنائع إذ كانوا أغلب على أهل بلد نقضوا بهم"[2].

أما طرز العامة فالمقصود به المصانع الأهلية للنسيج وقد كانت تشرف عليها الحكومة إشرافا دقيقا[3]، وتعددت دور الطــراز بقرطبــة، فأقيمت في كثير مــن المدن الأندلسية واختصت كل منها بنوع من المنسوجات ومن ذلك:

---

* السقلاطون، نسيج من حرير مطرز بالذهب كان معروفا في بلاد اليونان ثم انتقلت صناعته إلى البلاد العربية واختصت بغداد بصناعته. السيد عبد العزيز ســالم، تــاريخ مدينة المــرية الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط (1989م) ، ص 157.

1- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص443.

** أبو تميم معد بن إسماعيل ابن محمد بين عبيد الله (319 هــ/931م) ولد بالمهدية ولقب بالخليفة المعز لدين الله . كان من أهل البلاغة والخطابة والبيان، من أعظم ملوك بين عبيد، ملك إفرقية ومصر وتوفي بالقاهرة سنة (365 هــ/ 975م).أبو عبد الله محمد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق جلول البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر(1984م)، ص48، 55 / القاضي النعــمان بن محمد بن حيون، افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2(1986م)، ص 339، 336.

2- القاضي النعمان بن محمد بن حيون، المجــالس ومسايرات، تحقيق محمد اليعلاوي، دارالغرب الإسلامي، بيروت، ط2(1997م)، ص 166، 167 .

3- مرزوق محمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص 122.

أ- المنسوجـــــات الحريـــرية

أشار الرازي إلى شهرة قرطبة في صناعة المنسوجات الحريرية منذ عصر الخلافة الأموية في قوله:" من بين الأصناف التي إشتهرت قرطبة بصناعتها... الأقمشة الناعمة والمنسوجات الحريرية وغير ذلك"[1]. وأشار ابن حوقل إلى نوع خاص من الحرير السميك اختصت به المدينة ذاتها[2]. وأكد ياقوت الحموي أن قرطبة كانت من أهم مراكز الوشي والديباج في الأندلس[3]. لكن هذه الصناعة تدهورت خاصة بعد سقوط الخلافة بقرطبة، وازدهرت بالمرية فتفوقت فيها.

وفي السياق نفسه، أشاد الزهري بفخر على صناعة الحرير الطبيعي والديباج بالمرية بقوله:" وفيها كان يعمل الديباج المحكم الصنعة مثل المدبجات المعروفة بالبغداديات وثياب السندس الأبيض، وهو ديباج أبيض كله لا يخفى على أحد من صناعته شيء، وفيها استنبطت ثياب المعمة المعروفة بالخلدي ليس في ثياب الحرير كلها اتم منها مجالا ولا جمالا، لذلك سميت بهذا الاسم ، وهو مشتق من الخلد... وأهلهـــا كلهم رجالا ونساء صناع بأيديهم. وأكثر صناعة نسائهم الغزل الذي يقارب الحرير في سومه، وأكثر صناعة رجالهم الحياكة "[4].

كما اشتهرت بسطـــة بالطرز الشريفة[5]، وبرعـــت إشبيلية[6] وفنيانة[7] بصناعة المنسوجات الحريرية. وعرفت تدمير بالطـــرز العجيبة[8]. وبجانة أعظم مراكز هذه الصناعة في القرنين(3-4 هـ/9-10م)؛ حيث كانت دور الطراز بها تضـــم عددا كبيرا من الأنوال المتخصصة في نسج الحريـــر[9] وكثير من الصنـــاع المهرة، إلاّ أن

1- Ahmed Razi , La description d'Espagne ,p65.
2- ابن حوقل، صورة الأرض، ص 108.
3- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص119 / السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة،ج2، ص154.
4- كتاب الجعرافية ، ص 101، 102.
5- ابن غالب، قطعة من فرحة الأنفس، ص 284.
6- ابن حيان،المصدر السابق، تحقيق ملشورم أنطونيه،ج3، ص12/ ابن عذراي، المصدر السابق،ج2، ص 191.
7- الحميري، الروض المعطار، ص144.
8- ابن غالب، المصدر السابق، ص 285.
9- الحميري، المصدر السابق، ص38 / السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص 170،171.

تمصيـــر المرية واتساع عمـــرانها كان على حساب بجانة، وانتقل أهل هذه المدينة من هذه الفنون إلى المرية فيما يقرب من سنة (402هـــ/1011م)[1].

ونظرا لشهرة المنسوجات الحريرية ببلاد الأندلس، فقد كان الشعراء يتغنون بها ويتشبهون بها في أشعارهم، فهذا الشـــاعر ابن عبد ربه ينشد الخليفة عبد الرحمن الناصر عندما سكن مدينة الزهراء[2] في شعره:

قـــــد تزينت الدنيا لساكنها   كأنما لبست وشيـــا وديباجا

وقد نشر مانويل جوميث مورينو في كتابه[3] صورا من النسيج تعود إلى العصر الخلافي، ومنها تحفة رائعة محفوظة بمتحف بلنسية، عبارة عن قطعة من طراز عرضه 19سم، مكونـــة من زخارف حيوانية ونباتية من النـــوع القرطبي البحت، وأرضيتها بصفة عـــامة من خيـــوط الذهب. أمـــا الأجـــزاء البـــاقية فيغشاها حرير من ألوان بيضاء وصفراء وسماوية وقمحية ومخضرة وقرمزية وزرقاء وخضراء قاتمة تتدرج في طبقات من اللّون الأبيض والسماوي والأزرق أو الأصفـــر الباهـــت والقمحي الأخضر[4].

أمّا التحفة الثانية فهي من الحرير المطرز أحكمتها الإبرة النسائية وهي بطانة لغطاء صندوق قد جلب من إشبيلية سنة (408هــ/ 1017م) يرجعها المؤلف نفسه إلى عهد سابق، وهذه القطعة مزينة بتربيعات تشغلها أشكال من الوعل ونسر ناشر جناحيه وبطة تتكرر في غير نظام، هذا على زخرفة من الدوائر المتلاصقة وزهيرات تملآ اثنتين من التربيعات ، ومادتها من الحرير الملون وخيوط الذهب[5].

نلاحظ مما سبق ذكره، شهرة بلاد الأندلس في إعداد أنواع من الطراز الحريري الذي يتفاخر به الحكام ومدى ازدهارها في العصر الخلافي خاصة.

1- العذري، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، ص 82 / السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص171.
2- ابن الخطيب، أعمال الأعلام،ج2 ، ص 31.
3- الفن الإسلامي في اسبانيا، من ص 411 إلى 420.
4- المرجع نفسه، ص 414.
5- نفسه، ص 415

ب- المنسوجـــــات القطنية والكتانية والصوفية

بالإضافة إلى شهرة بلاد الأندلس بالمنسوجات الحريرية فقد كانت تصنع بها المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية، فاختصت سرقسطة بصناعة فراء السمور وهي الثياب المعروفة بالسرقسطية[1] وكانت من جملة ما يهادى به خلفاء بني أمية المقربين إليهم من أمراء البربر وملوك المسيحيين[2]. وذاعت شهرة كل من بلنسية[3] ولاردة[4] في صناعة الأقمشة الكتانية الغالية.

ومن نماذج الكتان قطعة نادرة، ووحيدة من إنتاج دار الطراز القرطبية المعروفة بطراز الخليفة هشـــام المؤيد والمحفوظة في الأكاديمية التاريخية بمدريد[5]. هذه القطعة عبارة عن نسيج رقيـــق جدا من الكتان، له أهداب طويلة على امتداده ويبلغ 1.12م، مزود بشريط أبيض به بعض الاصفرار يتألف من جامات مثمنة الشكل، متصلة فيما بينها بأشكال نجمية، وبداخلهـــا صـــور آدمية وحيوانية في ألوان بيضاء، وزرقاء وخضراء، ويحف بهذا الشريط الزخرفي من أعلى ومن أسفل سطر من الكتابة الكوفية بلون أبيض نصه ما يلي:" بسم الله الرحمن الرحيم ... البركة من الله واليمن والدوام للخليفة الإمام عبد الله هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين"[6].

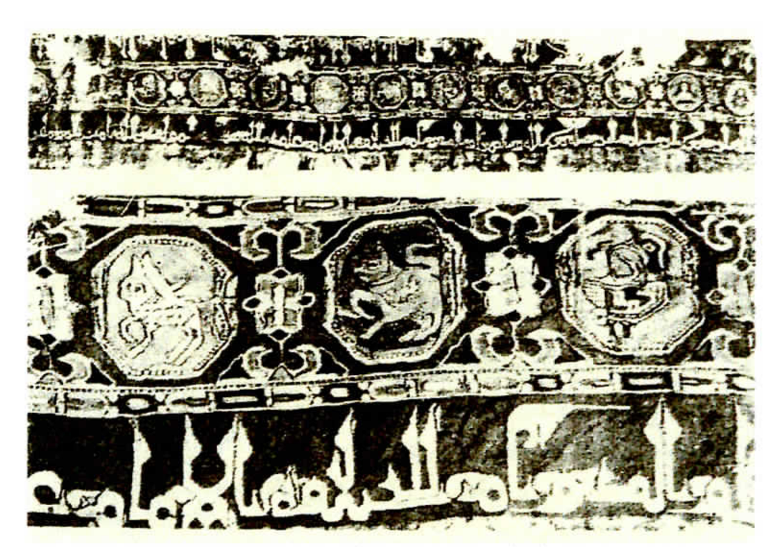
أمّا المنسوجات الصوفية فاختصت بصناعتها دار الطراز بقرطبة؛ حيث كانت تنتج شققا من الصوف الطرازية المصبوغة بصبغ شقاق الكتان الخاصة[7]. وراجت الثياب الصوفية بين أهل الأندلس لشدة البرودة في فصل الشتـــاء في هذه البلاد لاسيما

1 - ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 122.
2- ابن عذراي، المصدر السابق، ج2، ص 367
3- الزهري، كتاب الجعرافية، ص 102.
4- الحميري، المصدر السابق، ص168.
5- ينظر اللوحة2.
6-مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق، ص414 / السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة،ج2، ص155،156/ تاريخ وحضارة الإسلام، ص276 / مرزوق محمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص 127،128.
7- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق بيدرو شالميتا، ج5، ص 389.

اللـــــوحة-2-



قطعة من النسيج – موقع الكتروني متحف قرطبة- www.rawicordoba.com



قطعة قماش من عهد الخليفة هشام المؤيد، مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا ص409.

بسطة التي يعمل فيها المحررة الصنف الذي يعرف بالمختم الملبذ[1]. واشتهرت بطليوس بصناعة نوع من الوبر يتساقط من حيوانات بحرية تعرف بأبي قلمون، ويكثر وجودها على سواحل شنترين، وفي ذلك وصف للقزويني:"وتقع بشنترين في وقت من السنة من البحر دابة تحتك بحجارة على شط البحر، فيقع منها وبر على لون الذهب ولين الخزّ وهي قليلة غزيرة جدا، فيجمعها النّاس وينسج منها الثياب فيحجر عليها ملوكهم ولا تنقل من بلادهم إلا بالخفية، وتزيد قيمة الثوب منها على ألف دينار لحسنه وعزّته"[2]. وكان صوف البحر من بين هدايا الخليفة عبد الرحمن الناصر لموسى بن أبي العافية[3]. وكانت من جملة الهدايا التي هادى بها الحاجب المنصور بن أبي عامر القوامس الذين صحبوه في غزوة لشنت ياقب[4]. كما صنع من الصوف الأوطية خاصة في جنجالة[5] وقونكة[6].

واعتبرت الأقمشة الصوفية في الغالب لباس الزاهدين من فئة العلماء والفقهاء، أمثال الزاهد سليمان بن عبد الغافر بن بنج* الذي كان يلبس الصوف ويستشعره[7]، والزاهد تمام الصرفي**، والقاضي سعيد بن سليمان الغافقي الذي جلس للحكم وعليه جبة صوف بيضاء وغفارة بيضاء من ذلك الجنس[8].

وللشاعر يحي الغزال بيت شعري في ذلك اللباس[9] بقوله :

لا ولا جبّة الصّو ف إلى الخزّ الموشّى.

1- المقري، المصدر السابق، ج1، ص201.
2- أثار البلاد وأخبار العباد، ص 542.
3- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق بيدرو شالميتا ، ج5، ص 390.
4- ابن عذراي، المصدر السابق، ج2، ص 443.
5- الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص560 .
6- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
* سليمان بن عبد الغافر بن بنج (301-400هـ/ 913-1009م) سكن قرطبة، وكان من أهل الزهد والاجتهاد والورع، معروفا بإجابة الدعوة. ابن بشكوال ،الصلة،ج4 ، ص 172.
7- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
**تمام بن عفيف بن تمّام الصدفي الوعظ الزاهد من أهل طليطلة، شهر بالزهد والورع والصلاح والعفاف،توفي (451هـ/1059م). نفسه،ج2، ص 113.
8- نفسه، ج3، ص 137.
9- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي المكي، السفر2، ص 259.

ومن الصناعات النسيجية الأخرى صناعة البسط التي تستخدم في فرش أرضيات المساجد والدور الخاصة عند الأثرياء، وفي تزيين الجدران[1]. فاختصت مدينة بسطة بالأبسطة المصنوعة من الديباج[2] وذكر الحميري: " أن مرسية كانت تصنع بها البسط الرفيعة الشريفة، ولأهلها حذق بصنعتها وتجويدها لا يبلغه غيرهم"[3]. وفي موضع أخر ذكر:"وبساط وادي آش فاخر لا مثال لها في الدنيا" [4].

وأشار ابن حيان إلى نوع البسط في هدية الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى موسى بن أبي العافية بقوله:"...ومن أنواع الفرش من بسط الصوف الكوامل المختلفة الأجناس سبع وثلاثون"[5]. هذا النص يؤكد صنع البسط من الصوف مما يدل على قيمته في التهادي به بين أهل الأندلس.

حرص الأندلسيون على صناعة ما يحتاجونه من الملابس في بيوتهم، فروي أن القاضي سعيد بن سليمان الغافقي أخرج شقة بيضاء من صوف فدفعها إلى أحد الأزواج في إحدى فتاويه، قائلا له : هذه شقة عملت في بيتي لشتوتي[6] . وعرف النساء في غزل النسيج[7] وانتشرت بذلك حياكة المنسوجات المطرزة والأقمشة ذات الزخرفة المنسوجة بحياكة الإبرة من خلال الاستعانة بخيوط ملونة، بحيث ينشأ منه لوحة تصوير[8]. ويكون نجاح هذه المنسوجات مرتبط بصباغة الأنسجة التي برع فيها أهل الأندلس[9].

ارتبطت صباغة الأنسجة بحياكة المنسوجات وعلى تنويع الألوان المستعملة في الثياب التي خضعت لتأثيرات سائدة في ذلك الوقت، فقد روي عن ابن حيان أن النّاس في الأندلس استحسنوا تفضيل زرياب في لبس الثياب،ورأوه صوابا فاستمروا عليه[10].

1- مرزوق محمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص135.
2- الحميري، المصدر السابق، ص45.
3- المصدر نفسه، ص182.
4- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 245.
5- المقتبس، تحقيق بيدرو شالميتا،ج5، ص 390.
6- الخشني، قضاة قرطبة، 139.
7- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 185.
8- مانويل جوميث مورينو ، الفن الإسلامي في اسبانيا، ص 415.
9- ابن حوقل، صورة الأرض، ص 109.
10- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي المكي، السفر2، ص323، 324.

فكان هذا الأخير يرى بأن يلبس الأبيض في فصل الصيف والخريف، ويلبس ثياب الحرير الخفيف والسترات الملونة في فصل الربيع[1]. وإلى جانب اللّون الأبيض هناك مجموعة من الألوان التي اشتقت من مواد الصباغة الموجودة في الأندلس، فاللّون الأحمر[2] مأخوذ من مادة القرمز[3]، واللون الأصفر من مادة العصفر، فقد عوتب القاضي محمد بن بشير لارتداء رداء معصفر[4]. ومن مواد الصباغة الأخرى الصمغ السماوي[5] بطليطلة الذي يستخرج منه اللون الأزرق[6]، بالإضافة إلى مواد الصباغة الأخرى الموجودة بالأندلس.

كشفت كتب الحسبة عن بعض الأمور المتعلقة بصناعة المنسوجات من الغزل إلى النسج إلى الصبغ، ورغم أنها متأخرة عن الفترة المدروسة إلاّ أنها حافلة بالنقول عن الفقهاء السابقين لعصرهم كالفقيه عبد الملك بن حبيب ، وفي صدد الحديث عن صناعة المنسوجات قال ابن عبد الرؤوف:" يمنع الكتانون عن رش الكتان بالماء"[7]، و"يؤمر بائعو الغزل بتيبيس الغزل للشمس، لأن النساء يدلكنه عند تمام غزله بالماء ، ليتحسن وجهه ويزيد في وزنه"[8] ، وأضاف " ويمنع حاكة الديباج وغيرهم من تصبيغ الديباج ليتصفق ويشتد"[9]. ونوه ابن عبدون بأن اللبادين" يؤمرون بتحسين عملهم فإنما يعملونها محلولة، قليلة الصوف، لا ينتفع بها "[10]. كما أشار إلى منع الصبّاغين عن الصبغ بالمثنان في لون أخضر ولا بالبقم على لون ساموي[11].

لم تكن صناعة النسيج إلاّ تطورا للطرق الصناعية المعروفة في المشرق، حيث شهدت قرطبة في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم سيلا من التأثيرات العراقية التي

1- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
2- البرزلي، جامع مسائل الأحكام، ص 93.
3- العذري ، ترصيع الأخبار وتنويع الاثار، ص 96 / البكري، االمسالك والممالك، ص 385 / المقري،المصدر السابق ،ج 1، ص141.
4- الخشني، المصدر السابق، ص 79.
5- البرزلي، المصدر السابق، ص 93.
6- البكري، المصدر السابق، ص 394
7- آداب الحسبة والمحتسب، ص 69.
8- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
9- نفسه، ص 69.
10- ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص 50.
11- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

غزت المجتمع الأندلسي، وامتزجت بالتقاليد الشامية، وتؤلف فيما بعد طابعا أندلسيا.
ووصف لنا ابن حوقل تشابه بعض الصناعات المماثلة للصناعات العراقية بقوله:" ويعمل عندهم من الخز والسكب والسفيق ما يزيد ما أستعمل منه للسلطان على ما بالعراق، ويكون منه المشمع فيمنع المطر أن يصل إلى لابسه "[1]. وفي موضع أخر يضيف الجغرافي نفسه عن صناعة النسيج:" فإن المنسوجات العراقية من التحف المستظرفة عند أهل الأندلس، إذ ينظرون إليها على أنها دليل الأناقة والفخامة والأبهة، فكانت دار الطراز التي أنشأها عبد الرحمن بن الحكم في قرطبة تنسج ثياب الأمراء والخلفاء من الحرير المختم المرقوم بالذهب والدّيباج الأصفهاني والجرجاني والعتابي والبغدادي"[2].

كانت المنسوجات العراقية نموذجا للطراز الأندلسي في قرطبة، فذكر ابن القوطية أن عبد الرحمن بن الحكم قد أعجب بالأزياء العراقية[3]، فبدأ يلبس الثوب العراقي والغفارة العراقية. كما استخدمها الخلفاء هدايا للوافدين على الحضرة القرطبية من أمراء المغرب الموالين، وفي بعض الأحيان للشخصيات الهامة في الدولة باعتبارها من الملابس الفاخرة، بدليل أن هدية الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى موسى بن أبي العافية تمثلت في " خمس وعشرون قطعة من البز الطرازيّ الخاصيّ المرتفع العجيب الصنعة، العراقي العبيدي من ذلك خمسة "[4].

وكذلك أهدى وزيره أحمد بن عبد الملك بن شهيد* " ستة مطارف عراقية وست سرادقات عراقية وثمان وأربعين من الملاحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير والذهب"[5]. وفي هديته إلى عمر بن حفصون أشار ابن حيان " وأكثر له من فاخر الكسي السلطانيةمن الوشي الطرازي والخز العراقي"[6].

1- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 109.
2- المصدر نفسه، ص 107،108/ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص 158.
3- كوفية وغطاء للرأس، ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 58.
4- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق بيدرو شالميتا،ج5، ص 351.
* أجمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى، ذو الوزارتين من أهل الأدب البارع له قوة في البديهة كان في أيام عبد الرحمن الناصر. الحميدي، جذوة المقتبس، ص 132 / ابن الأبار، لحلة السيراء،ج1، ص237، 238.
5- ابن خلدون، العبر،ج4، ص138.
6- ابن حيان، المصدر السابق ،ج5، ص 115، 116

شاعت الثياب البغدادية بين جميع طبقات المجتمع الأندلسي، ويظهر ذلك الأثر جليا من خلال التجديدات التي أحدثها زرياب على نمط الحياة الاجتماعية الأندلسية، فقد وضع مفكرة للزي تقضي بترتيب الألبسة، والأوقات المناسبة لارتداء أنواع منها وفق الألوان والأشكال في مواسم وفصول معينة كما أسلف الذكر، فالأبيض للصّيف والخريف، والحرير الخفيف والسترات الملونة للربيع، أما صنوف الفراء والأوبار والمدفئات للشتاء[1].

فمن الواضح أن المنسوجات العراقية كانت ترد بكثرة على الأندلس من أقمشة ثمينة[2] يقلدها الطرازون، بدليل أن ابن الفرضي عندما ترجم لمحمد بن عبيد بن أيوب القرطبي المعروف بالدباج، أشار إلى أنه رحل إلى بغداد وتعاطى عمل الديباج فلذلك عرف بالدباج[3]. وفي إسبانيا حاليا مثالان من النسيج البغدادي وهما الوثيقتان الوحيدتان التي عثر عليها مانويل جوميث مورينو في سان ايسيدور دي ليون متآكلتين، والأخرى في مخلفات سان بيدرو دي أوسماي وقد بيع جزء منها في نيويورك دون معرفة أصلها، عليه كتابة كوفية نصها:"هذا ما صنع في بغداد حرسها الله" بها زخارف لأبي الهول وصور صغيرة لرجلين صغيرين ملتصقين[4].

وبناء عما سبق فإن صناعة النسيج في بلاد الأندلس اعتمدت في تطورها على التقليد الشرقي بالدرجة الأولى لاستحسان الأمراء والخلفاء لهذه الأثواب الراقية، وتجاوزت إلى البحث عن المهرة المتخصصين في هذا المجال وعلى استيراد المنسوجات العراقية من أجل التقليد وخصص لها مصانع متفرقة في المدن الأندلسية. وغدت بذلك هذه البلاد قبلة لأرباب الصناعات والفنون يرحلون إليها، واستقطبت

1- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود على مكي، السفر2، ص323/ زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ص 490 / العبادي عبد الحميد، صور وبحوث من التاريخ الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط1 (1953 م)، ص 175 / ليفي بروفنسال، حضارة العرب بالأندلس، ص 56، 57 /

- Henrri Terrasse. L'art hispano Mauresque .pp72-73

2- ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص 53.

3- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 322.

4- مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق، ص 419.

قرطبة حذاق أهل الصناعات المزدهرة، فجاءوها من الآفاق البعيدة من العراق ومصر بأنواع من النسيج[1]. وكان حظ الزهراء بعد بناءها مزيدا من أرباب الحرف والعمال المهرة. فلا عجب أن تزدهر هاتين المدينتين العامرتين بأنواع من النسيج، وهذا مما اقتصرنا عليه من نماذج أوردناها سالفا.

3- الصنــــــــــاعة الجلـــــدية

اشتهرت الصنـــاعات الجلدية بالأندلس باعتبارها من الصناعات الضرورية المتصلة بالأثاث والأدوات المنزلية وغيرها من استعمالات الحياة اليومية. فقد عـــــرفت قرطبة بالجلد القرطبي اللين مما يجعله مثاليا، يصنع عادة من جلد الماعز ويصبغ باللون الأحمر بعد معالجتها بالشب والقرمز، ومن ثم يقطع ويصنع ويزين بالذهب أحيانا مع أشكال على وجهه[2].

والظاهر أنّ الجلد القرطبي كان متيسرا وذلك منذ الفتح الإسلامي للأندلس، بدليل أن الفاتحين لم يكونوا يستترون إلاّ بالدروع حتى نزلوا هذه البلاد فوجدوا بها جلودا مدبوغة فقطعـــوا منها المدارع[3]، وقد عثـــر على مراجع لاتينيـــة منذ القرن (2هـــ/8م) تشير إلى وجود صناعة الجلود القرطبـــية أي بعد الفتح لشبه الجزيرة بخمس سنوات[4].

وبتقدم الصناعـــات الجـــلدية في الأندلـــس، اختصت مالقـــة بالأغشـــية والحزم والمدورات[5]، التي كانت تصنع من جلـــود الحيوانات المتوفرة بهذا البلد مثل الغزلان

1-ابن حوقل، المصدر السابق، ص 106،105.

2- كونستبل أوليفيا ريمي، التجارة والتجار في الأندلس، ص 288.

3- مجهول، أخبار مجموعة، ص 115.

4- كونستبل أوليفيا ريمي، المرجع السابق، ص 289 /

- Jacques -C- Risler, La Civilisation Arabe, Rayait; Paris, 1955, p 172.
- François.X avier Guerra, La péninsule Ibérique de L'antiquité au siècle d'or, 1 Ed,1974, P.U.F. p77.

5- القلقشندي، صبح الأعشى،ج5، ص 219.

والإبل وحمـــار الوحش[1]، والكثير من النعـــال والأقراق وهي خفاف تصنع من الجلد والفلين وتلبس صيفا[2].

لعل الخرازين هم الذين كانوا يصنعون الأحذية ويخرزونها، بدليل أن الفقيه يحي بن عمر قد نهى الخرازين عن صنع النعال الخفاف الصرّارة، كما منع النساء من لبسها لأنهن يستعملنها عامدات في الأسواق[3]، حتى الرجال كان لهم خفاف لكن تختلف عن النساء، فقد كان الفقيه ابن مقيل* لا يلبس خفا إلا من جلود مرسية[4].

توسع استخدام الجلد في صنع الثياب التي تستغرق مدة طويلة لدى الخياطين، بخلاف الملبوسات الأخرى من غير الجلد وهذا ما أوضحه عريف الخياطين إلى عبد الرحمن بن الحكم :" إن خياطة الجلد لا تمكنهم في مثل الوقت الذي حدده ، لدقة صنعة الثوب، والأناة بنقشه، وتعذر جمع الأيدي عليه "[5].هذا وقد استبدل الأندلسيون أغطية الموائد القطنية الخشنة بنوع من الجلد الرقيق[6] أي الأديم الأحمر الذي اختصت به مدينة لبلة[7].

ومن الصناعات الجلدية السّفن** الذي يتخذ منه مقابض السيوف، وزاد من شهرة هذا النوع من الصناعات؛ إذ فاق أصحابها في إتقانها وتفخيم أعمالهم بها، بدليل أن رجلا كان عاملا في أخريات أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم قد صنع صنيعا جمع له أشراف الكور، فعمل قبة أديم بلغت النفقة فيها وفي وطائها خمسمائة دينار، فـــلما كملت أقامها على وادي لكه[8]. وكان بمدينة الزهـــراء مشغل يعمل فيه مئات الصناع

1- المصدر نفسه، ص 236.

2- Lèvi provençal , Histoire de l'Espagne musulmane,T3, p 424.

3- يحي بن عمر، أحكام السوق، ص 126.

* محمد بن عبد الله بن أحمد البكري يعرف بابن مقـــيل من أهل مرسية، فقيه عالما في علم اللغة والنحو والشعر والقراءات، توفي (436هـ/1044م) بمرسية. ابن بشكوال، الصلة، ج8، ص 412،413 .

4- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

5- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي المكي، ص21.

6- ابن غالب، قطعة من فرحة الأنفس، ص 292.

7- ليفي بروفنسال، حضارة العرب بالأندلس، ص 56.

** السفن جلد أخشن كجلود التماسيح يجعل على قوائم السيوف، شكيب أرسلان،الحلل السندسية، ج1، ص 273.

8- الزبيدي، أخبار النحويين واللغويين، ص 269.

يقومون بصنع السّرج وعدة الركوب المطرزة بالذهب والفضة[1]. ولم يستخدم الجلد الأندلسي فقط لصنع الأحذية والثياب وتجهيز الفرس والمفروشات ، فالجلود الذهبية والمزركشة قد صنعت من أجل تجليد الكتب[2].

عرفت بعض مدن الأندلس بدبغ الجلود مثل باجة التي كان لمائها خاصية في دبغ الأديم لا يبلغه دباغ في الجودة [3]. والدباغة عملية تنظيف الجلود وتليينها بمادة، وينقع الجلد في مادة معلومة تتزايد بقدم عهد الجلد. ويتم النقع إما في حوض أو نهر، ويتكرر النقع والتنظيف عدة مرات[4]، وتتم معالجته بالشب والقرمز[5]. والمدابغ غالبا ما تكون خارج المدينة لما تحدثه الجلود من رائحة كريهة كما كان الحال في قرطبة[6] وغرناطة وطليطلة[7].

ونصت كتب الحسبة على ضرورة مراقبة العاملين بصناعة الجلود ودبغها، فابن عبد الرؤوف ذكر أنه يمنع الجلادون من بيع جلود الميتة نيّئة، ويبيعونها مدبوغة الانتعال والطحين عليها. ومنع صانعو النعال عن تغليظ حواشي النعال قبل خرزه، واشترط أن تكون نعال الأقرار من الجلد البقري مبلولة بالغراء[8].

أشرنا سلفا إلى مدى تنوع الصناعة الجلدية في بلاد الأندلس في شتى المجالات، ولعل أبرز مظهر لذلك وجود طبقتين من الحرفيين في هذا المجال، الطبقة العامة تختص بدباغة الجلود ومعالجتها، وأخرى للتطريز والتذهيب تتصل مباشرة بالسلطة الحاكمة لأداء مهمتها الإنتاجية.

1- وجدان علي نايف، سلسلة التعرف بالفن الإسلامي، ج1، ص 178.
2- كونستبل أوليفيا ريمي، المرجع السابق، ص 291.
3- ابن غالب، المصدر السابق، ص290.
4- إبراهيم حركات، النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط، افريقيا الشرق،الدار البيضاء، ط(1983م)، ص 110.
5- كونستبل أوليفيا ريمي، المرجع السابق، ص 288.
6- العذري، المصدر السابق، ص 122.
7- ابن كردبوس، قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق العبادي أحمد مختار، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، م13، (1956-1966م)، ص 118.
8- ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة والمحتسب، ص 94،95.

4-الصنـــاعة الـــورقية

يعتبر الصينيون أول الشعوب التي صنعت الورق من شرائق الحرير، ثم لجأ المسلمون إلى صيني -كان من أسرى الجيش الإسلامي- صنع الكاغد الذي أصبح من السلع المتداولة في الإدارة الإسلامية والتدوين سنة (134هـ/ 750م) إلى أن أنشيء أول معمل للورق الصيني ببغداد خلال (148-149هـ / 765-766م) أيام الخليفة العباسي هارون الرشيد [1].

وشجع على ازدهار هذه الصناعة كثرة المواد الخاصة بصنع الورق مثل الكتان والقطن والقنب[2]. وكان يحصل على الورق من معجون الكتان والقنب الذي ينقع في ماء الجير(الكلس) ثم يمـــرر في طاحـــونة مع استخدام الغراء والنشا ومزجها بالمعجون، ويسوى بعد ذلك ويلمس باستخدام القلب(القراميد) حتى يحصل على لوح الورق المناسب، وأخيرا تجرى عملية التجفيف[3]. وكان من واجبات المحتسب التأكد من نظافة صناعة الورق، فقد نبه ابن عبدون مثلا إلى:" أن يزاد في قالب الكاغد وفي دلكه قليلا"[4] ونصح الجرسيفي صاحب كتاب" رسالة في الحسبة" أن الورق يجب أن يكون ناعما دون أسنان ونظيفا ومصقولا وموحد القياس[5].

والظاهر أن الأندلسيين عرفوا صناعة الورق في القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي، وقد وصف المقديسي صناع الورق في الأندلس في هذه الحقبة بقوله:" وأهل الأندلس أحدق النّاس في الوراقة خطوطهم مدورة "[6]. وقد استخـــدم الورق على نطاق واسع، وبالجنيزا محفوظات أنـــدلسية غنيـــة بالكتـــب والرسائل ووثائق عدلية وعقود

1- إبراهيم حركات ،المرجع السابق، ص109.

2-إكسبيراثيون غارثيا سانشيز، الزراعـــة في إسبانـــيا المسلمة، ترجمة سلمى الخضـــراء الجيوسي، المرجع السابق،ج2، ص 1398،1400.

3- ينظر الشيخ بكر بن إبراهيم الاشبيلي، التيسير في صناعة التسفير، فصل الأغرية، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد (1959-1960م)، م7-8 ،ص12،13،14.

4- ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص 48.

5-عمر بن عثمان بن العباس الجـرسيفي، رســالة في الحسبة(ثلاث رسائل في الحسبة)، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة (1995 م). ص124.

6- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2(ليدن، مطبع بريل، 1906م)، ص239.

الزواج ولوائح الملابس وقوائم الأسعار، ومعظمها كتب على الورق[1]. وإلى جانب الورق استخدموا الرق للكتابة مثل جلد الضأن والغزلان، فذكر ابن عبدون:" يجب أن لا يعمل رقّ إلا مبشورا، ولا يصنع من الضأن المهزول"[2].

وانفردت قرطبة في أنها كانت في مقدمة أسواق الكتب في الأندلس وللحكم المستنصر الفضل في تثقيف رعيته، واستغل الثزوات الضخمة التي تركها له أبوه في اقتناء الكتب، والأبحاث العلمية. وانتشر رجاله في كل الأقطار الإسلامية يبحثون عن النّادر من الكتب والمخطوطات حتى غصت به بيوته وضاقت عنها خزائنه، فقيل أن عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة، في كل فهرسة خمسون ورقة[3].

يبدو أن ازدهار صناعة الورق تحقق في العصر الخلافي لعدم وجود معلومات تؤكد على شهرة الورق بالأندلس في عصر الإمارة[4]. ومن مظاهر هذا الازدهار شغف الحكام بالكتب، فقد أنشأ الخليفة الحكم المستنصر مدرسة وأنشأ في كل حي دارا للكتب وزودها بمئات من الكتب التي جعلوها في متناول الجميع[5]، وكان له وراقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف، ورجال يوجههم إلى الأفاق عنها ومن وراقيه ببغداد محمد بن طرحان وغيرهم من أهل المشرق والأندلس[6]. وجمع بداره الحذّاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد[7].

وبالتالي ماذا يقصد:" بصناعة النسخ" ؟ هل هو نوع من الطباعة وإصدارها في نسخ متعددة؟ أم هم جماعة من الرجال الناسخين المهرة في فن الوراقة امتازوا بحسن الخط والبراعة فيه؟ والراجح أنه نوع من الطبـــاعة بدليل أن للخليفة عبد الرحمن النـــاصر كاتبا اعتاد أن ينشئ الرسائـــل الرسمـــية في منـــزله ثم ينفـــذها إلى ديوان

1- كونستبل أوليفيا ريمي، المرجع السابق، ص 292.
2- ابن عبدون، المصدر السابق، ص 59.
3- ابن الأبار، الحلة السيراء،ج1، ص 201، 203 .
4- خالد بن عبد الكريم بن حمود البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس عصر الإمارة، ص210،209.
5- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص 500.
6- ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص 202.
7- المراكشي عبد الواحد، المعجب، ص 62.

خاص يصير فيه إظهارها على الورق فتصدر في نسخ متعددة توزع على عمال الدولة[1].

وفي هذه البلاد برز الكثير من الوراقين الذين اتخذوا من هذه الحرفة وسيلة للعيش وامتازوا بحسن الخط والبراعة، كأحمد بن عمر بن أبي الشعري الوراق*، والحسن بن بكر بن عريب القيسي السّماد**، وخلف بن سليمان*** وغيرهم.

وتطورت الصناعة الورقية في العصور اللاحقة، واشتهرت شاطبة بصناعة الورق الجيد وهو نوع من الورق الصقيل النّاعم[2]، وازدهرت صناعة التسفير في العصر الموحدي وللشيخ بكر بن إبـــراهيم الاشبيلي كتاب " **التيسير في صناعة التسفير**".

ثانيا: الصنـــــــاعة المعدنية والمتنوعة

حظيت الأندلس بثروات معدنية هائلة تتمثل في الرصاص والنحاس والقصدير والفضة والذهب، وسبق الذكر في ذلك غير أن المصادر المعول عليها في هذا البحث لم تشر إلى طرق استغلال تلك المعـــادن. وقد تنبه إلى ذلك البـــاحث ليفي بروفنسال عندما أخذ على المؤرخين القدامى اقتصارهم على ذكر المناجم دون ذكر أساليب الاستغلال، غير أنه أمكن معرفة فن الصناعة المعدنية من خلال إحدى الدراسات[3] التي فصلت في ذلك؛ إذ تتطلب البراعة فيما يتعلق بالتشكيل الصناعي للمعادن الذي يستلزم طرق صناعية دقيقة ومتطورة كالسبك والنقش والطرق والضغط والتكفيت.

1- ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص137.

* أحمد بن عمر بن أبي الشعري الوراق،كان يكتب المصاحف وينقطها، و تنافس الناس في ابتياعها لصحتها وحسن ضبطها وخطها . ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص 21.

** الحسن بن بكر بن عريب القيسي السّماد كان وراقا كتب علما كثيرا (354-435هـ/965-1043م) . المصدر نفسه، ج3، ص126.

*** خلف بن سليمان: يعرف بابن الحجام، كان يكتب المصاحف وينقطها (ت 397هـ/1006م). نفسه،ج3، ص 144.

2-كونستبل أوليفيا ريمي، المرجع السابق، ص 292.

3- نويصر حسن محمـــد ، الآثـــار الإسلامـــية، مكتبة زهـــراء الشرق،القاهرة(د.ت). ص340، 341 / مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في اسبانيا، ص 386.

فأما السبك **Casting** ما كان غالبا في معدن البرونز أو الحديد أو النحاس، ويتم ذلك عن طريق قوالب محفورة حفرا غائرا يصب فيها المعدن وهو في درجة الانصهار، ثم يترك ليبرد فيأخذ السطح الملامس للزخارف شكلها.

واستخدم النقش **Engraving** على التحف بعد تشكيلها وذلك بأن تحز الزخارف على سطح المعدن بألة حـــادة لإظهـــار الزخارف، ثم تتبعهـــا عـــملية الطرق أو الضغوط **Embossing** وذلك بأن ترسم الزخارف على الألواح المعدنية اللّينة من النحاس أو الذهب أو الفضة، ثم تطرق هذه الزخارف من الخلف طرقا خفيفا حتى تبرز على السطح وتصبح مجسمة.

بينما تقوم طريقة التكفيت **Incrustation** على أساس زخـــرفة سطح الألوان النحاسية أو البرونزية بمعدن أخـــر، وتحز الرسوم بمطرقة خشبية، وتسمى العملية بالشق، وتملأ الشقوق بأسلاك رقيقة ويطرق عليها بمطرقة خشبية.

لقد اشتهرت داري صناعة قصر قرطبة ومدينة الزهراء بإنتاج التحف، وسنتطرق إلى نماذج منها حسب نوع كل معدن في حينه.

1- صنـــاعة الآلات الحـــديدية

عرفت الأندلس أنواعا عديدة من الصناعات الحديدية التي ينتجها الحدادون، كصناعة العدد والآلات الحديدية. وقد أشاد ابن غالب[1] بمهارة الأندلسيين في صناعة الآلات بقوله: "صينيون في إتقان الصنائع العملية وإحكام المهن التصورية، فهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال ومقاسات النصب في تحسين الصنائع العملية، وتركيون في معاناة الحروب ومعالجة آلاتها والنظر في مهماتها". فلم يتردد الأندلسيون في استخدام المواد الخام لصناعة الأسلحة، واستحدث لذلك دور للصناعات

1- قطعة من فرحـــة الأنفس، ص282 / وقد ذكر أبو حامد الغرناطي نفس الانطباع، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، ص 73.

الحربية في كل من وشقة[1]، المرية [2] وقرمونة[3].

ومن أهم الآلات الحربية الدروع والتراس[4] والبيضات* والرماح وما أشبه ذلك. وقد ذكر ابن حيان أن الخليفة عبد الرحمن الناصر كان يبعثها هدايا إلى وفود العدوة المغربية ويفتخر بها في الاحتفالات لاستقبال الوفود[5]. وكان يصنع للخليفة الحكم المستنصر فيما روي: " في كل سنة اثني عشر آلف ترس في دار صناعته، ومن الدرق مثل ذلك، ومن القسي والزورد مثل ذلك، وكان يصنع له في كل سنة ثمانية آلاف خباء، ومن السيوف والرماح مثل ذلك"[6].

وفي وصف لبعض محتويات خزانة السلاح بقرطبة على عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر ذكر:" وكان الرسم أن يصنع من الأخبية عدة للجند كل عام على أجناسها، ثلاثة آلاف خباء... وكان يصنع بدار التراسين من أصناف التراس كل سنة .. ثلاثة عشر ألف ترس، وطريحة القسي في السنة اثني عشر ألف قوس بشطرين عربية وتركية، .... وكانت طريحة النبل في الشهر عشرين ألفا"[7].

كان هذا عرض لبعض الأسلحة الوقائية المصنوعة من الحديد تحمي الجسم من جهة ويتقي بها الجندي ضربات الخصم في حروبهم من جهة أخرى. ويظهر أيضا من خلال النص بعض الإحصائيات التي تشير إلى رواج الصناعة المعدنية في المجال العسكري مع تعدد إنتاجها، مما يحيل إلى التأكيد على احتكار السلطة للمواد الخام وذلك لتلبية متطلبات الحروب من العـــدد والآلات في بلاد الأندلس، ووفرة الأسلحة بأنواعها في خزانة قرطبة لدليل على ذلك.

1- الزهري، كتاب الجعرافية، ص 82.
2- المقري، نفح الطيب، ج2، ص 202..
3- ابن حيان، المصدر الســابق، تحقيق بيدرو شالميتا، ج5، ص 460 / السيد عبد العــزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية، ص161/ العبادي أحمد مختار، صــور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1(2000م)، ص 46.5.
* البيضة أو الخوذة أو القلنسوة الحديدية لحماية الرأس. العبادي أحمد مختار،المرجع السابق، ص45.
4- المقتبس، تحقيق بيدرو شالميتا، ص 352،353.
5- مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق بوباية عبد القادر، ص 214.
6- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص 101.

تمتد صناعة الحديد إلى مجالات أوسع خاصة العمران وتتمثل في أدوات البناء من مزاليج ومفصلات تثبت بها مسامير كبيرة للأبواب وتتسم المسامير بفلطحة رؤوسها وتضلعيها واتخاذها أشكالا نجميه[1]. فقد كان لقرطبة سبعة أبواب ملبسة بالحديد[2] كأداة للحماية والتحصين من الخطر الخارجي، هذا إلى جانب أنه كان يصنع بالأندلس مراسي السفن بدانية[3] و بمدينة شلطيش " دار صناعة الحديد الذي يعجز عن صنعه أهل البلاد لجفائه وهو صنع المراسي التي ترسو بها السفن"[4].

كما استخدم الحديد أيضا في صناعة الأمقاص المذهبة والسكاكين[5] في كل من مالقة ومرسية وصناعة الأدوات الطبية فمن آلات الزهراوي* في الجراحة المقدح وهي مكواة من حديد لعلاج عرق النسا[6].

ومما يلفت الانتباه تعدد مهارات تحويل الحديد إلى مخرجات تتناسب ومتطلبات السكان، ومساهمة السلطة في توسيع قدرة التصنيع والاستمرار في تنشيطها خاصة في المجال العسكري والعمراني.

2- الصناعة البـــــرونزية والنحاسية والصفر

إن القطع البرونزية الأندلسية الأولى شأنها في ذلك شأن الأواني الفخارية لم تأت من العالم الإسلامي المشرقي، بل أتت من العالم البيزنطي الذي قويت أواصره مع الأموي الأندلس. وفي هذا تفسيــــر عيــــنة من الأدوات البرونزية التي اكتشفت على وجـــه التحديد في أطـــلال مسجد إلبيرة الذي أحرق أثناء ثورة(357هـ/ 968م)،

1- السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج2، ص 135.
2- مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق بوباية عبد القادر ، ص 75.
3 - ابن غالب، المصدر السابق، ص 294.
4- الإدريسي، المصدر السابق،م2، ص 542 / الحميري، المصدر السابق، ص 110.
5- المقري، المصدر السابق، ج1، ص 201، 202 / القلقشندي، صبح الأعشى،ج5، ص 219.
* خلف بن عبّاس الزّهراوي، يكنى أبو القاسم، طبيب عالم في الجراحة ،اتخذه الحكم بن هشام طبيبا خاصا به، وكان خبيرا بالأدوية المفردة والمركبة وله تصانيف في صناعة الطب أفضلها كتابه المعروف بالزهراوي، وله كتاب" التصريف لمن عجز عن التصريف" ، توفي (403هـ/1012م). ابن جلجل، طبقات الأطباء، ج2، ص52 / الحميدي، جذوة المقتبس، ص 204 / ابن بشكوال، الصلة، ج3، ص 148،147.
6- الخطابي محمد العربي، الطب والأطباء في الأندلس دراسة تراجم ونصوص،دار الغرب الإسلامي، بيروت (د.ت)، ج1، ص 277.

وكان من نتائج هذا الحريق سقوط مصابيح من البرونز وفي مجملها ست مصابيح يحتفظ بها الباحث مانويل جوميث مورينو وهي على شكل أطباق مستديرة وثريا[1].

كما وجد في متحف غرناطة مجموعة من التحف البرونزية تتمثل في شمعدان تحيط به زخرفة من دوائر[2]، والثانية تحفة تشبه الكأس لها قاعدة وفوهة على شكل الناقوس وجسم كروي ومستدير قليلا تشبه قطعة بمتحف مدريد وأخرى بمتحف بلنسية[3]. بالإضافة إلى قناديل برونزية اتخذت شكل حيوانات[4]، ومجامر للطيب ومبخرة تقوم على ثلاثة أرجل غطائها يكاد يكون مخروطي الشكل يعلوها طائر ذو منقار وقفلها على شكل حيوان وارتفاعها 23 سم[5].

اشتهرت دار الصناعة بقرطبة في عصر الخلافة بإنتاج تماثيل برونزية لحيوانات وطيور كانت توضع حول البرك والأحواض لتمج المياه من أفواهها، فذكر المقري أن خلفاء بني أمية أجروا إلى قصر قرطبة المياه في قنوات الرصاص بقوله: " ثم ابتدع الخلفاء من بني مروان في قصرها البدائع الحسان، وأثروا فيه الآثار العجيبة، والرياض المونقة، وأجروا فيه المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة المكرّم، وأجروا في كل ساحة من ساحاته وناحية من نواحيه في قنوات الرّصاص تؤديها منها إلى المصانع صور مختلفة الأشكال من الذهب الإبريز والفضّة الخالصة والنحاس المموّه إلى البحيرات الهائلة والبرك البديعة والصهاريج الغريبة في أحواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة"[6]. وفي موضع آخر أشار إلى تماثيل نصبها الخليفة عبد الرحمن الناصر على بركة قصر الناعورة غربي قرطبة نصب عليها " أسد عظيم الصورة بديع الصنعة شديد الروعة، لم يشاهد أبهى منه فيما صور الملوك في غابر الدهر مطلي بذهب إبريز، وعيناه جوهرتان لهما وميض شديد "[7].

1- مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص 387.
2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
3- نفسه، ص 389.
4- نفسه، ص 398.
5- نفسه، ص392. ينظر اللوحة 1-2-3.
6- نفح الطيب،ج1، ص 464.
7- المصدر نفسه، ص 464 ، 465.

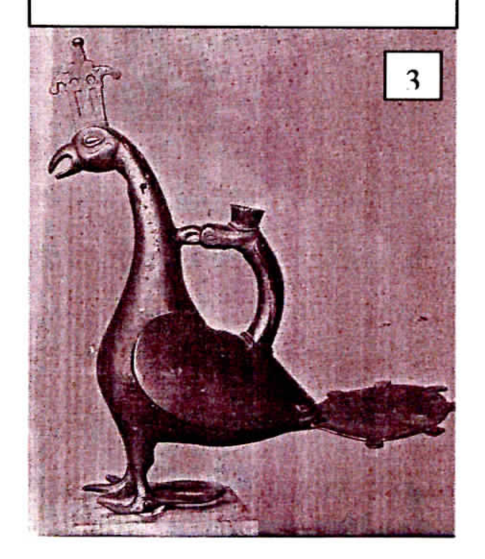
اللـوحة-3-

N°3: Georges Marçais, L' Art Musulman. p83.

1- 2-3 : مباخر من البرونز بمتحف قرطبة.
1-2 مانويل جوميث مورينو ، ص389، 390.





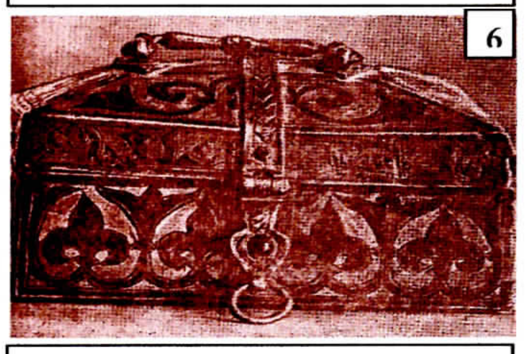




4- وعل الزهراء بمتحف قرطبة:
مرزوق محمدعبد العزيز، 157.



5- قنينة عطر من الفضة بقرطبة
مرزوق محمدعبد العزيز، 157



6- صندوق من الفضة، مانويل جوميث
مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص396.



7- صندوق من الفضة، مرزوق محمد
عبد العزيز، ص157.

وكذلك أشارت المصادر التاريخية[1] إلى التمـــاثيل البرونزية التي كانت تزين مجالس القصر المعروف بالمؤنس وجعل عليه الخليفة عبد الرحمن الناصر" اثني عشر تمثالا من الذهب الأحمر مرصعة بالدّر النفيس الغالي مما عمل بدار الصناعة بقرطبة، صورة أســـد بجانبه غـــزال وإلى جانبه تمســـاح، فيما يقابلـــه ثعبان وعقاب وفيل، وفي المجنبتين حمامة وشاهين وطاووس ودجاجة وديك ونسر، وكل هذا من ذهب مرصع بالجوهر النفيس ويخرج الماء من أفواهها".

لقد عثر على أحد هذه التماثيل في أطلال الزهراء من البرونز يمثل وعلا يزدان جسمه بزخارف نباتية[2]. وهي شبيهة بالتماثيل المعدنية الفاطمية مما يحمل الباحث على القول بأنه ليس من المستبعد أن تكون صناعة التحف المعدنية في الأندلس قد قامت على أيدي صناع من مصر[3]، أو صناع استمدوا صناعاتهم المعدنية من التحف الفاطمية[4]. ففي متحف اللوفر تمثال من المعدن يمثل أسدا متأثرا بالفن الفاطمي. وقد كشفت الحفريات الأثرية بمنطقة المرية[5] عن ثريات معدنية بعضها كامل وبعضها ناقص، شبيهة بالفن الفاطمي[6].

إذا كان البرونز مادة بالغة الأهمية فإن النحاس يفوقه بسهولة طرقه بالمطرقة للحصول على صفائح رقيقة، ثم إنه ييسر عملية التذهيب الذي يمنع من التأكسد، وهو أقل كثافة عند امتزاج النحاس والزنك به وحينئذ يطلق عليه اسم الصفر[7] وتجرى عليه نفس العمليات التي سبق الحديث عنها .

ونستدل على ازدهار صناعة التحف النحاسية في قرطبة ما ذكره الحميري عن أبواب المسجد فقال:" لهذا الجامع عشرون بابا مصفحة بصفائـــح النحاس وكواكب النحاس"[8]. ومن الأمثلة التي تم العثور عليها في هذه المدينة صندوق مستدير مصنوع

1- نفسه، ص569 / ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 345.
2- ينظر اللوحة 3.
3- Georges Marçais, L' Art Musulman, Ed Quadrige. P.U.F, Paris,p p95-96.
4- للمزيد من التفاصيل عن التحف الفاطمية ينظر نويصر حسن محمد، الآثار الإسلامية، ص 345، 356.
5- مرزوق محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس، ص174.
6- لم نعثر على تاريخ إجراء هذه الحفريات الأثرية لمدينة المرية في الدراسات الحديثة.
7- مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق، ص385.
8- الروض المعطار، ص 155.

من الصفر الممتزج بالقصدير عملت زخارفه بالطرق ذات الطابع القرطبي في الزخرفة القائمة على طريقة الوخز[1]، وعلى هذا النحو زخرفة آنية كروية الشكل عثر عليها في قرطبة مذهبة ومطروقة، وتشتمل على نفس الموضوعات المكونة من حيوانات وكتابات والآنية محفوظة بمتحف مدريد[2]. وهناك آنية أخرى صغيرة الحجم بذات المكان، زخرفتها من غزلان وأزهار في دوائر[3].

ومن التحف المصنوعة من النحاس الصفر الثريات، وبخاصة في جامع قرطبة، فحسب المقري فيه:"مائتان وثمانون ثريا عدد كؤوسها يبلغ سبعة آلاف كأس وأربعمائة وخمسا وعشرون كأسا، وقيل عشرة آلاف وثمانمائة وخمس كؤوس"[4]، وفي موضع أخر أحصى ابن سعيد عدد ثريات الجامع التي تسرج فيها المصابيح بداخل البلاطات خاصة "مائتان وأربع وعشرون ثريا، جميعها من لاطون(الصفر) منها أربع ثريات كبار معلقة في البلاد الأوسط أكبرها الضخمة المعلقة في القبة الكبر"[5].

3-الصناعة الفضيـــــــــة والذهبيـــــة

سبقت الإشارة إلى توافر معدن الفضة والصناعة الفضية في الأندلس، فقد ذكر العذري " أن ديسم بن إسحاق قد عثر على معادن الفضة بتدمير، فضرب الدراهم باسمه"[6]. واستخدمت الفضة في كساء مقصورات جامـــع قرطبة[7]، وتزيين حشوات المنبر وصناعة ثلاث ثريات فضية[8]، وقد استعملـــها الخليفة عبد الرحمن الناصر في بناء مدينة الزهراء حين بنى قبة قراميدها من فضة[9].

ومن التحف الفضية النفيسة هناك قصر من الفضة الخالصة، صنعه الحاجب المنصـــور بن أبي عامر وأهـــداه السيـــدة صبح البشـــكنســـية زوج الخـــليفة الحكم

1- مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق، ص401.
2- المرجع نفسه، ص 395.
3- نفسه، ص 398.
4- نفح الطيب، ج1، ص 549
5- المصدر نفسه، ص 551.
6- العذري، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار،ص11،12/ابن حيان،المصدر السابق، تحقيق ملشورم أنطونيه، ص9.
7- ابن غالب، قطعة من فرحة الأنفس، ص 297.
8- المصدر نفسه، ص 299 / مجهول، وصف جديد لقرطبة، ص 176.
9- ابن غالب، المصدر السابق، ص302 / ابن الخطيب، المصدر السابق،ج2، ص 39.

المستنصـــر وأم ولده هشـــام، وعبر ابن عذاري[1] عن هذه الهدية فقال:" فانه استمال هذه المرأة بحسن الخدمة وموافقة المسرّة وسعة البذل في باب الإتحاف والمهاداة، حتى إستهواها وغلب على قلبها وكانت الغالية على مولاها، وابن عامر يجتهد في برها والمثابرة على ملاطفتها، فيبتدع في ذلك ويأتيها بأشياء لم يعهد مثلها، حتى أصاغ لها قصرا من فضة وقت ولايته، عمل فيه مدة وأنفق فيه مالا جسيما فجاء عجيبا لم تر العيون أعجب منه".

ومن التحف الأندلسية الموزعة على المتاحف المختلفة والكنائس وتؤرخ لعصر الخلافة الأندلسية صندوق كاتدرائية جيرونا[2]، وهذا الصندوق مصنوع من الخشب المغطى بصفائح الفضة، قاعدته مستطيلة الشكل طولها39 سم وعرضها 23 سم، وتزدان صفائح الفضة بزخـــارف من التوريقات النباتيـــة من عصر الخلافة تتخذ أغصانها الملتفة شكل زهرات.. ويحتفظ الصندوق بمفصلتين منقوشتين بطريقة الطرق، ويحمل الصندوق كتابة كوفية تقرأ فيها " بسم الله بركة من الله ويمن وسعادة وسرور دائم لعبد الله الحكم أمير المؤمنين المستنصر بالله مما أمر بعمله لأبي الوليد هشام والي المسلمين، تم على يد جؤذر فتاه"[3]. وفي متحف قرطبة قنينة من الفضة لها غطاء متصل بها بواسطة سلسلة، وهي تزدان بزخرفة عملت بها بطريقة الطرق، قوامها عقود حدبة الشكل وزخارف نباتية، وقد عثر على هذه القنينة في قرطبة مع قطع من العملة التي ترجع إلى عصر خلافة قرطبة[4].

وكشفت رواية ابن كردبوس عن استعمال الفضة في صناعة الأسلحة في زمن الأمير محمد بن عبد الرحمن بقوله: " فأقام واليا أربعـــا وثلاثين سنة وفي أيامه انتهى جيش المسلمـــين عنده مائـــة ألف فارس، منهم عشرون ألفا بدروع الفضة"[5].

1- البيان المغرب،ج2، ص 375.

2- مرزوق محمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص173. ينظر اللوحة3.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها / السيد عبد العزيز سالم، قرطـــبة حاضـــرة الخلافة، ص 142،143 /تاريخ وحضارة الإسلام، ص 274.

4- مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق، ص392. ينظر اللوحة 3.

5- ابن كردبوس، قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص 57.

كما استخدم معدن الذهب في صناعة الحلي وفي تزيين مجالس القصور، وكانت مجمل التماثيل مما تنتجه دار الصناعة بقرطبة. وقد روى ابن الخطيب عن تفخيم بناء مدينة الزهراء في عهدة حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر أنه جلب حوضا منقوشا بالذهب، والثاني منقوشا فيه تماثيل لا قيمة لها. فوضعه في بيت المنام من المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس، وكان عليه اثنا عشر تمثالا من الذهب الأحمر المرصع بالدر النفيس، واتخذ من قبة المسجد قراميد مغشاة ذهبا وفضة، وأنفق عليها مالا جسيما، وقد مدّ سقفها بماء صفراء فاقعة إلى بيضاء ناصعة مستلب الأبصار. وجلس فيها إثر تمامها[1] .

إنّ الحلي الأندلسية الخلافية مثلت في مجال الصياغة فنا معدنيا لا مثيل له لوجود الذهب والفضة في مناطق متفرقة من أنحاء الأندلس كما سبق الذكر، إلاّ أن المصادر لا تمدنا بمعلومات على صياغة الحلي الفضـــة، إلاّ ما ذكـــر عند أحد المؤرخين المحدثين أنها كانت تشكّلَ وفقاً للأساليب القوطية[2] التي كان يحتفظ بها النصارى[3]. وهذه الندرة والنقص يمكن تفاديه بفضل عثور الباحث مانويل جوميث مورينو على كنوز نفيسة، فقد اكتشف في الزهراء على كنزين محفوظين في متحف بلنسية، أحدهما كنز لوشة دفن إبان ثورة قرطبة والثاني اكتشف في جروشة بإقليم المرية[4].

1- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص 39، 40 /

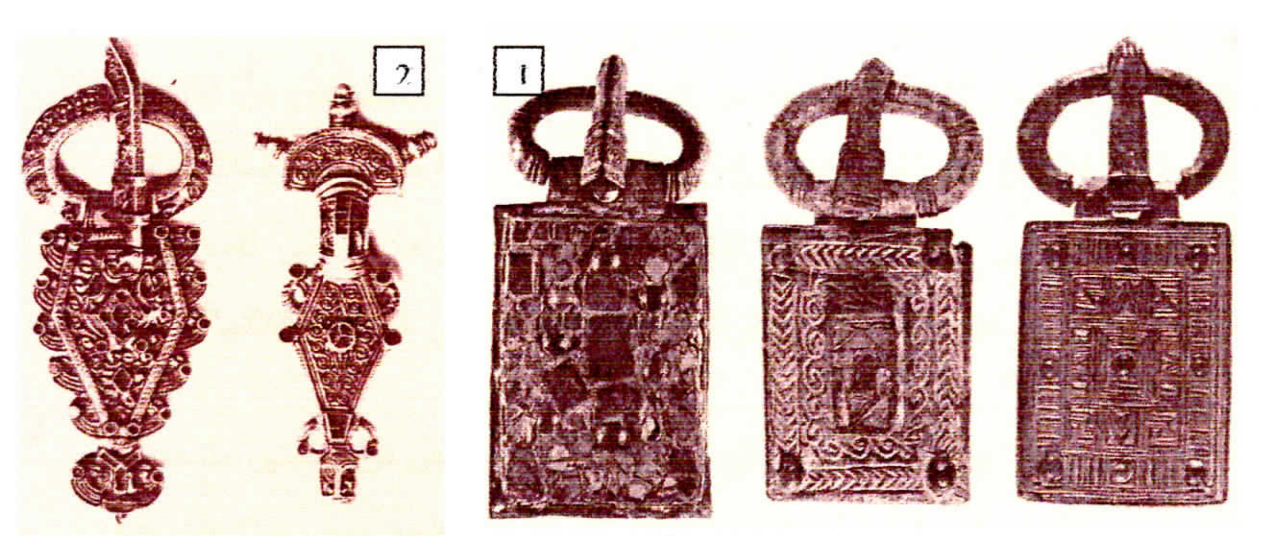
- Henrri Terrasse. L'art Hispano Mauresque. Des origines au 13 siècle, Les Editions G.Van O.E.S.T - 1932 . p102- G.H Bayet , L' art Byzantin-, Paris.p 29.

2- ينظر اللوحة 4 ، نماذج من الحلي القوطية.

3- Michel Kazanski,Les Goths,les 8 après j-c, E errance ,paris ,p95.

4- مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق، ص 403، 406.

اللـــــوحة -4-



1-2 : حلي من الطراز القوطي

Michel Kazanski,Les Goths,les 7 après j-c .pp105-106

3-4-5 : كنز لوشة ، حلي من الذهب والفضة، مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، 404،405.

أ- الحلي الفضـــــــية

أمدنا الباحث مانويل جوميث مورينو بوصف لكنز لوشة[1] من معدن الفضة يشمل على زوج من الأساور الفضية من النوع المعتاد وهما مصنوعان من الأسلاك المضفرة في أطرافها بلوطات (مغالق)، وتتألف أساور لوشة من خمسة أسلاك ملتفة معا على نحو لولبي ومضفرة بحيث تؤلف دائرة طول قطرها الداخلي 6سم، وفي الأطراف رأسان صغيران متلاحمان كرأسي حيتين مع قفل في الفمين لإغلاقها[2].

وعثر في كنز جروشة على خلخال أسطواني الشكل، وهو من قطعتين ملتحمتين وصفيحتين رقيقتين، في الداخلية نقش نصه:" بركة كاملة" والخارجية محلاة بأشرطة من أقـــراص بارزة بالطرق بحيث تترك فراغات تملؤها أزواج من الأرانب البرية التي تعدو، ثم مناطق بها ملفات نباتية رقيقة ملبسة فوق أرضية بيضاء، أما بقية الأجزاء فمذهبة[3]. ويظهر أنه ثمة تشابه في الطريقة الفنية لزوج من الأساور في شكل نصف أسطواني معقود، وهي ملتحمة وقفلها يشبه قفل لوشة، وزخرفتها المطرقة تؤلف براعم ملبسة ومذهبة، والصفائح التي تغطي القفل يظهر فيها النقش الذي في الخلخال بحروف كوفية[4]. ويكمل الجزء المحفوظ من هذا الكنز حبات عقد وكرات صغيرة ذات صفيحة رقيقة جدا ومطرقة وملبسة فوق أرضية مذهبة تتكرر فيها أشكال صغيرة من الأسود والطواويس والغزلان والأرانب، يتدلى من فمها أو منقارها ورقة نباتية داخل دوائر متشابكة[5].

1- ينظر اللوحة 4.
2- نفسه، الصفحة نفسها.
3- نفسه، لصفحة نفسها.
4- نفسه، لصفحة نفسها.
5- نفسه، ص 403.

ب- الحلي الذهبيـــة

لقد أشارت إحدى الروايات[1] إلى أن الذهب كان يساق من بلاد المشرق بكميات كبيرة حيث شهـــدت قرطبـــة في عهـــد الأمير عبـــد الرحمن بن الحكم تدفق تحف وذخائر ونفيس الجواهر وكان التجار العاثرون على هذه الحلي والصياغة يفدون إلى أرض جزيرة الأندلس بخاصة قرطبة لبيعها للأمراء والخلفاء وذكر أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم وهب لجارية من حظاياه عقد جوهر من أعلاق الخلافة العباسية بالمشرق، قيمته عشرة آلاف دينار، كان يسمى الثعبان* ونعته ابن عذاري بعقد الشفاء[2]. ومن هذا الجانب أتساءل إن كانت هذه النصوص توحي بندرة الذهب أم أن صناعة الحلي لم تكن متطورة في هذه الفترة.

ويمكن أن نسترشد في ذلك بالرجوع إلى ما توصل إليه المؤرخون المحدثون من خلال نتائج البحث الأثري، حيث كشف مانويل جوميث مورينو عن أصناف الحلي من كنز لوشة في الأندلس وطريقة صنعها بقوله "طريقة صنعها بسيطة، قد اتخذت في أساسها من صفيحة رقيقة مطروقة في بعض الأحيان تتراكب فوقها باللحام أسلاك مضفرة ترتسم منها دوائر وأسلاك أخرى تحشوها دون ضفر، وهي مقصوصة في شكل لولبي مزدوج تحليها أقراص نصف كروية، منها الأملس ومنها المثقوب ومنها المخطط، وفي الوسط تجاويف كانت تملآن بالأحجار الكريمة التي تحل محل القطع الزجاجية في الحلي الفقيرة، وأشكالها بين مستدير وبيضاوي، وألوانها بين الأبيض والأصفر والأخضر. وعثر على عقود مؤلفة من أشكال أسطوانية صغيرة من الزجاج الأخضر واللؤلؤ، بين حبيبات من الذهب"[2].

1- ابن السماك العاملي، الزهرات المنثورة ، ص25 .

* عقد الشفاء: كان من ذخائر الخليفة هارون الرشيد، لما وقع النزاع بين ابنيه الأمين والمأمون، واستولى المأمون على الملك انتهب من خزائنهم. ولاذ به العاثرون عليه بإبعاده إلى جزيرة الأندلس حيث أمنوا عليه، وبيع إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

2 - البيان المغرب، ج2، ص 138 / السيد عبد العزيز سالم، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، بيروت، ط 1(1992 م)، القسم 2، ص 452.

3- مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق، ص 406.

ونستدل من هذه الحلي على أن المـؤثرات الشامية كانت بارزة في فن الصياغة الأندلسيـة، وتتمثل في المصوغات الذّهبيـة ذات السطوح المفرّغة، والجمع بين التفريغ وآلمينا والكتابة الزخرفية، واستعمـال سلك الذهب المبروم لصنع أشكال هندسية[1].

ثالثـا: الصنـاعات المتنـوعـة

1 - الصنـاعة الفخارية والخـزفية

تعتبر الفنون القائمة على الصلصال أحد مظاهر النشاط اليدوي في فن صناعة الأواني، ظهرت في العهد الخلافي القرطبي أو بعبارة أخرى في القرن (4هـ/10م)[2]، اعتمدت في أسسها على تقنيات المشارقة في التصنيع؛ حيث انتقل أصحاب الحرف الخزفية إلى بلاد الأندلس لمزاولة حرفتهم البسيطة نظرا لما يتطلبه من فنيات جمة في إعداد المادة اللّونية لطلائها. وهؤلاء القادمون اتخذوا مدينة طليطلة مركزا لهم لإنتاج مشغولاتهم الطينية[3]، المتمثلة في قطع الخزف ذي البريق المعدني المزجج[4]، والتي أسفرت عنها الحفريات الأثرية بالزهراء، حيث تزدان بزخارف نباتية وهندسية، ورسوم تمثل طيورا وحيوانات وصورا آدمية[5] تشبه نظائرها من القطع المكتشفة في حفريات سامراء[6].

1- وجدان على نايف، سلسلة التعريف بالفن الإسلامي، ص222.

2- مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص369.

3- عقاب محمد الطيب، الأواني الفخارية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (1984 م)، ص 37.

4- الخزف ذو البريق المعدني : هو خزف يرسم عليه ويلون بعد الحرفة الأولى بالأكاسيد المعدنية حيث إنها بإتحادها بثاني أكسيد الكربون المتصاعد من الدخان ، تتحول إلى طبقة معدنية رقيقة جدا، ويصبح لون البريق المعدني الناتج ذهبيا أو بنيا أو أحمرا أو أخضر أو زيتونيا ، وكانت هذه الأواني الفاخرة تستعمل كبديل لأواني الذهب والفضة، ويعتبر هذا النوع من الخزف من أرقى الأنواع وأجملها. زينهم محمد، التواصل الحضاري للفن الإسلامي، وزارة الثقافة المصرية،القاهرة، ط 1 (د.ت)، ص 36.

5- مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق، ص382، 383.

6- أجرى العالمان ساري وهايزفيلد SARRE وHEIZFELD حفائرهما في العراق على وجه الخصوص مدينة سامراء،وذكر هذان العالمان أن البريق المعدني الذي وجد في مدينة سامراء نوع متطور يشتمل على لونين من البريق كما يشتمل على زخارف نباتية محوره الطبيعة مرسومة بأسلوب زخارف المدنية وأن الخزف ذو البريق المعدني نشأ في سامراء وانتشر إلى البقاع الإسلامية. نويصر حسن محمد، لآثار الإسلامية، ص 229.

ويتسع المجال في استخدام الصلصـــال في المصنوعات الفخارية والخزفية، فالأولى هي ما عملت من الطين المحروق فقط، أما الثانية فهي ما عملت من الطين المحروق المغطى بدهان زجاجي[1].

لقد ألقت نتائج الحفريات في مدينة الزهراء الضوء على الفخار الأندلسي المبكر، وهو فخار مترف، عبارة عن أطباق وصحون سلطانية ذات أرضيات بيضاء، عليها زخارف للونين الأخضر والأسود تتكون من أشكال نباتية وهندسية وحيوانية وآدمية، كما عثر على فخار ذي بريق معدني[2]. واستطاع علماء الآثار التفريق بينه وبين القطع العراقية بواسطة تحليل الطين المستخدم والتقنية المتبعة في الصنع[3].

وكشفت أبحاث الحفريات الأثرية التي أجريت في كل من مدينة الزهراء وإلبيرة والمرية إشبيلية ومالقة أنها مراكز لإنتاج الفخار، نظرا لتباين الأنماط التشكيلية[4]، فمن جرار لها فوهة ضيقة ذات رقبة طويلة مخروطية[5]، وقدور ذات أربعة مقابض ذات حافة مزدوجة وأطراف مدببة بمحيطها، وقدور تفتقر إلى المقابض فضلا عن ضيق فوهتها[6]، وأباريق ذات الشكل الأسطواني بقاعدة مسطحة وعروة مثبتة في وسط بدنه وأباريق مختلفة الأشكال ذات عراوي[7]. بالإضافة إلى قلل بمقبضين، وبعض الأطباق ذات القعر المنخفض، وهي بها حواف بارزة، وتختص مالقة بصنع الأطباق لجودة تربتها[8]، كما يصنع بها الفخار المذهب العجيب[9].

1- عبد العزيز حميد، صلاح حسين العبيدي، الفنون العربية الإسلامية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد(د.ت)، ص 58 / مرزوق محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس، ص 100.
2- ينظر اللوحة 5-6.
3- وجدان علي نايف، المرجع السابق، ج1، ص 215.
4- للتفاصيل عن أنواع الخزف ينظر فصل أصناف الخزف الإسلامي، عددا وشكلا، واستعمالاتها عند :
-Susana Gomez Martinez,La Ceramica De mértola,pp 250,274.

5- عقاب محمد الطيب، المرجع السابق، ص 52.
6- المرجع نفسه، ص 86.
7- نفسه، ص91، 95.
8- نفسه، ص81.
9- القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص 219،221.

لم يستطع الباحثون الكشف عن أسماء الأدوات ونوعيتها التي كانت قد استعملها فخارو المسلمين في العصور الوسطى[1]. فما هو الحال بالنسبة للأندلس التي هدمت مدنها كالركام ؟ ولم يعثر إلاّ على عدد محدود من التحف الفنية الفخارية والخزفية. وفي هذا الوضع نتجه إلى دراسات المحدثين[2] في تعداد بعض الوسائل المستعملة في الصناعة الخزفية والفخارية، وذلك من خلال زخارفها ونقوشها، كالريشة حسب التصاوير الآدمية والحيوانية ونقوش من الكتابة الكوفية[3]، ولابد أن تكون دقيقة وناعمة بالإضافة إلى الفرشاة[4]، وأقلام غليظة أو مقبض ذي ثلاثة أو أربعة أقلام ناعمة جدا[5] يشبه عملها عمل المشط لرسم الحزوز الغائرة أو الأخاديد البارزة ذوات الحواف الحادة أو دائرية[6]، بالإضافة إلى المنقاش لزخرفة التحفة اللينة[7]. ولا نستبعد على فخاري الأندلس استعمالهم للقوالب خصوصا وأنه عثر على بعض الأواني تعمل بواسطة قوالب[8] أوإسطمبات من الخشب[9] تشتمل على مجموعة من الأسود تتحرك بين توريقات[10].

والجدير بالذكر أن هذه الصناعة تحتاج إلى طين ودولاب* تشكل عليه الأواني أو قوالب تصب فيها[11] ثم فرن تسوى فيه بعد التجفيف، وهذا الأخير ارتبط بوجود الفخار نفسه، ويؤكد لنا الدارسون عدم وجود إشارة عن دراسة أبنية الأفران

1- عقاب محمد الطيب، المرجع السابق، ص 55.
2- المرجع نفسه، ص 55 / مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق، ص 382، 384 / أبو الفضل محمد أحمد ، شرق الأندلس في العصر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، جامعة طنطا، مصر (1996 م)، ص 267 /
-Susana Gomez Martinez, Op;cit ,pp285,286.
3- مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق، ص 382.
4- المرجع نفسه، ص 384.
5- أبو الفضل محمد أحمد ، المرجع السابق، ص 267.
6- عقاب محمد الطيب ، المرجع السابق، ص 56.
7- أبو الفضل محمد أحمد ، المرجع السابق، ص 266.
8- مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق، ص 384.
9- أبو الفضل محمد أحمد ، المرجع السابق، ص 266.
10- مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق، ص 384.
* الدولاب أنواع منه الذي يدار باليد وهو أقدم معروف لدى المصريين، والدولاب الذي يدار بالأرجل السائد حاليا ، وذلك بالاعتماد على وجود قرص سفلي مثبت في القائم أو يكون له دواسة وذراع تدوير ، فيدور الفخاري أمامه المسند الذي يضع عليه العجينة . ويستطيع الصانع التحكم بالعجينة وإعطائها الشكل الذي يريده بيده . عقاب محمد الطيب، المرجع السابق، ص 58.
11- مرزوق محمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص 62.

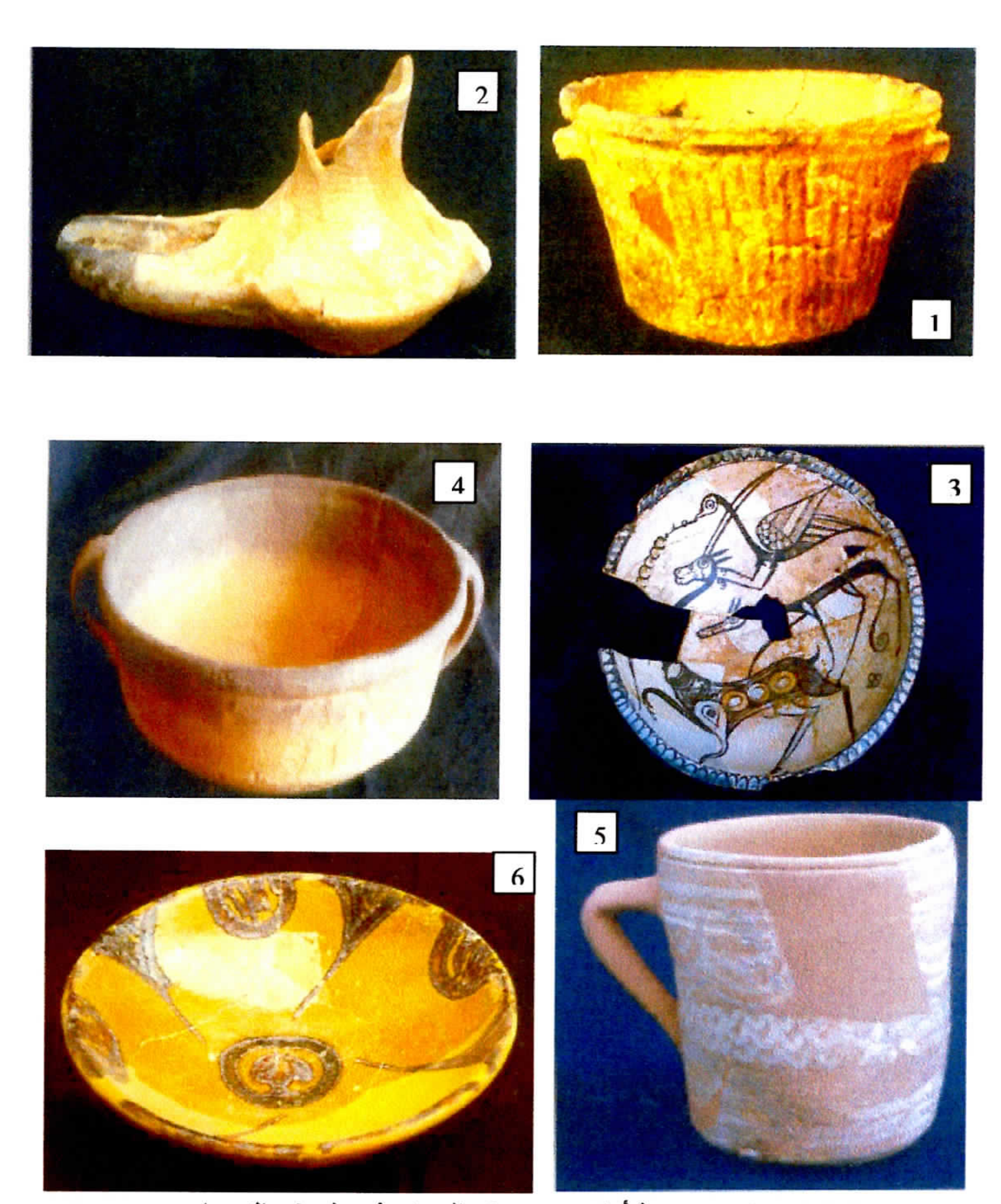
أو أشكـــــالها الهندسية، والسبب في ذلك صعوبة التعرف عليها أثناء الحفريات من بعد أن تهدمت، ومما يزيد صعوبة المادة التي بنيت بها إذ كان معظمها من طوب اللّبن[1]. ومن الإشارات النادرة ما ذكره ابن عبد الرؤوف "بأن يؤمر صانع اللّبن أن يقلل من الرمل عند عملها وانتخاب التراب الطيب لها، وأن يحسن مقدارها ويعلل موضع عملها، وأن يبالغ في تيبيســها، وأن يجعل فيها عوض من الرمل تينا مسحوقا"[2]. وعموما فإن الأفران تأثرت بالظواهر الطبيعية.

لقد حظيت الأواني الخـــزفية بنصيـــب كبيـــر من عناية مؤرخي الفن من خلال الحفريـــات الأثرية التي أجريت في بعـــض المدن الأنـــدلسية. وقـــد صنف كل من مانويل جوميث مورينو في كتـــابه[3] والباحثة سوزان جومـــيث مرتيـــناز Susana Gomez Martinez صاحبـــة كتـــاب La Ceramica De mértola أطروحة شملت دراسة أثرية لمواقع مختلفة من المدن الأندلسية وتمحيص للقى الخزفية والفخارية طوال العصر الإسلامي في اسبانيا، حددت فيها أصناف الخزف الإسلامي عددا وشكلا وإستعمالا ودرست تقنية التصنيع مع جرد أدوات الصناعة الخزفية منذ العصر الأموي.كما تدرجت إلى تقديم مخططات لتطور الأواني كل حسب نوعها وخصصت لكـــل آنية جدولا يحدد نوع الصلصال، وتاريخها، وطريقة تصنيعها ومادة الطلاء مع صورة لبقايا الآنية المدروسة.

لقد بررت الباحثة سوزان جوميث مرتيناز "Susana Gomez Martinez" في دراستها مدى تنوع الصناعة الخزفية في بلاد الأندلس سواء في الفترة المدروسة أو بعدها، وحددت أنواعها من خلال طريقة تصنيعها[4]. فالنوع الأول الخزف المحروق مع زخرفة محزوزة أو بارزة. يشمل هذا النوع على تحف تم تشكيـــلها ثم زخـــرفة بطانتها وهي لينـــة بمنـــقاش أو وضـــعت في قوالب، وبهذه الطريقة تدخـــل مرحلة

1- عقاب محمد الطيب، المرجع السابق، ص 62. لتفاصيل عن الأفران ينظر ص 62 وما بعدها.
2- ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة والمحتسب، ص 107.
3- الفن الإسلامي في اسبانيا' ص 370 إلى 385 / أبو الفضل محمد أحمد ، المرجع السابق، ص 265 ، 270.
4- Susana Gome Martinez, Op ; cit ,pp 696-1032.

اللـوحة -5- (أ)



1-2-3-4-5-6: مجموعة أواني من خزف إلبيرة عثر عليه في الزهراء.
Susana Gomez Martinez, La Ceramica De mértola
pp 4006-4032.

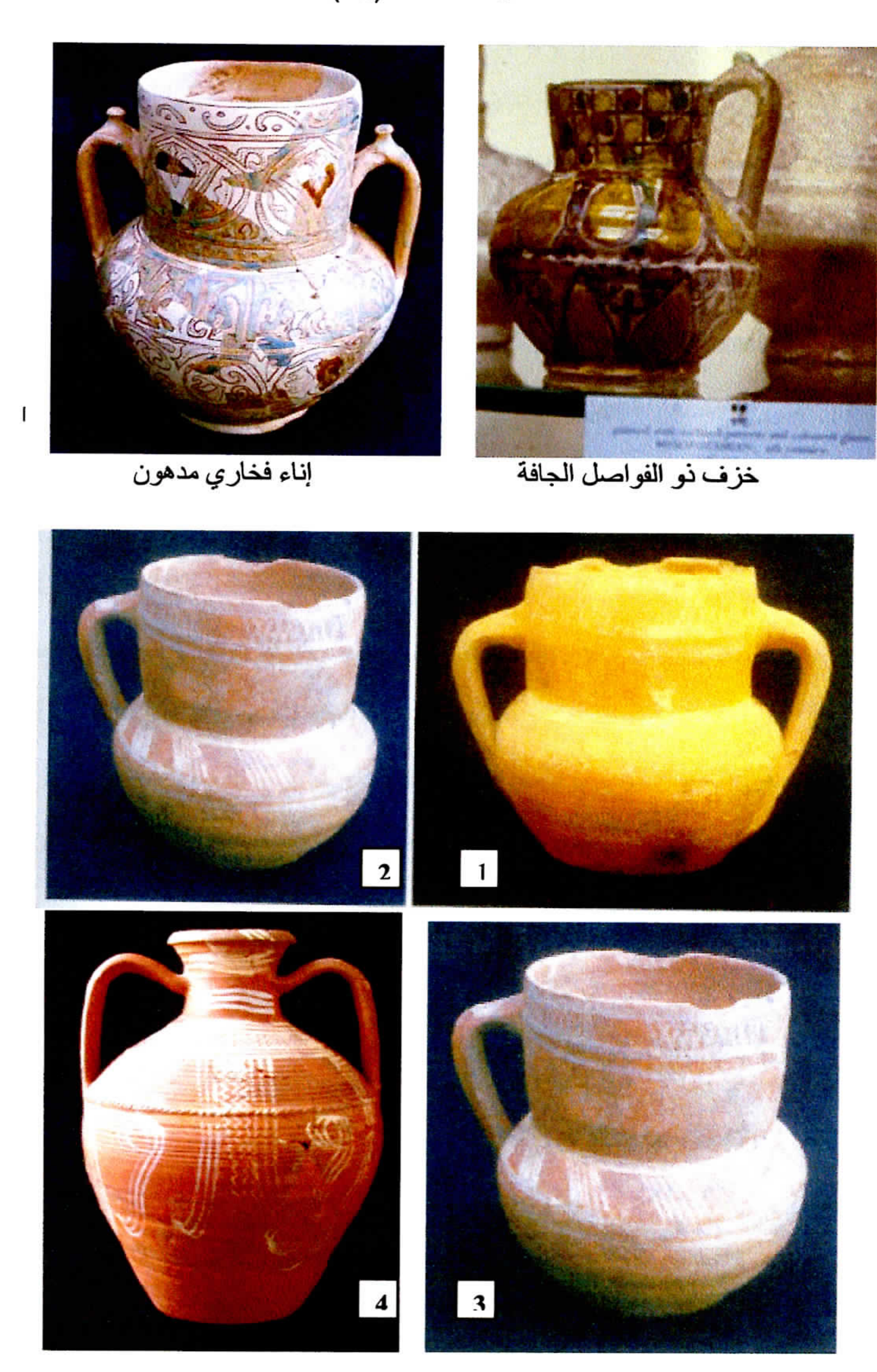
النقش الزخرفي، ومـــا إن ينتهي الخزاف من عمليـــة النقش توضع التحف في الفرن للمرة الأولى والأخيرة. أما النوع الثاني فكان الخزف المـــزجج[1]، بحيث يتم تغطية الخزف بالزجاج الذي ينشأ من خاصية تحول السليليكا عند اتصاله بمزيج من كبريت الرصاص والملح إلى زجـــاج بحيث يصبح الخليط من هذه المـــاد عجينة سائلة، وتغمس الآنية في السائل قبل إدخالها الفرن مما يكسبها عند خروجها منه طبقة براقة وبيضاء.

وإذا كان النقاش قد استخدم أكسيد الحديد في الزجاج يصبح لونها أصفر يبلغ حد اللون القاتم والبني، وتتخذ مع وأكسيد النحاس لونا فيروزيا أو أخضر، ومع أكسيد المنغنيز لونا بنفسجيا يميل إلى السواد. والنوع الثالث الخزف المزين بمادة الأنجوبي[2] وهذا الأخير طينة بيضاء صلصالية أو جيرية بها عرق معدني تغطى بها التحف الزخرفية قبل أن يضاف إليها الزجاج بحيث تندمج فيه. وتسمى تغطية العجينة بالإسبانية Engalba. ومن المعروف أن لون الزخارف يتوقف أساسا على نوع التراب المستخدم في مادة الأنجوبي والجدول التالي يوضح ذلك:

اللّون	نوع التراب
الأحمر	التراب الحديدي.
البنفسجي	قليل من الرمل+ ضعفه من مادة البوتاسيوم +نسبة الرمل من المنغنيز.
الأصفر	مادة البوتاسيوم+ نسبة الرمل من المنغنيز
الأزرق	ستة أجزاء من كربونات النحاس+ الحرق أربع مرات+نسبة نصف جزء من أكسيد الرصاص الأحمر+ اثني عشر جزءا من التراب الأبيض.
الأخضر	خلطة زرقاء وصفراء+ تراب أبيض.
الأسود	خمس أجزاء من المنغنيز + برادة البرونز+ نسبة واحد من العشرين من الجزء من التراب الأبيض.

1- Ibid , pp256-288.
2- Ibid , pp266- 288.

اللـــــوحة -5- (ب).



خزف ذو الفواصل الجافة

إناء فخاري مدهون

1- 2 - 3 - 4 جرار من فخار إلبيرة : Susana Gomez Martinez ، pp 4000-4006 -

ومن الأواني الخزفية الأخرى، خزف ذو الفواصل الجافة. هو نوع من الخزف المزجج، يعني أن الإناء بعد تشكيله لم يكن يزجج كله مرة واحدة بلون واحد بل يقتصر الأمر على تحديد مساحات تغطى بطبقة من أكسيد المنغنيز الخام تذوب على هذا السطح وتكسو سطحه أثناء وضعه في الفرن، وكان يضاف إلى الزجاج أكسيد النحاس الذي يكسبه بريقا أخضر اللّون أو فيروزيا. أما الخزف المذهب فهو أشبه بمستودع مركب من كبريت الفضة وكبريت الحديد وتختلط في مزيج يمكن إضافته بالريشة على الطبقة الزجاجية، ولا ينصهر بوضعه في الفرن بل يخرج منه البريق القوي ذي اللون الأصفر الذهبي[1].

ومن أنواع الأواني المنقوشة بمادة الأنجوبي البيضاء نوع يزدان بزخارف خضراء وبنفسجية؛ إذ يتم تغطية الجرة بعد تشكيلها وإدخالها الفرن للمرة الأولى بمادة الأنجوبي البيضاء، ثم إدخـــالها مرة أخرى بعد نقش زخارفها بألوان خضراء وبنفسجية، وطـــلائها بعد ذلك بطلاء الرصـــاص بحيث تبرز زخرفتها الخضراء والبنفسجية على أرضية بيضاء. وهناك أسلوب دقيق للحصول على اللون الأبيض بإدمـــاج كمية قليلة من ثاني وأكسيد القصـــدير أو أكسيـــده مع الدهان المكون من الرصاص، ويظل أكسيد القصدير دون انصهار إذ يقاوم حرارة الفرن ويضفي على الخليط المزجج بياضا وكثافة[2].

2- صناعة الحـــفر على الرخـــام والحجـــر

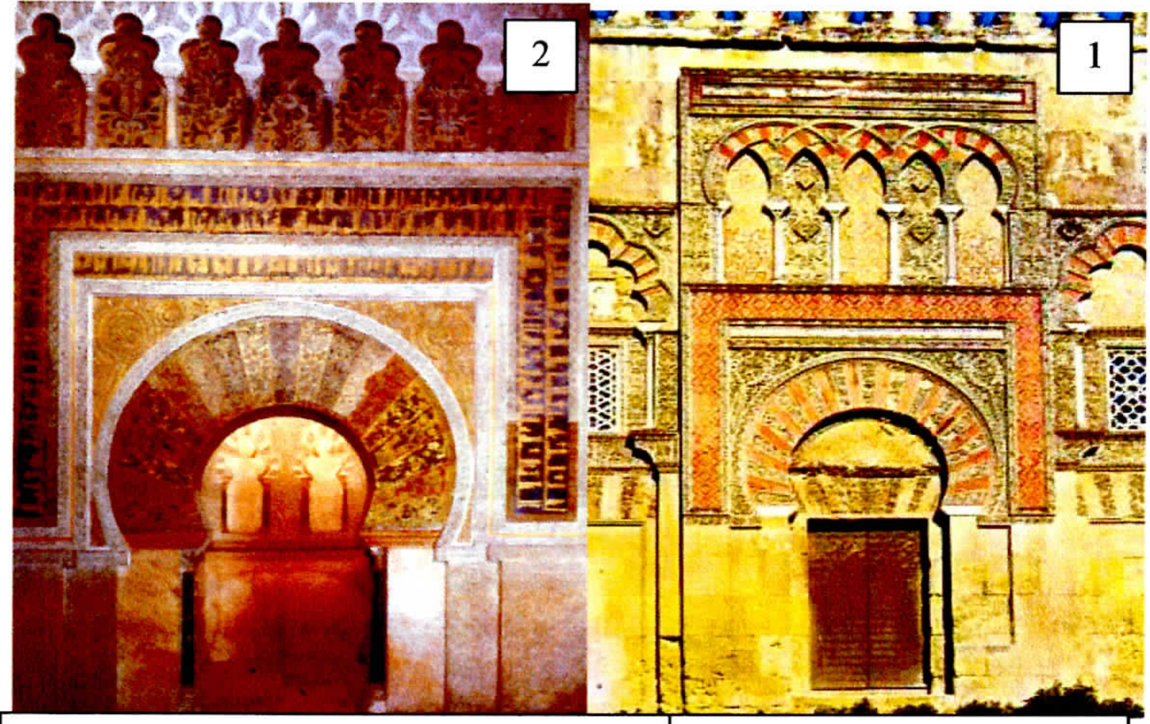
إن الحديث عن العمران والبناء الفخم لا يمكن تحديده على صفحات قد تفقد ذلك الثراء الفني الأندلسي خاصة في العهد الخلافي، أمثال عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصـــر، لـــذلك فإن الحديث سوف يقتصر على المقاطع الرخامية التي استخدمت في بناء مدينة الزهراء وكانت جميعـــها من الرخام بعضها رمادي اللون مـــائل إلى الزرقة، وبعضها وردي اللّون مجزع بالبياض[3]، وبعضـــها من رخـــام إفريقية ومن

1- Ibid , pp266- 288 - ينظر اللوحة 5- (ب).

2- مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص 370 إلى 385. أبو الفضل محمد أحمد ، شرق الأندلس في العصر الإسلامي، ص 265 ، 270.

3- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص 408.

اللــوحة -6- (أ).



2- محراب مسجد قرطبة - موقع الكتروني : www.pitt.edu/~asian/week-8/cordoba-mihrab.jpg	1- الجانب الغربي من مسجد قرطبة: www.rawicordoba.com



3- قبة مقصورة المحراب بمسجد قرطبة- موقع إلكتروني www.islamicity.com -

بيزنطة[1]. والأعمدة جميعها كأنها أفرغت في القوالب [2] طول العمود متران يقف على قاعدة من الرخام ترتفع قرابة ربع متر، بالإضافة إلى تيجانها وقواعدها، واللّوحات التي تكسو الجدران والأرضيات. فقد كان صحن المسجد مفروشا بالرخام الخمري اللّون وتتوسطه فواة يجري فيها الماء[3].

أما المحراب بمسجد قرطبة فيعتبر من أجمل العناصر الرخامية المعمارية والزخرفية، وقد وصف ابن غالب[4] هذا المحراب وصفا كاملا:" سقف القبو من رخامة بيضاء منقورة بالحديد على صفة المحارة قد أحكمت وأنزلت في موضعها بأتقن صنعة، وهو مثمّن البنيان من داخله، مكسوّة جوانبه بثمانية ألواح من الرّخام .... الثمين الذي انطبع فيه ثمانية أذرع تامّة عرض الستة منها ستة أشبار وعرض اللّوحين الباقيين ثلاثة أشبار إلى موضع الرّف المستديرة على رؤوس الألواح، المعمول بالرخام، وأرضه مفروشة بالرخام الأبيض، في عتبة بابه لوح رخام أبيض يمسكه ما بين عضادية وما تحت سواري العضادتين طوله اثنا عشر شبرا، وعرضه أربعة أشبار". وأضاف توريس بلباس[5] إلى هذا الوصف أن المحراب تعلوه " خصة رخام قطعة واحدة مشبوكة محفورة منمقة بأبدع التنميق من الذهب واللازورد وسائر الألوان".

وكشفت الدراسات الخاصة بالحفريات الأثرية لعدة مواقع من بلاد الأندلس عن وجود آثار الرخام في كل مكان من القصور، والمجالس والأرصفة والممرات ومنه قطع صغيرة، ومعظمه قطـــع كبيرة مربعة، ضلع الواحد متر. ومنه أرضيات فرشت أو كسوة ألصقت بالجـــدران، ومنه عتبات أبواب وإطارات وأفاريز* ولوحات منحوتة

1- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص 38 .

2- فكري أحمد، قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية(1983م)، ص 224.

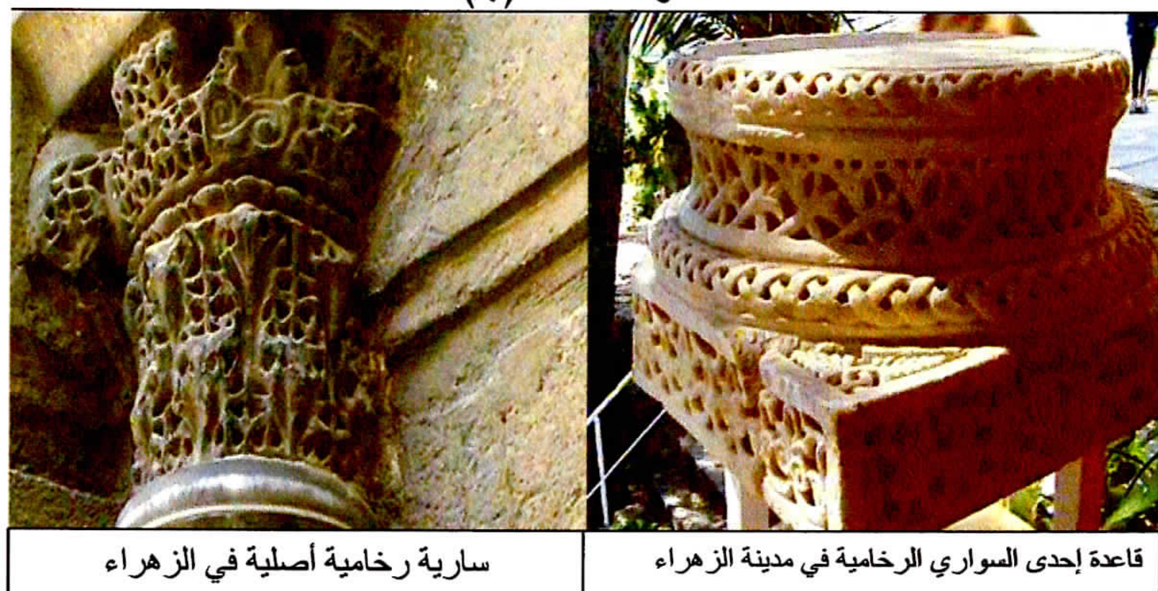
3- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 409.

4- قطعة من فرحة الأنفس، ص297، 298.

5- نقلا عن السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة،ج1، ص402 .

* إفريز : إطار مستطيل يدور حول العقد ، ويسمى في بعض كتب التاريخ العربية طرة، وبالاسبانية arraba أي الربع. مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق ، ص488.

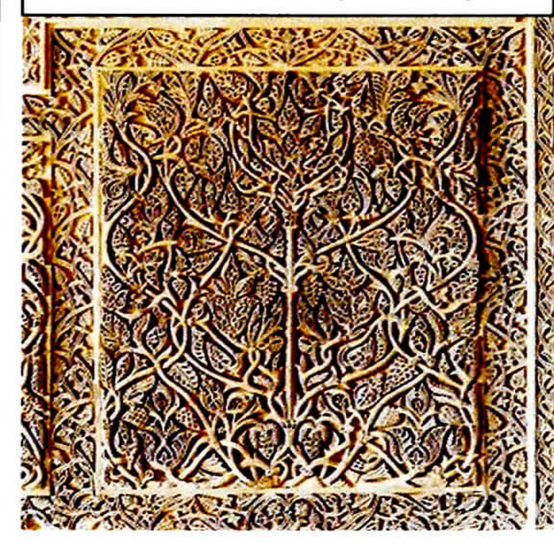
اللــوحة -6- (ب).



قاعدة إحدى السواري الرخامية في مدينة الزهراء

سارية رخامية أصلية في الزهراء

لوحة من الرخام منقوشة في جدار مدخل صالون عبد الرحمن الناصر.



حوض رخامي من غرف قصر الزهراء وأرضية الغرفة من الرخام أيضا.



حوض ذو لون احمر أصلي في شمال غرب صالون الخليفة في الزهراء.





خزان الماء شمال الزهراء في سفح الجبل فيه تتجمع المياه.

موقع متحف الزهراء- www.rawicordoba.com/azahara2-

بشتى الزخارف[1] وتشبيكــات للنوافذ[2]. فكانت القاعة الرئيسية في قصر الخليفة بمدينة الزهراء تتألف من الرخــام الثمين الكامل الصنع، ورداهــة القصر مبلطة بقطع من الرخام المنقوش بمهارة على ألف شكل، وكان في بعض رداهه عيون تصب مياهها في صهاريج رخامية[3].

كما استخدم الرخام في صنع الأحواض لحفظ مياه الشرب في القصور والمساجد لتزيين ساحات القصر[4]، وقد كشفت الحفريات الأثرية عن قطع لأجزاء كثيرة منها. وعلى سبيل المثال ننتقي بعض النماذج منها، كما وردت عند الباحث مرزوق محمد عبد العزيز، ويتمــثل الأول في حوض عثر عليه في مدينة إشبيلية مستطيل الشكل مرتفع الجوانب وهو يجمع بين الزخارف الحيوانية والعناصر النباتية، ويتوج جوانبه الأربعة طراز من الكتابة الكوفية نصه" المنصور بن أبي عامر محمد بن أبي عامر وفقه الله مما أمر بعمله بقصر الزاهرة، فتم بعون الله وحسن تأييده على يدي الفتى الكبير العامري في سنة سبع وسبعين وثلثماية "[5].

أما الآخر فكان حوضا صغيرا يحمل زخرفة بارزة من الداخل، تضم بطا ينقر سمكا وأزواجا من السمك تتداخل فيما بينها وإلى جانبها أزواج أخرى من البط، ومن الخارج شكل جمل محفورا حفرا بسيطا[6].

يبدو أن الأمويين منذ دخولهم إلى الأندلس استغلوا حجارة الكنائس القديمة في بناء المسجد بقرطبة، والقطع الحجرية الباقية من الآثار[7]. فقد بنيت جدران المسجد من الحجر الجيري اللّين المائل إلى الاصفرار[8]، وأدخل في تكوين الأقواس الحجر الأبيض المنقوش مع القرميد الأحمر الأملس[9].

1- فكري أحمد، المرجع السابق، ص 223.
2- مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق، ص35.
3- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص 286 ،290.
4- مرزوق محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس، ص143. ينظر اللوحة 6-(ب).
5- المرجع نفسه، ص 143، 144.
6- نفسه، ص224.
7- Henrri Terrasse. L'art Hispano Mauresque ,pp54,65.
8- وجدان علي نايف، سلسلة التعريف بالفن الإسلامي،ج1، ص 187.
9- دويدار حسين يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، ص 203 ، 204.

وقد أسفرت نتائج الحفريات الأثريـــة عن وجود مبان ضخمة من مدينة الزهراء تكسو أرضية القاعات قطع الآجر أو الملاط المطلي باللون الأحمر[1]. وبالمجلس الفاخر بالزهراء جدران تعلــوها طبقة من الجيــر الرملي سمكـــها 4 سم، يمسكها بالجدران ملاط من الجير قد زينت بزخارف محفورة من عناصر نباتية تصل إلى مستوى الأعمدة [2]. كما استخدمت الحجارة في بناء الأبواب وزخرفتها، فباب سان ميجيل الذي أقامه الأمير عبد الرحمن بن الحكم يضم كتلا حجرية، وتحلى طبلته من الوجهتين زخرفة هندسية مؤلفة من قطع الحجر والأجر[3]. وبقنطرة قرطبة رصيف مصنوع من الأحجار والعمد الجافة من الرخام[4]. وهكذا تتخلل القطع الحجرية الفن المعماري بالدرجة الأولى لأنه من المواد الأساسية في البناء، وللأندلسيين ذوق رفيع في الزخرفة والحفر على الحجر وغيره.

اهتم الأندلسيون منذ الفتح الإسلامي لهذه البلاد بإنشاء المدن، التي صبغوها بالصبغة الإسلامية [5] وعلى درجة من التقدم كما سبق الذكر، وكانت هذه العمائر تبنى بالحجر والجص، أو الحجر والكلس. وأقاموا السقف على سواري الحجارة المنحوتة، وجلبوا الأنقاض لبناء البيوت والقصور والمساجد، التي وصفت بأنهـــا غايـــة في الجمال والإتقـــان لمبالغة أهلها في زخارفها من الواجهة الداخلية والخارجية. وما زالت المدن التاريخية تحتفظ ببعض من أثار الرخام والحجر.

4-صنـــاعة الزجـــاج والبلـــور

تعتبر التحف البلورية والزجاجية من القطع الثمينة في بلاد الأندلس، وانتشر استعمالها في البلاط الأموي. ومما يؤسف أن التحف الزجاجية التي يمكن نسبتها إلى الأندلس نادرة جدا، وقد عثر على بعض القطع الزجاجية المكسورة في إسبـــانيا ولا

1- مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في اسبانيا، ص80.
2- المرجع نفسه، ص103.
3- نفسه، ص63.
4- الحميري، المصدر السابق، ص 154.
5- دويدار حسين يوسف، المرجع السابق، ص 203.

سيما في حفائر الزهراء[1]، ولكنها لا تختلف عن التحف الزجاجية المعروفة في سائر الأقاليم الإسلامية في فجر الإسلام[2].

ومن الصعب أن نتعرف إن كانت هذه القطع الزجاجية الكثيرة هي بقايا أوان صنعت محليا في البلاد أم أنها أوان استوردت من الخارج. والراجح أن أهل الأندلس كانوا يستوردون كميات كبيرة من الزجاج العراقي لأنهم كانوا يعنون بالعطور عناية كبير، وتفضيل آنية الزجاج الرفيع في الأكل عن آنية الذهب والفضة[3]، بدليل ما ذكره ابن حيان في وصف هدية الخليفة عبد الرحمن الناصر لابن العافية "...وحق عاج أخر بأوصال فضة أيضا داخله قدح عراقي مملوء غالية مرتفعة...وزجاجة عراقية مذهبة فيها ماء ورد عراقي خلافي...مع هذه المخازن زجاجة عراقية بمسوح عراقي" [4].

وبما أن المصادر لم تقدم لنا تفاصيل عن طريقة تصنيعها إلاّ أن نتائج الحفريات الأثرية كشفت عن قطع من الزجاج، بعضها من لون واحد وبعضها من لونين متداخلين، إذ تقوم زخرفته على إضافة خيوط زجاجية إلى إناء لونها يختلف عن لون الإناء نفسه، ويسحب الزجاج على شكل خيوط يسهل إضافتها على سطح الإناء وهو ساخن وتضغط هذه الخيوط على جدران الإناء وهو لا يزال ساخن، ويكون هذا الضغط بواسطة دحرجة الإناء على قطعة مرمر، ثم تسحب هذه الخيوط المضغوطة بواسطة آلة على هيئة المشط في اتجاه أو اتجاهين متضادين فيبدو الإناء به زخرفة على هيئة الشبكة[5].

وقد عثر في الزهراء على مجموعة من الأواني الزجاجية المصنوعة بطريقة القوالب، وعلى سبيل المثال وعاءان من الزجاج يزدان سطح كل منهما بزخرفة نباتية، كما عثر على قنينات كروية من الزجاج المنفوخ بإلبيرة وقوارير قمحية ذات

1- وجدان علي نايف، المرجع السابق، ص 222. ينظر اللوحة 7.

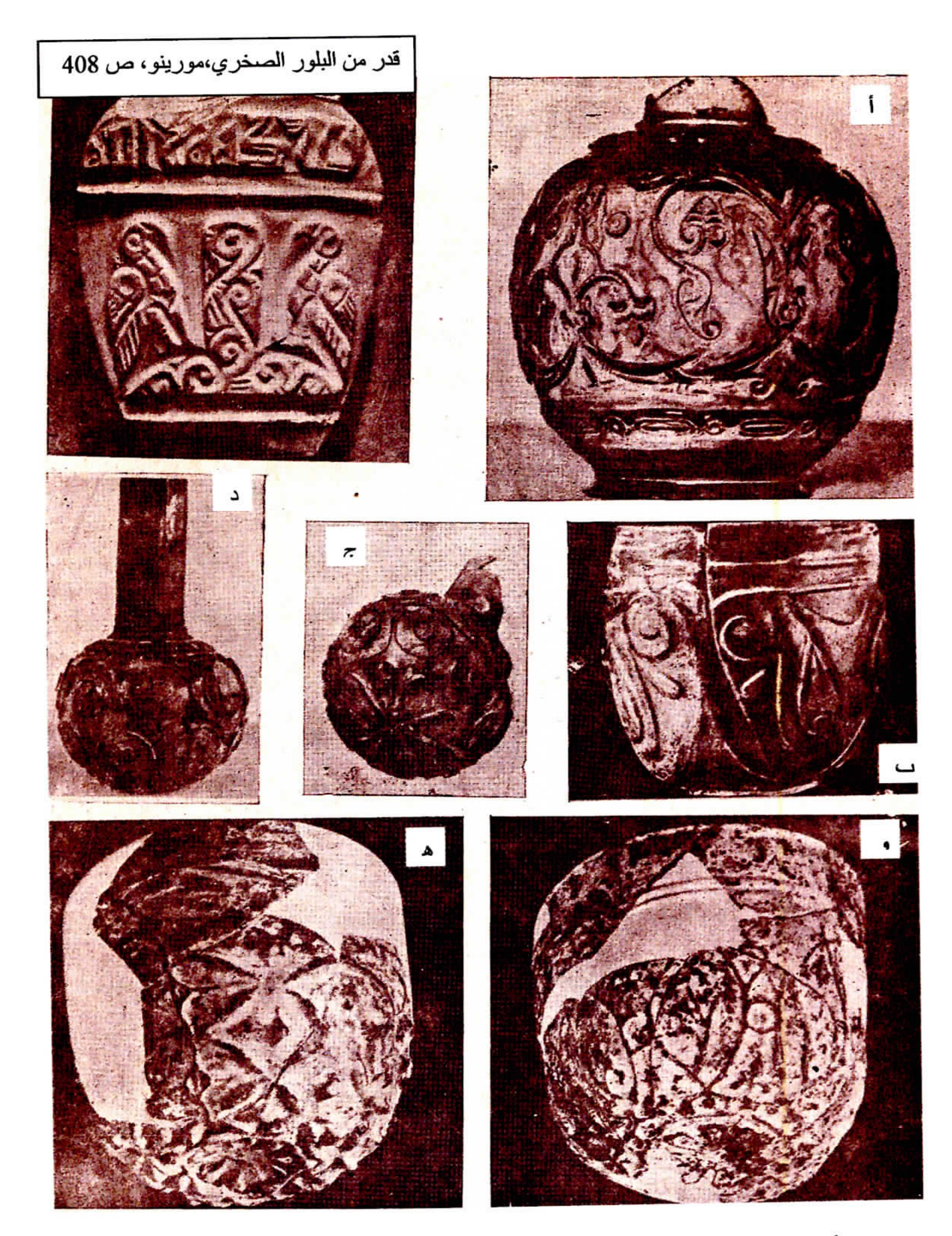
2- المرجع نفسه، ص 226 / زكي محمد حسن، الفنون الإسلامية، دار الرائد، بيروت، ط1 (1981م)، ص 618.

3- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، السفر2 ، ص 323 / دويدار حسين يوسف، المرجع السابق، ص 303.

4- المصدر نفسه، تحقيق بيدرو شالميتا،ج5، ص 352، 353.

5- مرزوق محمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص 208،209.

اللـــوحة -7-



أ ــب- ج- دـو-هـ- أواني زجاجية من الزهراء: مانويل جوميث مورينو ، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص 408.

الرقبة الطويلة[1]. والمثال المشهور قنينة زجاجية كروية قد فقدت رقبتـــها ذات قاعدة مستديرة تزدان بزخارف نباتية[2]. كما استخدم الزجاج في البناء بدليل أن الأمير عبد الرحمن ابن الحكم أقام أبراجا مغطاة بالزجاج الشفاف لتكشف المناظر الطبيعية[3]، واتخذ من الزجاج الفصوص لصناعة الزليج[4]، وتزيين أرضيات القصور والمساجد[5]. وبتقليد الزجاج الطبيعي عرفت الأندلس نوعا من الزجاج الشفاف الصناعي، استنبط صناعته عباس بن فرناس من الحجر[6]، واشتهرت كل من مرسية ومالقة بصناعة الزجاج المذهب العجيب الصنعة[7].

أما البلور الصخري (Rock Crystal) فهو حجر طبيعي ذو شفافية جذابة، يوجد في الطبيعة بكميات قليلة، وتؤخذ القطعة وتهذب في أشكال مختلفة ثم تنقش عليها الزخارف حفرا. وقد اتخذت منه القوارير الصغيرة لوضع الكحل والعطر[8]، كما اتخـــذت منه الأواني الصغيرة والمصـــابيح وقطـــع الشطرنج التي نجت منهـــا ثلاث مجموعات مصنوعة من البلور الصخري وجدت في أديرة مختلفة، نذكر منها مجموعة تضم أربعا وأربعين قطعة في أخير Ager بقطالونيا، وبقيت ثماني قطع في دير ثيلانوفيا Celanov وكلها تزدان بالأوراق وسعف النخيل[9]. وفي متحف الآثار بمدينة مدريد تحفة استخدمت لحفظ بقايا المخلفات المقدسة وبها صور طيور وزخارف نباتية وبكتابة كوفية نصها " بركة من الله وسعادة لصاحبه"[10].

وقد استعملت الفسيفساء المصنوعة من مكعبات عجين البلّور الأحمر والأخضر والأبيض والأصفر والأسود، وأخرى مذهبة ومغطاة بطبقة رقيقة من الزجاج، صنعت

1- مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق ، ص410.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها / مرزوق محمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص 165. ينظر اللوحة7: أ-ب- ج- د -و- هـ.

3- العبادي أحمد مختار، تاريخ المغرب والأندلس، ص 152.

4- الحميري، المصدر السابق، ص 145.

5- العبادي أحمد مختار، المرجع السابق، ص 153 / شبارو عصام، الأندلس ، ص143.

6- المقري، المصدر السابق، ص202 / مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق ، ص410.

7- المرجع نفسه، ص 307 / مرزوق محمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص 164.

8- المرجع نفسه، الصفحة نفسها / مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق ، ص 307.

9- المرجع نفسه، ص 410 / مرزوق محمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص 164.

10- دويدار حسين يوسف، المرجع السابق، ص 211.

منها أرضية الزخارف بمسجد قرطبة[1]، كما زينت أبواب قصر الزهراء الثمانية بالبلور الصافي[2].

4- الصنـــــاعة العاجـــية

لقد تركت بلاد الأندلس الأموية عددا كبيرا من التحف العاجية، أحرزت شهرة عالميـــة تعـــود إلى النصف الثاني من القرن(4-5هـ/10-11م)، ومعظمها تحمل نصوصا تاريخية تتضمن اسم من صنعت له التحف وتاريخ صنعها واسم الصناع وأحيانا المكان الذي صنعت فيه، بعضها في قصور الخلفاء بمدينة الزهراء وقرطبة. والبعض صنع في دور الصناعة المخصصة لكبار الشخصيات[3]. ومن المهم أن نتعرف على مصدرها والتي تحتفظ بها المتاحف العالمية. والسؤال ما مصدر هذه التحف؟

إن المصادر التاريخية المتاحة لا تفي السؤال حقه، ويعتقد أن أصلها يرجع إلى أواسط القرن (4هــ/10م)، لكن أقــدم هذه التحف تحتفــظ بها الكنائس والكاتدرائيات كعلبة Saint Isidor بليون، وعلبة فكتوريا والبرت Victoria and Albert[4] من أروع العلب من حيث تقنية الإنجاز، فأشارهنري تيراس Henrri Terrasse إلى صعوبة تحديد مصدرها في قوله:" إنه لا يمكنـــنا أن نخطيء في تحديد مصدرها، وبذلك نتجه إلى التشكيك في مصدرها القادم من إسبانيا من طرف فنانين أجانب حملوا معهم هذا الفن الجديد ". ومن الملاحظ أن التحف العاجية ذات الطراز العباسي والفاطمي تشبه في شكلها العام التحف الأموية بالأندلس، وتختلف في تقنية صنعها وزخرفتها، أما التحف البيزنطية المجددة بالفن الهلينستي وتعود إلى القرن(4هــ/10م) ليس لديها أي أثر في التحف العاجية لإسبانيا المسلمة "[5].

1- وجدان علي نايف، المرجع السابق، ج1، ص 190.

2- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمة أمين فارس، منير البلجيكي، دار صادر للملايين، بيروت ط11 (1988 م)، ص299 / غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص 290.

3- Henrri Terrasse . op;cit.p 176

4- Ibid .p 173.

5- Ibid .pp 173-174.

إنّ الأمر الثابت بالنسبة للتحف العاجية الأندلسية يختلف تماما؛ حيث سجلت أقدم التحف المذكورة أسلوبا متطورا من الصناعة والزخرفة، وقد فسر هذه الظاهرة Henrri Terrasse[1] " بأن مهارة صناع الأندلس في فن الحفر على الخشب أدت إلى اكتسابهم خبرة في صناعة الحفر على العاج". وخرج بنتيجة " أن التحف العاجية رغم مرجعيتها وأصولها المشرقية إلاّ أن روعة وبهاء صنعها وتشكيلها بالزخرفة النباتية، قد فاقت زخرفة المسجد الجامــع للأميــر الحكم وتجاوزت بشكل كبير الطراز الشرقي "[2].

وأضاف السيد عبد العزيز سالم في تحديد مصدر هذه العلب العاجية أن الفضل في الحفاظ عليها "يرجع إلى وجود المادة العاجية، وإلى أنها تحف للزينة، والسبب الأهم يرجع إلى أن عددا منها كانت من بين الغنائم التي تقع في أيدي عسكر الممالك المسيحية بإسبانيا، فكانوا يقدمونها للكنائس والكاتدرائيات تعبيرا عن فرحتهم بالنصر. وكان الرهبان في الأديرة والقساوسة في الكنائس يحفظون فيها المخلفات المقدسة، وهذا السر في احتفاظ الكنائس والأديرة بالكاتدرائيات بكثير من العلب العاجية." [3]

ومن هنا كانت هذه التحف العاجية في معظمها سليمة تحدثنا بجمال زخرفتها وتناسق أشكالها، ودقة صنعها، بل يجعل منها في الواقع وثائق تاريخية لها قيمتها في كتابة التاريخ الدقيق للحضارة الإسلامية بالأندلس[4].

ويحيط الشك ببداية المصنع الخلافي للعاج والقائمين عليه، وهما أستاذان شهيران: أحدهما مجهول يطلــق عليه"صاحب سمورة"[5] ويمثــل تطبيق الأسلوب الزخرفي للمسجد الجامع على صناعة العاج، والثاني فنان غير أندلسي غريب عن الفن القرطبي ويسمى" خلف"[6]. هذا ما يجدد التأكيد على وجود فئة فــنية دخيلة، تنتج في المصانع الأندلسية تحفا لا تضارعها تحف عربية ومشرقية أو مغربية أو مسيحية.

1- Ibid .p 174.
2- Ibid .p 176.
3- التحف العاجية في العصر الإسلامي، ص22.
4- مرزوق محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس، ص 182.
5- مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في اسبانيا، ص355.
6- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والتحف العاجية التي كانت تستخدم في القصور قاصرة على العلب التي تشبه الصناديق الصغيرة، تتخذ لحفظ الحلي وأدوات الزينة والعطور النسائية، وأشكالها إما أسطوانية مع غطاء نصف كروي، وإما ذات قاعدة مستطيلة مع غطاء مسطح أو على شكل هرم ناقص من ناب الفيل[1] . فقد كان التجار المسلمون يجلبون العـــاج من الهند ومن ساحل العاج ومن مدغشقر وبلاد زنجبار؛ حيث كان يتوفر بكثرة في بلاد الزنج، ويتم تصديره من الإسكندرية إلى دول الغرب الأوربي، أو من غرب إفريقيا إلى بلاد المغرب، ومن ثم ينقل كالهدايا إلى حكام قرطبة[2].

برع الأندلسيون في صناعة العاج وتشكيله وزخرفته، وقد دلت عن ذلك صناعة أبواق الصيد، إذ كانوا يقطعون الطرف المدبب من الناب ويجوفونه، ثم ينقشون سطحه الخارجي بصور ورسوم شتى. أما العلب الأسطوانية أو المستطيلة الشكل. فيتم قطع ناب الفـــيل على شكل كتل منتظمة، ثم يشكلونها لتكون العلبة أسطوانية الشكل عن طريق تجويف، أو لتكون مستطيلة الشكل عن طريق إزالة الأسطح المستديرة من الناب وبسطها، ثم تفريغ البدن وصقل الجوانب الأربعة بالمبادر تمهيدا لنقش الزخارف. وبعد الفراغ من عملية النقش الغائر للتشكيـــلات الزخرفية النباتية والحيـــوانية تدهن هذه التشكيلات الزخرفية ببعض الألوان[3].

ومن التحف العاجية أمكن تحديد ثلاثة مراكز رئيسية لصناعة العلب الأميرية والخلافية، أولها مدينة الزهراء التي نشطت في إنتاج العلب العاجية في عصر الخلافة الأموية. أما المركز الثاني والأحدث فمقره في مدينة قونكة[4]، والمركز الثالث في مدينة قرطبة التي أقام فيها الخليفة عبد الرحمن الناصر دارا للصناعة بالقصر الخلافي كما أشرنا سابقا.

1- السيد عبد العزيز سالم، صور من المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة الأموية وعصر ملوك الطوائف من خلال النقوش المحفورة في علب العاج، ص 61 .
2- السيد عبد العزيز سالم، التحف العاجية، ص20.
3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
4- نفسه، ص27

اللــــوحة-8-



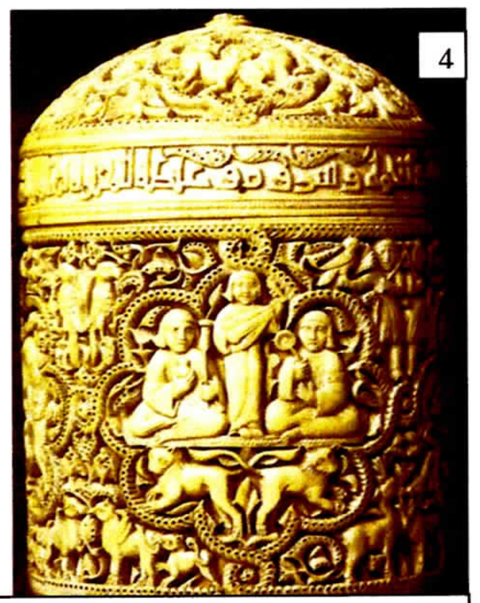
1- علبة عاجية من عهد الحكم المستنصر
www.daralhavat.com



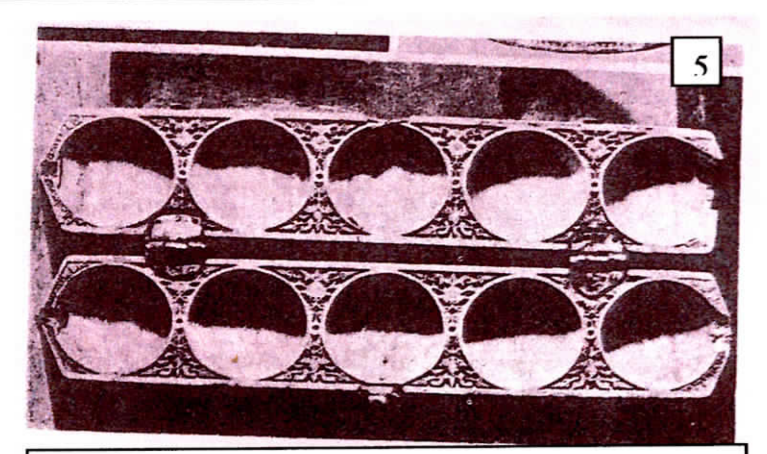
2- علبة عاجية من عصر الخليفة هشام المؤيد
- متحف قرطبةwww.rawicordoba.com -



3- علبة سمورة : مانويل جوميث مورينو،
ص358



4- علبة المغيرة بن الخليفة عبد الرحمن الناصر
مانويل جوميث مورينو، ص365



5- علبة سيلوس من عهد الحكم المستنصر: مانويل جوميث مورينو،
الفن الإسلامي فى إسبانيا، ص367

يمكن تصنيف الإنتاج الخلافي لعلب العاج الأندلسية في دار صناعة قرطبة ومدينة الزهراء إلى عدة مجموعات، تتسم كل منها بسمات مشتركة، وتعبر بذلك عن مدى التطور الذي عرفته هذه الصناعة في عصر الخلافة الأموية. والتحف العاجية كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال واحدة تنتسب إلى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر وأخرى إلى الخليفة الحكم المستنصر، وصندوق يعود إلى الخليفة هشام المؤيد.

وأقدم مثال للتحف العاجية علبة تحمل اسم الخليفة عبد الرحمن الناصر، وهي مستطيلة الشكل غطاؤها مقبب يتألف من دفتين تربطهما مفصلتان صغيرتان بكل دقة منهما خمس جوفات عميقة[1]. وتعد التحفة الوحيدة التي كانت تستخدم لحفظ قنان العطر[2]، ويحف بالتجويفات الأربعة الموجودة في الزوايا الأربع كتابة كوفية يتكرر نصها:" هذا عمل الابنة لعبد الله عبد الرحمن لأمير المؤمنين"[3]، والعلبة محفوظة في المتحف الإقليمي لمدينة برغش. وعلى جانب النص التاريخي نقوش زخرفية أشارت إلى ذوق فني بلغ ذروته في تاريخ قرطبة الخلافية، وهو من النوع الذي يعرف " الأرابيسك" أو زخرفة التوريق[4].

والتحفة الثانية من تحف الخليفة الحكم المستنصر معروضة في متحف اللوفر بباريس وهي أسطوانية الشكل ذات غطاء مقبب يجري في أسفله شريط به كتابة كوفية نصها "بركة من الله ونعمة وسرور وغبطة للمغيرة بن أمير المؤمنين رحمه الله مما عمل سنة سبع وخمسين وثلث ماية "[5]، وتزدان العلبة برسوم آدمية التي يبدأ عهدا جديدا في الفن الإسباني الإسلامي[6].

1- مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق، ص356.
2- المرجع نفسه، ص356. ينظر اللوحة8.
3- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص38.
4- المرجع نفسه، ص 39 / مرزوق محمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص 184.
5- المرجع نفسه، ص 190. ينظر اللوحة 8.
6- مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق، ص 356/ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص52،53 / مرزوق محمد عبد العزيز ، المرجع السابق، ص190 .

ومن عصر الخليفة هشام المؤيد صندوق من العاج محفوظ في كاتدرائية بمبلونا، علبة تفوق غيرها من الصناديق، مستطيل الشكل ذو غطاء على هيئة هرم ناقص. وقد نقش عليه من جزء لآخر أسماء صناعها مـما يثبت تعاونا في الصناعة، وقواما زخرفته منظر للبلاط[1].

إنّ الظاهر من هذه النماذج أن الفنان القرطبي قد استخدم مقوماته الزخرفية ذات التأثير العراقي في تحف العاج المصنوعة بقرطبة والزهراء، وأبـدع في النقـوش المحفورة التي تمثل الصور الحيوانية والآدمية ذات الطابع الشرقي[2]. وبرز هذا التنوع في مجالس الطرب والشراب والمبارزات بين الفرسان، ومناظر الصيد والصراعات بين الحيوانات[3]، وانحصرت هذه الزخارف في جامات مفصصة أو مستديرة. ويعتبر الصندوق المحفوظ بكاتيدرائبة بنبلونة[4] أروع الأمثلة من مجموعة التحف العاجية المكتشفة بالأندلس لما تحمله من تنوع زخرفي.

لقد تشابهت الاتجاهـات الزخرفية الأندلسيـة في التحف العاجية مع النقوش المحفورة على اللوحات الخشبية المتبقية من العصر الفاطمي بالقاهرة[5]، مما يؤكد وجود تيارات فنية متبادلة بين الأنـدلس ابتداء من عصر الخلافة الأموية وبين مصر في العصر الفاطمي[6].

وبهذا كانت صناعة العاج من أهم الصنـاعات الفنية بالأندلس، التي تفصح عن ذلك التقـدم التقني والإبداع الزخرفي والجمالي في تـوزيع التشكيـلات وتماثلها، ودقة التنفـيذ والأداء العملي ذي الذوق الرفيـع. وتوقـفت هذه الصنـاعة بسقوط الخلافة الأموية بقرطبة. وليس بالبعيد أن لفتـنة القرن(5هـ/11م) وتخريب الزهـراء

1- المرجع نفسه، الصفحة نفسها/ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 39.
2- مرزوق محمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص 190.
3- السيد عبد العزيز سالم،المرجع السابق، ص52،53 / مرزوق محمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص190 .
4- مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق، ص 362 / السيد عبد العزيز سالم، صور من المجتمع الأندلسي، ص67 ، 68. ينظر اللوحة8.
5- السيد عبد العزيز سالم، المرجع نفسه ، ص 62.
6- Pierre Guichard,L'Espagne et la sicile Musulmanes aux 11 et 12 Siecles, Presses universitaire de Lyon 1990, p 35.

والزاهرة أثارهما السلبية[1]؛ إذ كانت دور صــناعة تحف العاج من بين الأبنية التي دمرت، مما يترتب عليه اختفاء المرافق وتفرق الصناع والنقاشين إلى مناطق آمنة[2]، ولم تلبث الحواضر أن تحولت إلى مراكز فنية بفضل هجرة هؤلاء إليها.

ولا شك أن خراب قرطبة بعد زمن وجيز من صناعة هذه الصناديق قد أثار الفزع في حياة الصناع الأندلسيين، الذين راحوا يبحثون عن عمل في بلاط القصور الأخرى، وكان ملوك الطوائف في طليطلة هم الذين أقاموا مصنعا للعاج في قونكة بإشراف رجل يدعى محمد بن زيان [3].

5- الصنــــاعة الخشـــبية

كانت الصناعة الخشبية من أهم الأنشطة الممارسة في بلاد الأندلس لتوفر الخشب في عدة مناطق وتعددت بذلك استعمالاتها بخاصة في صناعة السفن، فلما استقر الملك للمسلمين بهذه البلاد وشمخ سلطانهم وصارت الأمم المجاورة المسيحية النورماندية تحاول غزوها، كان لزاما على الأندلسيين أن يحصنوا مدنهم الساحلية نظرا للموقع الجغرافي المطل على البحر من ثلاث جهات، فأنشأوا السفن وشحنوا الأساطيل بالرجــال والسلاح. واستعــد الأميــر عبد الرحمــن بن الحــكم فأمر " بإقامة دار للصناعة بإشبيلية وإنشاء المراكب " واستعان برجال البحر من سواحل الأندلس فألحقهم ووسع عليهم" [4]. كما أمر الأمير محمد بن عبد الرحمن بإنشاء المراكب بقرطبة[5] وبذلك تنامت أعداد المراكب في الأسطــول الأندلسي. وانتشرت دور صناعة المراكب في كل من المرية وطرطوشة والجزيرة الخضراء ومالقة ولقنـــت وشلب ودانية ومدينة الزهــراء وشنت مرية[6]. وانتهى في عــهد الخليفة عبد

1- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص 105 / بوباية عبد القادر، البربر في الأندلس، 454.
2- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ وحضارة الإسلام بالأندلس، ص 265 / قرطبة حاضرة الخلافة، ص134.
3- مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق، ص358.
4- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 62.
5- ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص 155.
6- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية، ص175.

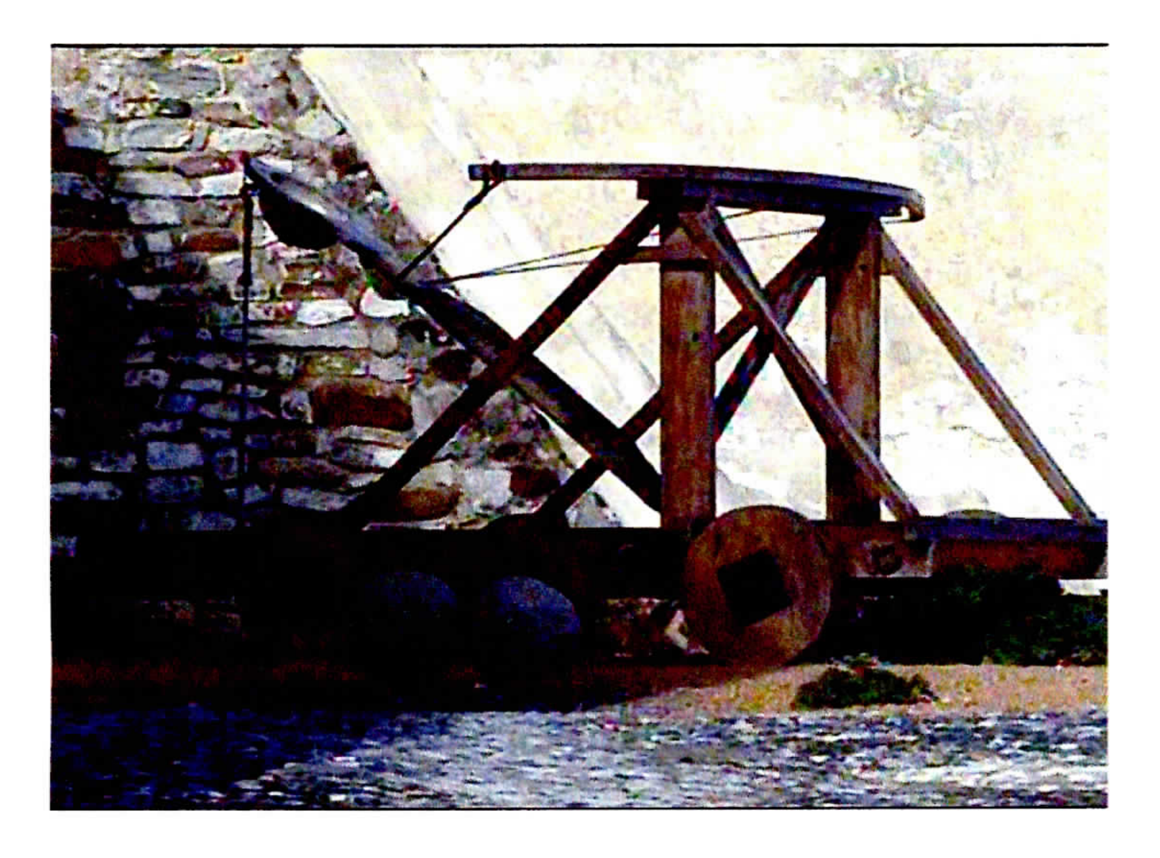
الرحمن الناصـــر إلى مائتي مركب أو نحوها[1]، وكان أفخم أسطول أجراه الذي أرعـــب به أهل العدوة قد تكاملت قطعه إلى مائة وعشرين قطعة مع الحمالة والفتّاشة وقوارب الخدمة[2].

كما استخدم الجيش الأندلسي أنواعا من الأسلحة، بعضها مصنوعا من الخشب كالسهام التي اشتهر استعمالها، واستخدم القسي على نطاق واسع في العمليات العسكرية بهذه البلاد؛ إذ ذكر الحميري أن القسي* تصنع من خشب أشجار الطخش المتوفرة في جبل شقورة في كورة جيان[3] على شكل أعواد كالهلال وتثبت عليها أوتار من الجلد ترمي بها السهام ومنها الزغرية[4]. ومن آلات الحصار التي كانت تستخدم في حصار القلاع والمواقع "المجانيق"[5] التي تستخدم إما لرمي السهام أو الحجارة[6] أو قدر النفط[7].

وتمتد الصناعـــات الخشبية إلى صنـــاعة التحف، رغم أن معظم القطع قـــد اختفت بسبب النهب والحريق والتلف، إلاّ أن المصادر العربية[8] تحتفظ لنا بوصف رائع للمـــنابر ويمكننـــا أن نتخيـــل ما كان عليه منبر المسجـــد الجامع بقـــرطبة ومـــنبر جامع الزهـــراء. وفي وصف منبر جامع قرطبة: " أنه من الصّندل الأحمر والأصفر والأبنوس والعود الرطب والمرجان، وأوصاله من فضة مثبتة المنيلة "[9]. وأضاف المقري أن مسجد قرطبة " به منبر ليس بالمعمور الأرض أنفس منه ولا مثله

1- ابن خلدون، المقدمة، ص 243.
2- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق بيدرو شالميتا، ج5، ص 312،313.
* القسي: جمع قوس هي أعواد من الخشب اللذين كالهلال وتنبث عليها أوتار من الجلد ترمى بها السهام .هنيدي إحسان، الجيش العربي في عصر الفتوحات، دار القلم، دمشق (1973 م)، ص 104.
3- الحميري، المصدر السابق، ص105 .
4- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، ص49 . الزغرية: نسبة إلى موضع بالشام. هنيدي إحسان، المرجع السابق، ص 88.
5- ينظر اللوحة 9.
6- ابن حيان،المصدر السابق، تحقيق محمود علي المكي، ص 367 / العبادي أحمد مختار، صور من حياة الحروب والجهاد في الأندلس، ص 47.
7- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، ص 101 / هنيدي إحسان،المرجع السابق، ص 132.
8- الحميري، الروض المعطـــار، ص 155/ ابن عـــذاري، المصدر السابق،ج2، ص372 / مجهول، وصف قرطبة، ص 174 / مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق بوباية عبد القادر، ص 83.
9- ابن غالب، قطعة من فرحة الأنفس، ص 298.

اللـــــوحة -9-



منجنيق من الخشب بعجلات أمام أسوار قلعة مالقة ، استعملت منذ الفتوحات الإسلامية الأولى

متحف قرطبة- www.rawicordoba.com -

في حسن صنعته وخشبه ساج وأبنوس وبقّم وعود قاقلّي، ويذكر في تاريخ بني أمية أنه أحكم عمله ونقشه في سبع سنين، وكان يعمل فيه ثمانية صناع"[1]، وفي موضع أخر أضاف: " إنه مركب من ستة وثلاثين ألف وصلة، قام كل واحد منها بسبعة دراهم فضّة، سمرت بمسامير الذهب والفضّة، وفي بعضها نفيس الأحجار"[2].

ومما يستوقف النظر في هذين الوصفين عبارة الوصلة أو الحشوة، هذه العبارة تشير إلى طريقة صنع التحف الخشبية وزخرفتها، وتقوم على تجميع الوصلات أو الحشوات بعضها إلى بعض، وقد كانت هذه الوصلات الخشبية في أول الأمر كبيرة الحجم ثم أخذت تصغر بالتدريج حتى أصبحت الواحدة منها لا تكاد مساحتها تتجاوز السنتيمتر المربع [3] ومن هنا كان هذا العدد الكبير من الوصلات التي تم الإشارة إليها في وصف منبر جامع قرطبة.

ومن جامع قرطبة بقي بعض السماوات المصنوعة من الخشب ودوائر من سقفه، وفي وصف الإدريسي له قال: " وسقفه كلها سماوات خشب مسمرة في جوائز سقفه، وجميع خشب هذا المسجد الجامع من عيدان الصنوبر الطرطوشي، ارتفاع خد الجائزة منه شبر وافر في عرض شبر إلاّ ثلاثة أصابع، في طول كل جائزة منها سبعة وثلاثون شبرا... والسماوات التي ذكرناها هي كلها مسطحة فيها ضروب الصنع المنشأة من الضروب المسدسة والمربي، وهي صنع الفص وصنع الدوائر، والمداهن لا يشبه بعضها البعض بل كل سماء منها مكثف بما فيه من صنائع قد أحكم ترتيبها وأبدع في تلوينها..."[4].

كان سقف المسجد كله يتألف من لوحات خشبية متينة تكسوها زخارف هندسية ملونة ومنقوشة من دوائر وفصوص ومسدسات، و يعلو هذا السقف المسطح هياكل

1- نفح الطيب، ج1، ص558، 559
2- المصدر نفسه،ج1، ص 552 / السيد عبد العزيز سالم، تاريخ وحضارة الإسلام بالأندلس، ص 261.
3- مرزوق محمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص 154.
4 – الإدريسي، المصدر السابق، م2، ص576.

مسننة هرمية الشكل تمتد على امتداد البلاطات، ويحيط بالأسقف من الداخل إزار خشبي منقوش بالآيات القرآنية[1].

لقد كان استخدام الخشب في صناعة أدوات البناء واسع المجال مثل الأبواب والشبابيك والجوائز الخشبية لأسقف المنازل والكوابيل*. فقد كان عبد الرحمن النّاصر يجلب الخشب لمبانيه من جيان[2]. كما استخدم خشب حصن قلصة بالقـــرب من قونكة في صناعة أسقف الأبنية والديار ببلنسية[3]، وقام الخليفة الحكم المستنصر في تحصين أرجل القنطرة وتقويتها بتوابيت الخشب الجسام[4].

ويستفاد من الخشـــب في صناعة الأثاث الخشبي الذي يطعم أحيانا بالعاج والذهب والأحجار الكريمة، وقد اختصت المرية بصنـــاعة الأثـــاث [5]، واشتهرت مرسية بصناعة الأســـرة، وأجودهـــا سرير لدى الأمير عبد الرحمن بن الحكم، وهو سرير خيزران وثيق الصنعة[6]، أما حصن قيشاطة فكان يصنع من خشبه القصاع والأطباق وغير ذلك[7].

ومن بقايا العصر الأموي بالأندلس صندوق خشبي مستطيل الشكل طول قاعدته 39سم وعرضها 23سم مصفح بصفائح من الذهب والفضة ومزخرف بأوراق نباتية، وعلى الصندوق كتابة عربية تظهر اسم الصانعين " بدر وطريف"[8].

1- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 385.

* الكوابيل، جمع كابولي مسند من الحجارة أو الخشب يحمل العقود أو الأجزاء البارزة عن وجه المباني كالشرفات. مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق،ص495.

2- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق بيدرو شالميتا، ج5، ص 176.

3- الإدريسي، المصدر السابق، م2، ص 560.

4- ابن حيان، المصدر السابق، عبد الرحمن علي الحجي، ص 64.

5- الزهري، كتاب الجعرافية، ص 102.

6- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي المكي، ص 18،19.

7- الحميري، المصدر السابق، ص165. الإدريسي،المصدر السابق، ص296. قيشاطة بين جيان وسطة وادي آش عليه جبل يقطع به الخشب المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

8- مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق، ص402 / الكحلاوي محمد محمد، نماذج من التحف الفضية والتماثيل البرونزية، ص 167 / دويدار حسين يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، ص 358.

تمتد الصناعات الخشبية إلى الآلات الموسيقية التي تحدث إما بالقرع أو بالنفخ أشهرها آلة العود التي يتفاخر بها أهل مدينة بلنسية فقالوا:" عند فلان عودان وثلاثة وأربعة وأكثر من ذلك"[1]. ومن الآلات الموسيقية الأخرى ما ذكره المقري:" وقد سمعت ما في هذا البلد من أصناف أدوات الطرب كالخيال والكريج، والعود والروطة والرباب والقانون والمؤنس والكثيرة والفنار الزلامي والشقرة والنورة وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه، والبوق وإن كان جميع هذا موجود في غيرها من بلاد الأندلس"[2]. فقد شوهد في مجلس الأمير محمد بن عبد الرحمن خاص بالزامرين والحذاق بصناعته، بوق عوده من أبنوس ملبس بالذهب قد رصع بفاخر الجواهر[3].

لقد ورد عن إحدى المجلات الخاصة بالجامعة الأمريكية بعض الآلات الموسيقية في نص يقول:" فأما آلات الغناء عندهم وأجملها طربا العود، وزمر الناي، والدف والسيز، وقد يستعملون الروطة وهي كالخبك في الشرق أي أنها تخالف شكله، ويقولون كثيرا بالرباب. وأشرف آلة عندهم البوق وهو ما يختص به أهل الأندلس، وهو شكل للزمر يدخل في رأسه قرن ثم يدخل في القرن القصبة، ثم يدخل القصبة جعبة صغيرة ، ولا تزال تتدرج كذلك إلى أن تنتهي إلى قصبة من قصبة الحنطة." [4]

لقد ساهم الحكام في ارتقاء الصناعة الخشبية مما روي أن عباس بن فرناس صنع آلة تدعى الحلق لمعرفة الأوقات وقدمها للأمير عبد الرحمن بن الحكم، كما اخترع الآلة المسماة المنقالة لمعرفة الأوقات أيضا، قدمها إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن. بالإضافة إلى صناعات أخرى كالطّرف الملوكية وهي تحف خشبية تفرغ المياه في البرك، ويستعين في صناعتها وهندستها بأصبغ عريف النجارين بالقصر يعلمه عملها[5].

1- العذري، المصدر السابق، ص 18.
2- المقري، المصدر السابق، ج3، ص213.
3- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي المكي، ص 291.
4- نقلا عن يوسف عيد، الفنون الأندلسية وأثرها في أوربا القروسطية، ص 239، 240.
5- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي المكي، ص 282، 284.

6- الصناعـــات الأخـرى

عرفت بلاد الأندلس رواجا كبيرا في صناعة الشمع باعتبارها وسيلة للإضاءة، وشمل مسجد قرطبة على أكبر عدد من الثريا للوقيد، بلغت مائتان وخمسا وثلاثين ثرية[1]؛ إذ خصص الحاجب المنصور بن أبي عامر في أخر شهر رمضان المعظم ثلاثة قنـــاطير من الشمع وثلاثة أرباع القنطار من الكتان لإقامة الشمع المذكور، والكبيرة من الشمع توقد بجانب الإمام، ويكون وزنها من خمسين إلى ستين رطلا، يحترق بعضها بطول الشهر ويعم الحرق جميعها ليلة الختم[2]، فأشار ابن غالب[3] أنه في ليلة إحياء ختمة القرآن يحترق من الشمع ثلاثة قناطير. وكشفت الحفريات الأثرية عن نماذج من شمعدان لحمل الشمع السائل في كل من إلبيرة[4] وطليطلة[5]. من الواضح أن صناعة الشمع كانت تحت إدارة السلطة ومن اهتماماتها الخاصة لازدياد الطلب عليها وللحاجة الماسة في الحياة اليومية.

كما برع أهل الأندلس في استغلال المنتجات الزراعية والحيوانية، مثل تربية النحل لأخذ العسل فانتشرت المناحل التي يجمع منها العسل بكميات وفيرة[6]. ومهر أهل منطقة أشبونة في تصنيع العسل ووضعه في أكياس من الكتان فلا يكون له رطوبة كأنه سكر[7].

ومن المزروعات الصناعية الحصر التي تستخدم لفرش أرضية المساجد والمنازل، فقد حث الفقيـــه عبد الملك ابن حبيب المشرفين على فـــرش المساجد بالحصر[8]، وكان القاضي سعيد بن سليمان يجلس على حصير إذا أخذ مجلسه في القضاء[9]. أما صـــناعة السلال فقد وردت الإشارة إليها فيـــما روي عن الأمـــير عبد

1- مجهول، وصف جديد لقرطبة، ص 176.
2- ابن عذاري، المصدر السابق،ج2، ص 430 / المقري، المصدر السابق،ج1، ص 549.
3- قطعة من فرحة الأنفس، ص 299.
4- مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في اسبانيا، ص 397.
5- مرزوق محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس، ص 175.
6- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص326.
7- المصدر نفسه، ص 334 / المقري، المصدر السابق، ج1، ص 152.
8- الونشريسي، المعيار المعرب، ج9، ص 399.
9- الخشني، قضاة قرطبة، ص 62.

الرحمن بن معاوية عندما قبض على ثلاثة من زعمـــاء الثـــورة في طليطلة سنة (147هـ-764م)، أمر بحلق رؤوسهم ثم ألبسهم جباب الصوف وأدخلهم في السلال[1].

وانتشرت صناعة الأدوية والعقاقير، لوفرة الأعشاب والمواد الطبية في الأندلس، فاستخدموا القسط الطيب للتداوي، والسنبل الطيب والجنطيانة[2]، وبمنطقة شدونة كانت كهرباء الأرض وهي عبارة عن مـــادة صمغية توجد عند ســـــواحل بحر الأندلس وتدخل في صنـــاعة الأدوية. فاستعملوا حجر الشادنة في مداواة العيون وخشونة الأجفان[3]، والحجر اليهودي الذي يوجد في حصن البونت يستفاد منه في تفتيت الحصى في المثانة أوالكلى[4]. وصنعوا من حجر الطلق طلاء يستخدم في صباغة المواضع التي تصيبها النار فلا تحترق[5].

ومن المستخرجات المعدنية المرتك فأشار إليه المقري بقوله:" فمما سنّه زرياب لأهل الأندلس، استعمال المرتك المتخذ من المرداسنج، لطرد ريح الصنان من مغابنهم ولا شيء يقوم مقامه، وكان ملوك الأندلس قبله يعملون ذرور الورد وزهر الريحان وما شاكل ذلك من ذوات القبض والبرد، فكانت لا تسلم ثيابهم من وضر، فدلـــهم على تصعيدها بالملح وتبيض لونها، فلما جربوه أحمدوه جدا"[6]. ومن المطهرات الأخرى صناعة الصـــابون، إذ يـــروى أن الفقـــيه عمـــر بـــن حفص الثقفي (ت310هــ/928م) الصابوني، اتخذ له أعوانا يعملون على باب داره الصابون[7].

كان العطارون والصيادلة يقومون بتجهيز الأدوية بناء على تعليمات الأطباء الذين اتخذوا دكاكين لهم في الشوارع والأسواق. ولقرطبة باب العطارين[7] التي تحف

1- مجهول، أخبار مجموعة، ص95.
2- ابن الخطيب، الإحاطة، م1، ص 105 / المقري، المصدر السابق، ج1، ص 141.
3- البكري، المسالك والممالك، ص 385.
4- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
5- المقري، المصدر السابق، ج1، ص208.
6- المصدر نفسه، ج3، ص 127،128.
7- الحميدي، جذوة المقتبس، ص 292 / ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 256.
8 - ابن الشباط، وصف الأندلس، ص 115 / ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والالافة، ص 70.

به دكاكين العطارة[1]، وهذا الموضع كان مجتمع النساء[2] مما يدل على بيـع العطـور وأدوات الزينة فيه. وتؤكد مصادر أخرى على وفرة المعطرات المحلية والمستوردة في الأندلس خلال القرن (4هـ/10م)؛ حيث أوردت الباحثة كونستبل أوليفيا ريمي قائمة جرد المواد الثمينة للخليفة عبد الرحمن الناصر جاء فيها:" عشرة أرطال من الصبار ومائتا رطل من منوعات أخرى ومائتان وإحدى عشرة أوقية من المسك وثلاثمائة أوقية من الكافور وخمس مائة من العنبر"[3]. في النص إشارة إلى انشغال الحكام بمظاهر اللياقة والأبهة وذلك باقتناء كل ما هو ثمين من العطور.

والظاهر أن ارتفاع حجم الطلب الفعال وتوسيع السوق المحلية بصورة خاصة على المنتجات الاستهلاكية قد ساعد على حدوث ازدياد في مستوى الإنتاجية وتغيير التركيب السلعي، مما انعكس على بقية أجـزاء الاقتصـاد والاستمرار في تنويع الاستهلاك من المنتجات لإشباع أذواق المستهلكين في بلاد الأندلس.

إن انفتاح الأندلس على العالم الخارجي ساهم في الاستفادة من تجارب الآخر وبخاصة في مجال الصناعة وقد كشف عن ذلك ابن عذاري[4] عند حديثه عن تنزيل الفسيفساء بالمسجد الجامع لقرطبة بقوله :"إن الحكم استقدم خبيرا بيزنطيا ... ورتب معه جملة من مماليكه لتعلم الصناعة، فوضعوا أيديهم معه الفسيفساء المجلوبة فصاروا يعملون معه فأبدعوا وأربوا عليه، واستمروا بعد ذلك منفردين دون الصانع القادم إذا صدر راجعا عند الاستغناء عنه". وهكذا يبدو أن السلطة الأموية دعمت بشكل ملحوظ نقل الخبرة الخارجية إلى بلدها وتعليمها لرعيتها، فأجزلت العطاء الكثير لكل صانع حاذق من مختلف البلاد[4].

1- القلقشندى، صبح الأعشى،ج5، ص 214.
2- ابن حزم، المصدر السابق، ص 70.
5- التجارة والتجار في الأندلس، ص 239.
6- البيان المغرب، ج2، ص238،237.
7- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وفحوى القول، إنّ الفن الصناعي الأندلسي قام على أصول مشرقية وأساليب فنية كانت سائدة في الأراضي التي فتحها المسلمون، هذه الفنون المشرقية التي تأثرت بأساليب الفن الروماني والبيزنطي والقوطي[1] والهلينستي[2]، جعل أمراء الأندلس يستعينون بالصناع العرب والمسحيين من الشام في عمل وإنجاز عمائرهم وتحفهم الفنية[3]، والوسيط الثـاني هـو الطـراز البيزنطي الذي تولد من الطراز الروماني المتأثر هو الأخر بالفن الإغريقي[4]. لذلك ظلت نفس الفنون تمارس في ظل الفتح الإسلامي للأندلس بالرجوع إلى الحضارات القديمة التي سكنت هذه البلاد وتركت آثارها عبر الزمن. وإن اختلف علماء الآثار في تحديد نصيب كل من الفنون القديمة في بناء الفن الإسلامي الأندلسي الجديـد الذي لم يأخذ كل ما صـادفه من فنـون الحضارات من موضوعات وثقافات تلك الشعوب بل وقف فترة طويلة في عملية استجماع واختيار ومزج .

من البديهي إذن أن تشهد بلاد الأندلس نشأة صناعات عديدة لإنتاج السلع الكمالية سواء لاستهلاك السوق المحلية أو للتصدير، ومن بين هذه السلع المنسوجات الفخمة من الصوف والكتان والحرير، التي لا تزال المتاحف تحتفظ بعينات منها، والثياب المحلاة بالفراء، أو المصنـوعة من الفـراء وحده، أما صناعة الخزف فكانت على درجة كبيرة من الرقي، واقتبست من المشرق أساليب كتلك الخاصة بتلوين الأجر، وقد اكتشـف في قـرطبة والزهراء عينـات منها. وكانت هناك وفـرة من الصناع المهـرة في صنـاعة الأدوات الدقيـقة من الحـديد ، فأنتـجوا الأواني وتمـاثيـل

1- هاجر القوطيون وهم أعظم فروع الجرمان الشرقيين إلى إسبانيا حوالي 409 م، وأسسوا إمبراطوريتهم سنة 411 م في الجهة الشمالية الغربية الأيبيرية على الحدود الأطلنطية ، وتعرضوا لهجمات البرابرة والفرنجيين إلى غاية دخول البيزنطيين551م، وانتقلوا من قشتالة إلى طليطلة و أنشأوا القصور على الطراز البيزنطي الروماني.
-Michel Kazanski,Les Goths,les 8 après j-c, Edition Errance, Paris ,p95.

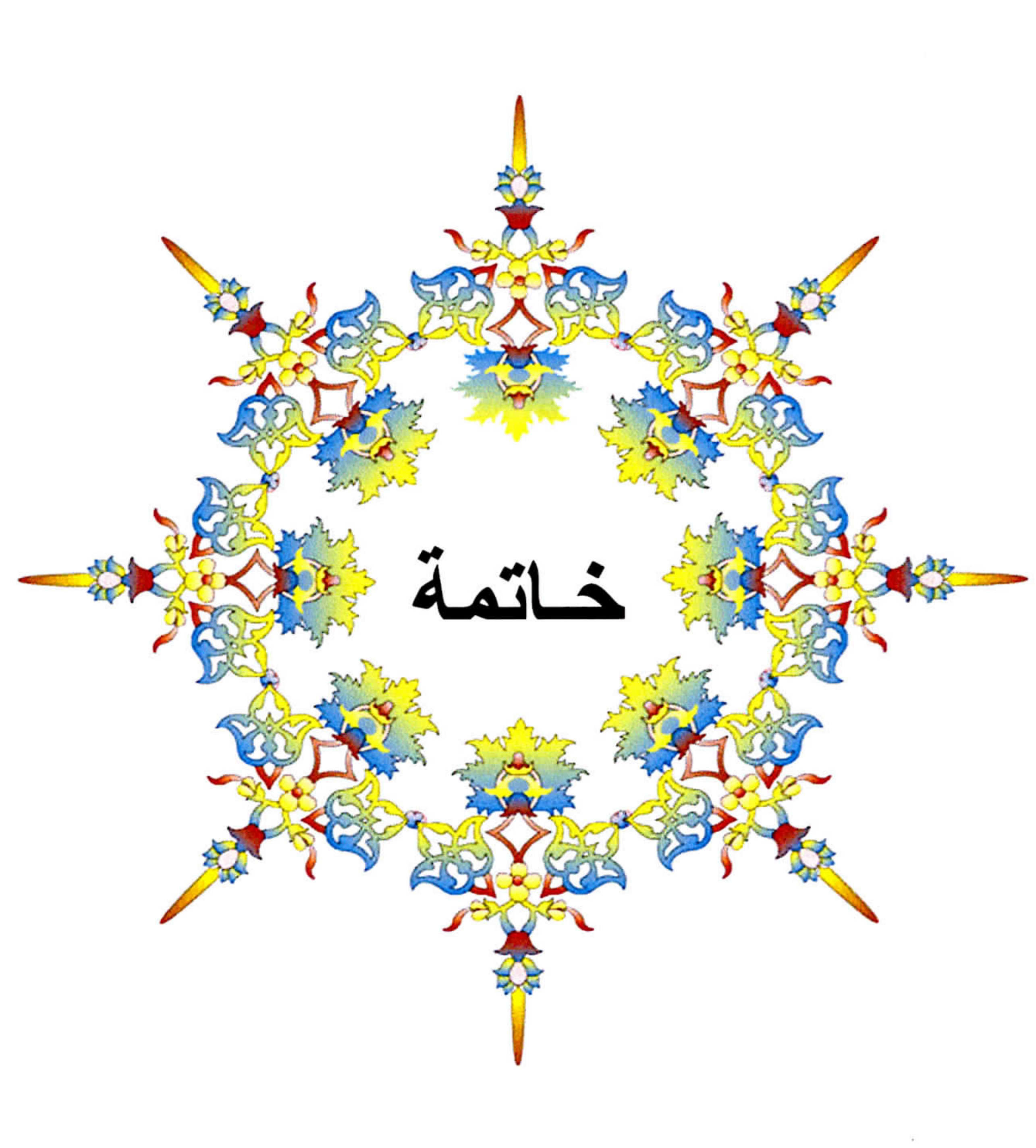
2- بن قربة صالح، الفن الإسلامي أصوله وخصائصه، الأصالة ، العدد 75- 76- 77- 78(1980م)،وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ص 209. كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية في مصر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة(د.ت)ص22.

3- السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس،ج 2، ص 53 / غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص 284.

4- المرجع نفسه، ص211.

الحيوانات من النحاس والبرونز، وطعمـــوها بالفضــــة والذهب، فما حل القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد حتى أضحت قرطبة منافسة للدول البيزنطية في فنون صائغي الذهب والفضة، وصانعي الحلي والمجوهرات؛ وبفضل ما خلفته تلك المرحلة من أثار ومشغولات فاخرة، أمكن معرفة المستوى الفني والتقني الرفيع للصناعة الأندلسية.

وأخيرا لم تبلغ صناعة تحف العالم الإسلامي ما بلغته الصناعة الأندلسية من الجودة والتنوع والدقة والفخامة وتعدد الأساليب والمواضيع. وما مدينة الزهراء والزاهرة وتوسع قرطبة وجامعها إلا نموذجا لذلك التقدم والازدهار الصناعي الذي عرفته بلاد الأندلس عبر مراحل تاريخية من الإمارة إلى الخلافة. وقد شمل هذا التقدم الصناعي مختلف الميادين.


خاتمة

الخـــاتـــــمة

إن ما تم عرضه وتحليله في فصول هذه الدراسة، لم يكن سوى نثرات من تراث الأندلس، الذي لا يزال حتى الوقت الحاضر يشهد عن حضارة راقية المستوى، والأبعد من هذا هو القاعدة الأساسية التي أقيمت عليها حضارة أوربا الحالية. لقد كانت بلاد الأندلس نبعا غزيرا للتلاقح الحضاري وهي نتيجة طبيعية لتمازج التيارات، فخلقت حضارة متميزة أندلسية، وإن مزق الزمن بعضها وبعثر ما تبقى منها فما نجا منها وصل إلى حد الإعجاز، وبخاصة مدينة قرطبة والزهراء والزاهرة.

تبين من خلال تتبع أصناف الصنــــاع أنهم كانوا عنصرا فعالا ونشيطا سجل حضوره من الجانب الاقتصادي، لكني في نفس الوقت لاحظت أن مشاركته في بعض الأحيان بسيطة نتيجة لعوامل متنوعة أوهمها المصادر التاريخية التي أهملت الحديث عن حياة الصناع وهمشت كل ما يتعلق بحياتهم، ومرد ذلك يعود إلى طبيعة الكتابة التاريخية خلال الحقبة الوسيطية، التي لم تعــر اهتمــاما بهذا النوع من الفئات الاجتماعية، إلاّ أن منتوجاتهم التي تم الكشف عنها ضمن عملية البحث الأثري شاهدة حية عن الدور والمساهمة الفعالة لهذه الفئة النشطة ضمن المجتمع.

كما أمكن التوصل إلى أن الصناعة الأندلسية حتى القرن(3هـ/ 9م) كانت متأثرة ومقلدة للحضارة الإسلامية بالشرق والمسيحية بالغرب. بينما اعتبر منتصف هذا القرن نقطة تحول عميقة في النشاط الصناعي الذي بدأ يتحــرر من مقومات وتعابير، قد استمد أصولها من الحضارات السابقة القائمة في البلاد المفتوحة، أما القرن(4هـ / 10م) فقد كان قرن النبوغ والإبداع الأندلسي الفريد بتجديداته التقنية والزخرفية.

وما لفت الانتباه هو أن الصناعة الأندلسية مرت بعدة مراحل، وأمكن تتبع فترات ركودها وبوادر تجديداتها، التي جمعت بين الاختيارية والإجبارية. وهذه الحتمية مرتبطة بتنوع أصول الأجناس، وطبيعة مواطنهم الجديدة في الأندلس. إنهم حافظوا على مهنهــم بالرغــم من المعوقات . وتم تسيير شؤونهم وفق مبدأ التوافق الجماعي،

وذلك بتخصيص أسواق لكل مهنة، وتبين أن السلطة الأموية تحكمت في مصير بعض الصناعات الهامة كالصناعة النسيجية والعاجية باعتبارها من توابع القصر الأندلسي، ويؤكد ذلك وجود دور الطراز في قصر الزهراء وقرطبة. غير أن هذا لم يمنع من وجود صناعات خاصة وعامة.

ومن جهة أخرى، كان أمراء وخلفاء بني أمية بالأندلس أكثر المساهمين في الرخاء الاقتصادي بفضل رعايتهم بالبناء والعمران وبناء الحدائق واستجلاب النباتات الزراعية من المشرق إلى الأندلـــس مما زاد من تنوع الثروة الزراعية واتساع الصناعة التحويلية. وحاولوا القضـــاء على الثورات والتمردات من أجل المحافظة على الاستقرار السياسي والتدخل في حماية المجتمع الأنـــدلسي من أثـــار الظواهر الطبيعية عن طريق المعونة والتعويضات، وخفض الجبايات عنهم.

وظهر ذلك في توسيع الأسواق حين تضيق بالمهن وحرصت على نظافة فضائها، لأن أغلبها يقع بالقـــرب من المسجـــد. كما انصب اهتمامهم على بناء القيساريات التي اشتهرت بها قرطبة، إلى جانب التشدد في معاقبة مرتكبي الغش والتزوير والتدليس في المنتوجات بتعيين منصب "صاحب السوق" .

كما تم التعرف على مقومات الوفرة الصناعة الأندلسية من نمو اليد العاملة ووفرة المواد الأولية من زراعية، حيوانية، ومعدنية، وعلى أساسها قامت الدولة بتشجيع ودعم النشاط الصناعي مما ترتب عنه تقدم في مختلف الصناعات خاصة صناعة الأسلحة وصناعة السفن، التي أقيمت لها العديد من دور الصناعة في مختلف مدن الأندلس بالإضافة إلى تقدم الصناعة النسيجية والخزفية والعاجية والجلدية وغيرها من الصناعات التي لها دور في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

غير أن هذا التقدم والتطـــور، كان يقابله تعثر بسبب أثار الكوارث الطبيعية والأحداث الحربية التي عرفتها بلاد الأنـــدلس، التي أثـــرت سلبا على هذا مجال الصناعي بصورة خاصة وعلى النشاط الاقتصادي بشكل عام. وذلك من حيث تدمير وتخريب الحوانيت وحرق الأسواق وهجرة الأيدي العاملة إلى مناطق آمنة داخل مدن

أخرى. رغم أنه عامل سلبي في المرحلة المدروسة، إلاّ أنه أمكن الكشف عن بروز مدن جديدة ذات شهرة في صناعة الحرير كالمرية خلال مرحلة لاحقة من عصر ملوك الطوائف.

ونتيجة لهذه الظروف تأثر الصناع بدورهم بالاندماج وتغيرات الحياة الأندلسية، وشاركوا في الثورات منذ عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية حتى سقوط الخلافة، وساهموا في نشأتها واستقرارها. لكنهم أيضا كانوا في بعض الأوقات ثوارا متمردين مثل شخصية هاشم الضراب. وعاشوا حياة القسوة حينا والترف أحايين أخرى. وساهموا إلى جانب الحكام في المعارك لصيانة الأسلحة، وفي البناء العمراني، وفي النشاط الاقتصادي وأبدعوا في استغلال المواد الأولية الزراعية أو الحيوانية أو المعدنية.

وقد شكل هؤلاء الصناع مختلف الأجناس من عرب، ويهود، ونصارى، وصقالبة، ومستعربين، وأثبت هذا التنوع دوره في تلاقح مختلف الثقافات والحضارات. ولم يثبت التاريخ الأندلسي على وجود أسماء لأسر احتكرت حرفة معينة لمدة طويلة وتوارث أبناؤها وعملوا بحرص على استمرارها.

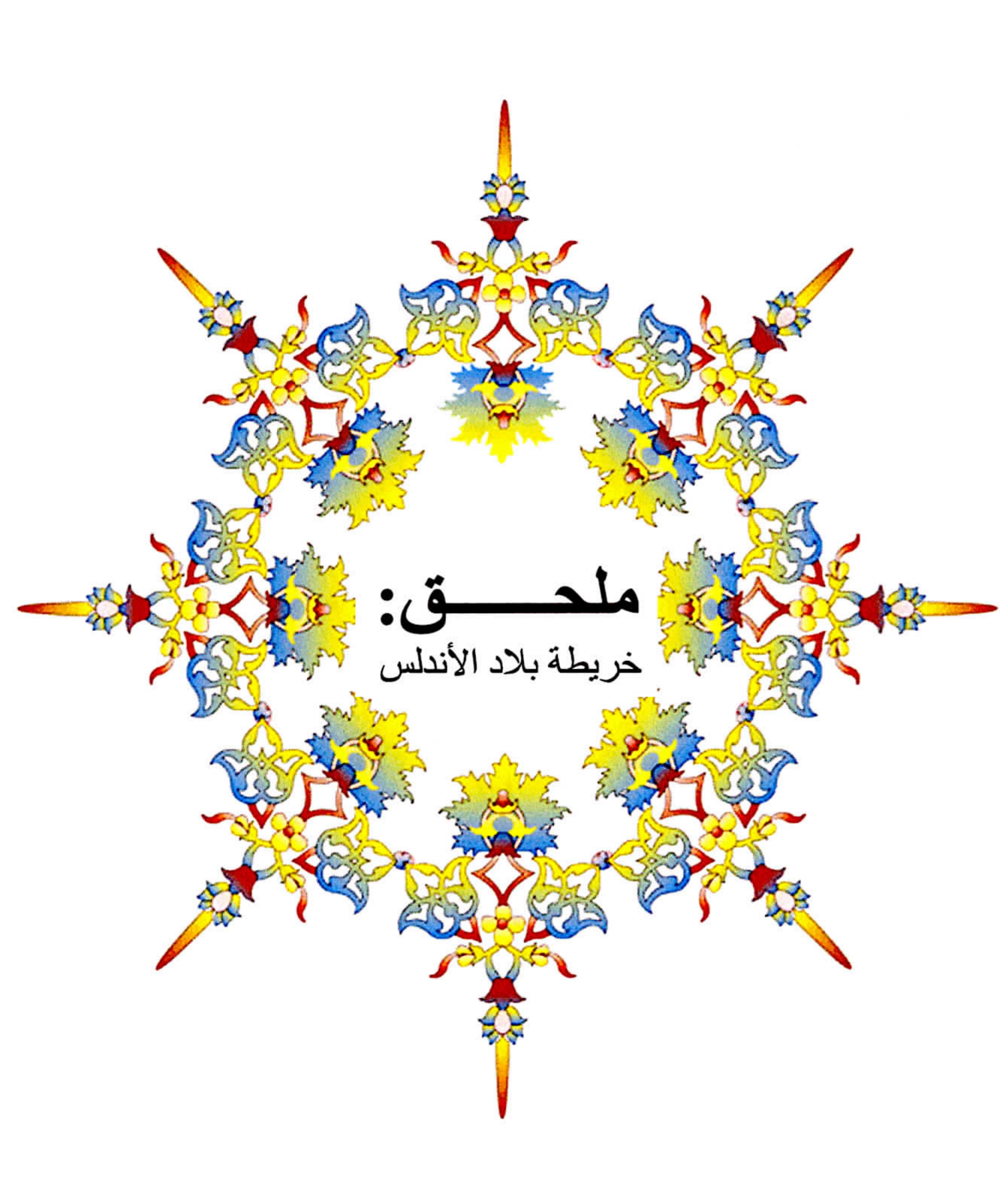
لم يصل مستوى فن النقش على التحف في الفن الإسلامي ما وصل إليه مستوى فن الحفر على العاج في الصناعة الأندلسية في العصر الإسلامي في القرنين (4-5هـ/10-11م)، وهي الفترة التي ازدهرت فيها كثير من الفنون بتشجيع من الحكام أو كبار رجال الدولة من أصحاب المناصب التي صنعت لأجلهم. وقد ساعدت توقيعات الصناع على كشف ماهية الأسماء سواء كانت عربية أو أعجمية، والتعرف على عقائدهم سواء كانوا مسلمين أو من ملل أخرى. إلى جانب ما تقدمه من معلومات أخرى تتعلق بالنقوش الكتابية التي تساعد الباحث على التحليل والتأريخ لمختلف مجالات الحياة.

أما في جمال الزخرفة فتتكشف أسرارها فيما أدرجه الصانع من تطعيم وتكفيت بالذهب والفضة والحفر والترصيع وما إلى ذلك، وحقق بذلك أروع المنجزات. ولقد دار الجدل طويلا بين الباحثين المتخصصين على مدى أصالة الصناعة الأندلسية

أمثال مانويل جوميث مـــورينو، وتوريس بلبـــاس، والسيد عبد العزيز سالم وغيرهم في دراســـة البقايا الأثرية والترجيح لأصولها بعد معالجتها، وأمكنّ الخروج بحقائق تثبت أنها موروث لمزيج ثقافي وحضـــاري لمختلف الحضـــارات من الرومان والقوط واليونان وبلاد العالم الإسلامي.

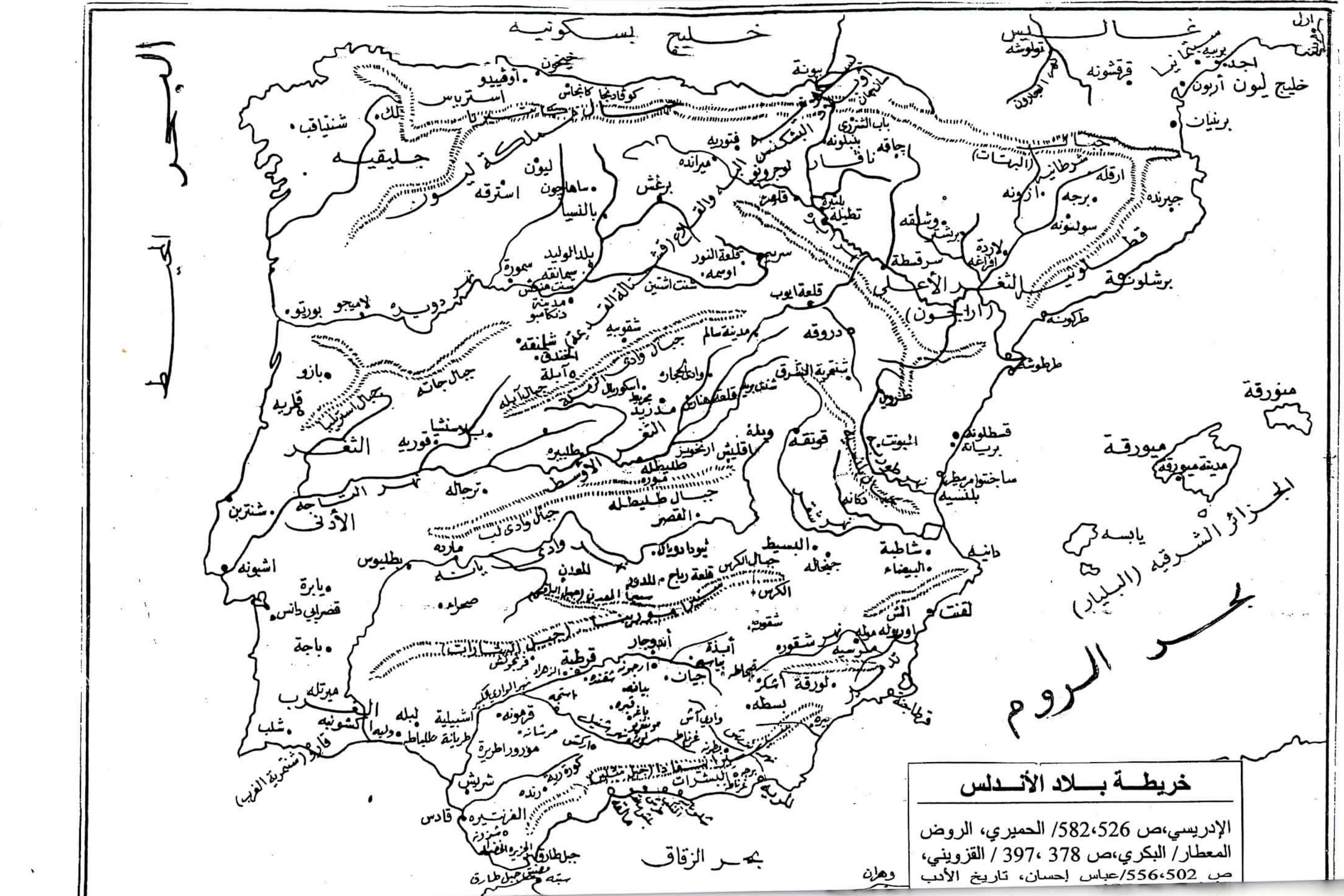
كان لانهيار الخلافة الأموية بالأندلس وتخريب قرطبة أثر سلبي في انهيار مقومات الاقتصاد الأندلسي في الفترة المدروسة مع هجرة عارمة إلى المدن الأندلسية الأخرى التي تعرف فيما بعد حكم ملوك الطوائف وسرعان ما تستعيذ هذه الفئة من الحرفيين مكانتها لدى حكام ملوك الطوائف خاصة مملكة إشبيلية لوجود منافسة فكرية علمية وعمرانية واقتصادية لدى الدويلات، وفيما بعد في عصر المرابطين المتأثر بالحضارة الأندلسية. وفي هذا السياق كيف يمكن حدوث التواصل الصناعي ما بين الأندلسيين أنفسهم في عصر ملوك الطوائف وما بين المغاربة في عصر المرابطين ؟ وهذا ما نتركه للدراسات المستقبلية التي قد تكشف عليه.

وختام القول، بعدما كان هذا البحث فتاتا منثورا، أصبح مكتوبا. وأمنيتي أن لا يكون بحثا مهجورا وأفكاره بورا، وأن يكون للباحث دليلا وللقارئ بيانا وعند الله ثوابا.

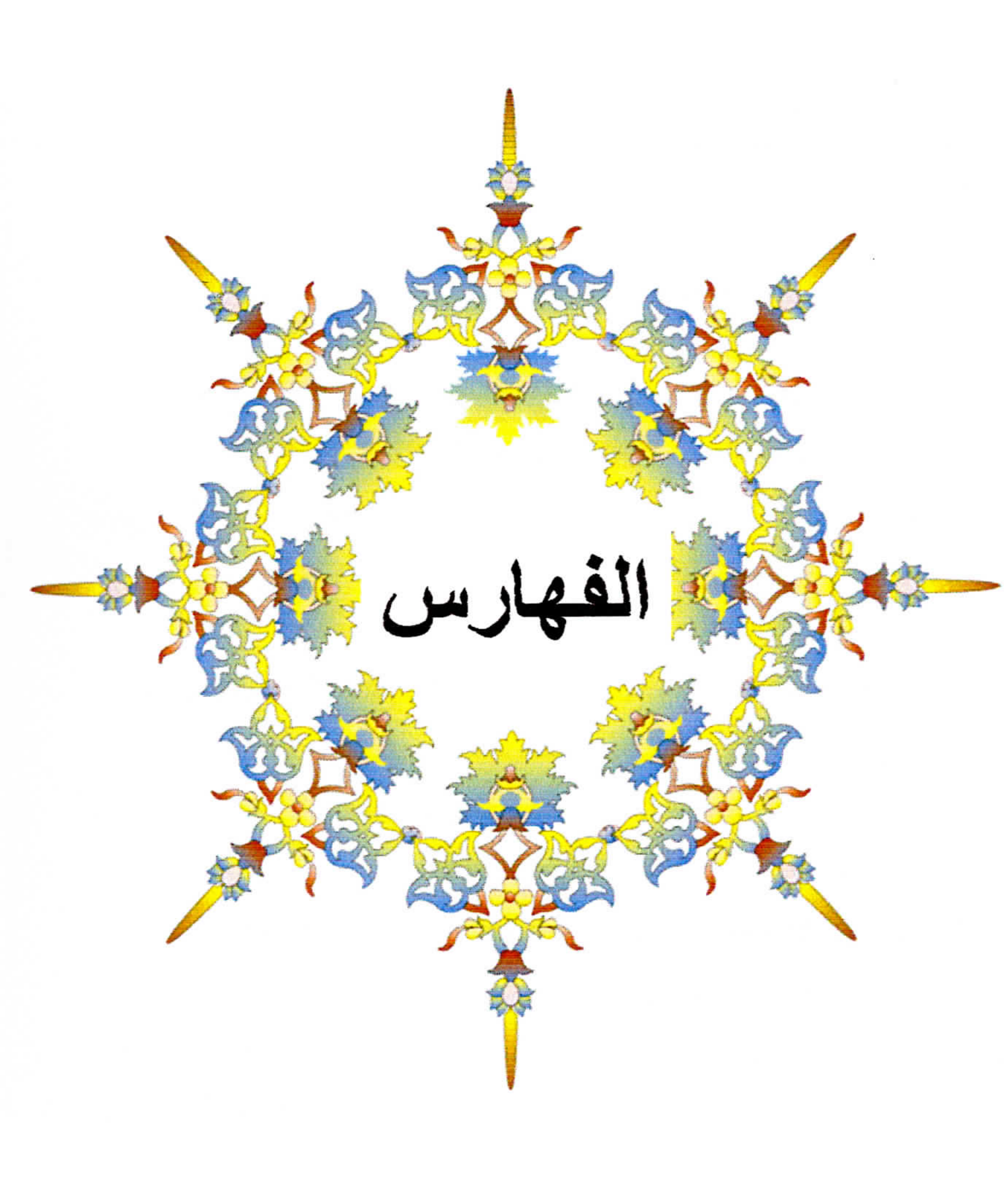


ملحق:

خريطة بلاد الأندلس



خريطة بــلاد الأنــدلس
الإدريسي،ص 582،526/ الحميري، الروض
المعطار/ البكري،ص 378 ،397 / القزويني،
ص 556،502/عباس إحسان، تاريخ الأدب
خليج بسكونيه
غاليس
خليج ليون أربون
برشلونة
طركونة
طرطوشة
سرقسطة
تطيلة
بنبلونه
جليقيه
شنتياقب
أوفيدو
استرقه
ليون
برغش
قلعة أيوب
قلعة النور
دروقه
مدينة سالم
شقوبيه
آبلة
طليطلة
طلبيرة
قونقه
وبذة
بلنسيه
شاطبة
دانيه
لقنت
مرسية
لورقة
قرطاجنة
جيان
قرطبة
اشبيلية
لبله
شلب
قادس
شريش
رنده
الجزيرة الخضراء
جبل طارق
سبته
بحر الزقاق
وهران
باجة
يابرة
اشبونه
شنترين
بطليوس
ماردة
ترجاله
قوريه
بازو
قلمريه
قورقة
ميورقة
منورقة
يابسه
الجزائر الشرقية (البليار)
بحر الروم


الفهارس

فهرس المصـــــــادر والمـــراجع

أولا: القرآن الكريم.

ابن كثيـــر، أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرشي الدّمشقي(ت774هـ/ 1372م)، تفسير القرآن الكريم، صحح بإشـــراف الشيـــخ خليل الميس مديـــر أزهـــر لـــبنان، دار القلم، بيروت(د.ت).

ثانيا: قائمة المصادر المطبوعة:

1-ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم(ت668 هـ/ 1269م، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت، ط3 (1981م).

2- ابن أبي زرع الفاسي(كان حيا 726هــ/1326م)، الأنيس المطـــرب بـــروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط(1973م).

3-ابن الأبار، أبو عبيد الله محمد بن عبد الله القضاعي(ت 658 هـ/1260م)، الحـــلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2 (1985م).

4-............... ،التكمـــلة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الحراس، دار الفـــكر، بيروت(د.ت).

5-ابن الأثير، أبو الحســـن علي بن محمد (ت630 هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت (1987م).

6-الإدريسي،أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس(ت558 هـ/1163م)، نزهة المشتاق في اختـــراق الأفـــاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (2002م)، م2.

7-ابن الأحمر إسماعيل(ت807 هــ/1405 م)، بيوتـــات فـــاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط (1972م).

8-ابن السماك العاملي(ت النصف الثاني من القرن8هـ/14م)، الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد (1981م-1982م).

9-ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني(ت 542 هـ/1147م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت (2000م)، القسم1.

10- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك(ت578 هـ/1183م)، كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية بيروت، ط1(2003م) .

11- البرزلي، أبو القاسم بن أحمد البلوي (ت844هـ/1440م)، جامع مسائل الأحكاملما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1(2002م).

12- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي(ت770 هـ/1369م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق على المنتصر الكناني، مؤسسة الرسالة، بيروت (1985م).

13- البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز(ت487 هـ/1094م)، المسالك والممالك ، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(2003م).

14- ابن جلجل، أبو داوود سليمان بن حسان الأندلسي(ت بعد377هـ/987م)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2(1985م).

15- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد(ت456 هـ/1064م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4 (2007 م).

16- ....، طوق الحمامة في الألفة والألافة، تحقيق ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت (2003م).

17- ....، رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1(1981م).

18- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر(ت488 هـ/1095م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1 (2004م).

19- الحميري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت726هـ/1326م)، صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة(1937م) .

20- أبو حامد الأندلسي الغرناطي(ت565هـ/1170م)،تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، المغرب، ط1 (1993م).

21- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت367هـ/977م)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت (د.ت).

22- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي(ت369هـ/1076م)، المقتبس من أخبار أهل الأندلس، تحقيق محمود على مكي، دار الكتاب العربي، بيروت (1973م).

23- .... ، في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق الأب ملشورم أنطونيه، بولس كتنر الكتبي، باريس (1937م)، القسم 3.

24- ....، السفر الثاني من كتاب المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق محمود علي المكي، السفر2، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية(د.ت).

25- ....،المقتبس، تحقيق بيدرو شالميتا، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، كلية الآداب، الرباط (1979 م).

26- .... ، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيــق عبد الرحمــن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت(1983م) .
27- الخشني، محمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني (361هـ/ 971م)، قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2(1989م).
28- ابن الخطيب، لســان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله(ت نحو 776هـ/ 1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، دار المعارف، القاهرة (د.ت).
29- ....، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1(2003م).
30- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت808هـ/1406م)، العبر، ج4، دار العلم للجميع، بيروت (د.ت).
31- ....، المقدمة، دار الفكر، بيروت، ط1(2003م).
32- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت 781هـ/1379م))، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت (1968م).
33- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد(ت748هـ/1347م)، سير أعلام النبلاء، تحقيــق شعيب الأرنــؤوطي، محمــد نعــيم العرقســوسي، مؤسســة الرسالة، بيروت(1993م).
34- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن (ت379هـ/989م)، طبقــات النحــويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2(1973م).
35- الزهري، أبو عبيد الله بن أبي بكر الزهري(ت أواسط القرن6هــ/12م)، كتاب الجعرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة(د.ت).

36- ابن سعيد، علي بن مـوسى(ت685 هـ/1286م)، المغـرب في حلى المغرب، تحقيق خليل المنصور (منشورات محمد علي بيضون)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1(1997م).

37- ابن الشباط المصري التوزري، محمد بن على(ت 681هـ/1282م)، قطعة من وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط، تحقيق العبادي أحمد مختار، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد(1967م- 1968م).

38- الشيخ بكر بن إبراهيم الاشبيلي، التيسير في صناعة التسفـير، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد(1959-1960م).

39- صاعد الأندلسي، أبو القـاسم صاعـد بن أحمـد بن صاعد الأندلسي (ت462هـ/1070م)، طبقات الأمم، تحقيق بوعلوان حيـاة عيد، دار الطليـعة، بيروت، ط1 (1985م).

40- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي المالكي(ت520هـ/1126م)، الحـوادث والبـدع، إشـراف لجـنة التحقيـق بـدار الفتح، دار الفتح، الشارقة، ط1(1995م).

41- الضبي، أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (ت599هـ/1202م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(1997م).

42- ابن عبد الرؤوف أحمد بن عبد الله القرطبي(ت424هـ/1033م)، آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق فاطمة الإدريسي تحت إشراف مصطفى الصمدي، دار ابن حزم، بيروت، ط1 (2005م)،.

43- ابن عبدون، محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي(ق5هـ/11م)، رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، (1995 م).

44- أبو عبد الله محمد الصنهاجي(626هـ/1230م)، أخبـار ملـوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق جلول البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر(1984م).

45- ابن عذاري، أبو عبد الله أحمد بن محمد (كان حيا 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، مكتبة دار صادر، بيروت(د.ت).

46- العذري، أحمد بن عمر(ت 478هـ/1085م)، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق الأهواني عبد العزيز، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد (1965م).

47- ابن عمر، يحي بن عمر الأندلسي(ت289هـ/ 902م)، أحكام السوق، تحقيق محمود علي المكي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، المعهد المصري، مدريد، م4 (1956م)، العدد 2-1.

48- ابن غالب الغرناطي، محمد بن أيوب(ق6هـ/12م)، قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها، تحقيق عبد البديع لطفي، نشر مجلة معهد المخطوطات العربية، مصر(1956م)، م 1، ج1.

49- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد (ت403هـ/1012م)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1997م).

50- القاضي النعمان بن محمد بن حيون (363هـ/974م)، المجالس والمسايرات، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1997.

51- ....، افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،الشركة التونسية للنشر، تونس، ط2(1986م).

52- القزويني زكريا بن محمد(ت682هـ/1283م)، آثار البلاد أخبار العباد، دار صادر، بيروت(د.ت).

53- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة(د.ت).

54- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت367هـ /977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر(1989م).

55- محمد بن أحمد بن جبير(614هـ/1217م)، رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ت).

56- مجهول، فتح الأندلس، تحقيق حساني مختار، مطبعة دحلب، الجزائر (د.ت).

57- ....، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، تحقيق أمبروزيو أوبثي ميراندا، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد (1961م -1962م).

58- ....، وصف جديد لقرطبة، مخطوط في جغرافية الأندلس، تحقيق حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد (1965م-1966م)، م13 .

59- ....، تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت (2007م) .

60- ....، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر(1989م).

61- المراكشي، عبد الواحد بن على(ت625هـ/1228م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق العريان سعيد، محمد توفيق عويضة، دار إحياء التراث الإسلامي،القاهرة(1963م).

62- المقدسي، أبو عبد اله محمد بن أحمد البشاري(ت نحو 380هـ/990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2(ليدن، مطبع بريل، 1906م).

63- مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزاوي، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1(1988م).

64- المقري، أبو العباس أحمد بن محمد(ت1041هـ/1631م))، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت(2004م).

65- الكتاني، أبو عبد الله محمد بن الكتاني(ت نحو420هـ/1029م)، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت(د.ت).

66- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري(أواخر القرن 6هـ/12م)، تاريخ الأندلس، تحقيق العبادي أحمد مختار، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد (1956م- 1966م).

67- النويري، شهاب الدين أحمد عبد الوهاب(ت732هـ/1332م))،تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط قسم من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء (1984م).

68- الونشريسي أحمد بن يحي(ت914هـ/1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحت إشراف محمد الحجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت (1981م).

69- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي(ت627هـ/1230م) معجم البلدان، دار صادر، بيروت (د.ت).

70- Abu'Abd allah Muhammad B.Abi Muhammad As-Sakati de Malaga. Un Manuel Hispanique De Hisba. Texte Arabe ,Introduction . Par Colin et Lévi –Provençal .Paris, 1930.

71- Ahmed Razi ,La Description de L' Espagne, Provencal ,Al-Andaus ,Vol 12.Paris,1953.

المعاجم :

72- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت (1992م)، ج 1 .

73- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم(ت711هـ/1311م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت(د.ت).

74- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي(ت721هـ/1321م) ،مختار الصحاح، مكتبة لبنان ، بيروت (1995م).

75- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175هـ/791م)، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت(د.ت).
76- محمد بن عبد الرؤوف المناوي(ت1031هـ/1621م)، التـوفيق على مهمات التعاريف، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت (1990م).
77- محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي أبو عبد الله(ت709 هـ/ 1309م)،المطلع على أبواب المقنـع، تحقيق محمد بشير الأدلي، المكتب الإسـلامي، بيروت (1981م).
78- أبو الفتح ناصـر الدين عبد السيد بن على بن المطـرز(ت610هـ/1213م)، المغرب في ترتيب المعرب، تحقيق محمد فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط1(1979م)، ج1.
79- صديق بن حسن الفتوحي(ت1307هـ/1889م)، أبجـد العلوم الوشي المرقوم في بان أحوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمـية، بيروت (1978م)، ج1.

المراجع العربية:

80- أبو الفضل محمد أحمد، شرق الأندلس في العصر الإسلامي، جامعة طنطا، دار المعرف الجامعية ، القاهرة(1996م).
81- آدم ميتز، الحضارة الإسـلامية في القرن(4هـ/10م)، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، الدار التونسية للنشر، تونس،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (1986م).
82- أرسلان شكيب، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (د.ت).
83- بالنثيا أنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأنـدلسي، ترجمـة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة(د.ت).

84- ليفي بروفنسال، حضارة العرب بالأندلس، ترجمة دوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت (د.ت).

85- حركات إبراهيم، النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء (1983م).

86- حقي محمد، البربر في الأندلس، المدارس، الرباط، ط1(2001م).

87- حسن الحلاق حسن، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، ط2(1999م).

88- حسين مؤنس، الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد، ط1 (1959-1961م) ، م7-8 .

89- ....، العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى (الأندلس، صقلية،الشام)، الدار الجامعية، القاهرة(1986 م).

90- الخطابي محمد العربي، الطب والأطباء في الأندلس دراسة تراجم ونصوص، دار الغرب الإسلامي، بيروت (د.ت).

91- خالد بن عبد الكريم بن حمود البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس عصر الإمارة، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض (1993م).

92- دويدار حسين يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي(138-422هـ/755-1030م)، مطبعة دار الحسين الإسلامية، الإسكندرية،ط1(1994م) .

93- ذنون طه عبد الواحد، دراسات أندلسية، المدار الإسلامي، بيروت، ط 1(2004م).

94- زينهم محمد، التواصل الحضاري للفن الإسلامي، وزارة الثقافة، القاهرة (1986 م).

95- زكي محمد حسن، الفنون الإسلامية، دار الرائد، بيروت (1981م).

96- السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية (1997م).

97- ....، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية (1989م)
98- ....، تحف العاج الأندلسية في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية(د.ت).
99- ....، بحوث إسلامية في التاريـــخ والحضارة والآثار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1(1992 م)، القسم 2 .
100- ....، تاريخ المسلمين وأثـــارهم في الأنـــدلس، دار النهضة العربية، بيروت (1981م).
101- الشكعة مصطفى، الأدب الأندلسي، دار الملايين، بيروت، ط4(1979م).
102- شبارو عصام، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، دار النهضة العربية، بيروت، ط1 (2002م).
103- شريط عبد الله، نصوص مختـــارة من فلســـفة ابن خلدون في الاجتماع والسياسة والثقافة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر(1984 م).
104- الصبيحي محمد إبراهيم، الحضارة العربية وأثرها في أوربـــا، مكتبة الوعي العربي، القاهرة(د.ت).
105- الطاهري أحمد، عـــامة قرطبة في عصـــر الخـــلافة، منشـــورات عكـــاظ، الرباط(1989م).
106- ....، دراسات ومبـــاحث في تاريخ الأنـــدلس عصري الخلافة والطوائف، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1 (1993 م).
107- طقوش محمد سهيل، تاريخ المسلمين في الأندلس، دار النفـــــائس، بيروت ط1(2005م).
108- عقاب محمد الطيب ، الأواني الفخارية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر(1984 م).

109- العبادي عبد الحميد، صور وبحوث من التاريخ الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1(1953م).

110- العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت (د.ت).

111- ....، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، النهضة العربية ، بيروت (1969م).

112- ....، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1(2000م).

113- عاشور سعيد عبد الفتاح، عبد الحميد سعد زغلول، العبادي أحمد مختار، تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، دار المعرفة الجامعية،القاهرة (1998م).

114- عباس إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت، ط2 (1976م).

115- عنان محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2 (1988م).

116- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، بيروت، ط 4 (1964م).

117- فكري أحمد، قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية(1983م)

118- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمة أمين فارس، منير البلجيكي، دار صادر للملايين ، بيروت، ط11(1988م).

119- كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية في مصر، مكتبة النهضة، القاهرة(د.ت).

120- كونستبل أوليفيا ريمي، التجارة والتجار في الأندلس، تعريب عبد الله فيصل، مكتبة العبيكات، بيروت (2002 م).

121- مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة السيد عبد العزيز سالم و عبد البديع لطفي، الدار المصرية، للتأليف والترجمة، القاهرة (1977م).
122- محمود حسن منى، المسلمون في الأندلس وعلاقـــتهم بالفرنجة، دار الفكر العربي، القاهرة (د.ت).
123- مرزوق محمد عبـــد العزيز، الفنون الزخـــرفية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت (د.ت).
124- مسعد مصطفى سامية، العلاقات بين المغرب والأنـــدلس في عصر الخلافة الأموية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،القاهرة، ط1(2000م).
125- نويصر حسن محمد، الآثار الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، مصر (1998م).
126- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصاء لأخبار دولة المغرب الأقصى، تحقـــيـــق جعفـــر النـــاصري ومحمـــد النـــاصري، دار الكتـــاب، الـــدار البيضاء، ط1(1987م).
127- الهروس مصطفى، المـــدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية (ق3هـ /10م) نشأة وخصائص، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية (1997م).
128- هنيدي إحســـان، الجيش العـــربي في عصر الفتـــوحات، دار القـــلم، دمشق (1973 م).
129- زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون، كمال الدسوقي، دار صادر، بيروت، ط10(2002م).
130- وجدان علي نايف، سلسلة التعريف بالفن الإسلامي،ج1(الأمويون العباسيون، الأندلسيون)، الجمعية الملكية للفنون الجميلة، عمان (د.ت).
131- يوسف عيد، الفنـــون الأنـــدلسية وأثـــرها في أوربا القروسطية، دار الفكر اللبناني، بيروت ، ط1(1993م).

الأطروحات:

132- بلهواري فاطمة، النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي في القرن (4هـ/10م)، جامعة العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران (2005/2004م)، رسالة دكتوراه، غير منشورة.

133- بوباية عبد القادر، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري(300-422هـ/912-1031م)، جامعة العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران(2001-2002م)، رسالة دكتوراه، غير منشورة.

المقالات

134- بدر أحمد، المجتمع الأندلسي والمجتمع الاسباني في عصر ملوك الطوائف، دراسات تاريخية، لجنة كتابة التاريخ العربي، دمشق (1984م)، العدد15-16.

135- بن قربة صالح، الفن الإسلامي أصوله وخصائصه، الأصالة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، العدد 75- 76- 77- 78. (1980 م).

136- الجيوسي سلمى الخضراء، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت، ط2 (1999 م)،ج2:

ا- إكسبيراثيون غارثيا سانشيز، الزراعة في إسبانيا المسلمة.

ب- ريموند شايندلين، اليهود في إسبانيا المسلمة.

ج- ميكيل دي إيبالزا، المستعربون أقلية مسيحية في الأندلس المسلمة.

137- عبد الله بن عبد المحسن التركي، بحوث ندوة الأندلس، دار المعرفة الجامعية، مصر،ط(1994م):

ا- الكحلاوي محمد محمد ، توقيعات الصناع على التحف المعدنية والعاجية.

ب- السيد عبد العزيز سالم، نماذج من التحف الفضية والتماثيل البرونزية من إنتاج دار الصناعة بكل من قرطبة ومدينة الزهراء في عصر الخلافة الأموية بالأندلس.

138- ....، صور من المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة الأموية وعصر ملوك الطوائف من خلال النقوش المحفورة في علب العاج، من مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، م 19، مدريد (1976م -1978 م).
139- النعسان محمد هشام، الصناعات الغذائية في الأندلس، موقع أرض الحضارات، سوريا.

المراجع الأجنبية:

140-Andrée Miquel ,L'Islam et sa civilisation,septieme Edition,revue et corrigée Armand Colin,France.2003.
141- Claudio Sanchez-Al Bornoz,L'Espagne musulmane, traduction Claude Fraggi,Edition O P U / publisud .1983.
142- François –X avier Guerra, La péninsule Ibérique de L'antiquité au siècle d'or, 1 édition, P. U. F. 1974.
143- Henrri Terrasse. L'art Hispano Mauresque. Des origines au 13 siècle, Tome 21, Les Editions G.Van .Paris 1932.
144- Georges Marçais , L'Art Musulman ,Quadrige, , P. U. F. Paris 1981.
145- G-H Bayet,L'Art Byzantin,A.Quantin ,imprimeur ,Editeure paris
146-Gustave Le Bon , La Civilisation des Arabes , Imprimé par image, syracuse,Italie.
147- Jacques -C- Risler, La Civilisation Arabe ,Rayait Paris, 1955.
148-Lèvi provençal,Histoire de l'Espagne musulmane,Tome1.maison neuve larose,Paris,1999.
149- Louise. Reau et Gustave Le Bon, L'art du Moyen age, la renaissance du livre,Paris 1935.
150- Michel. Kazanski,Les Goths,les 7 après j-c, Edition Errance.

151- Pierre Guichard,L'Espagne et la sicile Musulmanes aux 11 et 12em siecles, presses universitaire de Lyon ,1990.
152-Susana. Gome Martinez ,La Ceramica De mértola , Juan zozay stabel hansen, departemenode historia medieval, Universitada complutense , Madrid 2003-2004.

فهـــــــــرس الموضوعات

الموضـــوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة